

أبحاث في

سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب

تأليف

آية الله الشيخ عبد الكريم العقيلي

منشورات

مؤسسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله» [بضعة المصطفى «صلى الله عليه وآله»]

لإحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام»

إصدار رقم (٢٠)

سر الخطاب فى الكتاب من الكتاب
آية الله الشيخ عبدالكريم العقيلى
دار الغدير / قم
الطبعة الثانية
٢٠٠٣ / ٥١٤٢٤ م
ISBN : ٩٦٤-٧١٦٥-٧٤-٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله»

(بضعة المصطفى «صلى الله عليه وآله»)

لإحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام»

عنوان الموقع:

<http://www.oqaili.com>

<http://www.oqaili.net>

<http://www.oqaili.org>

info@oqaili.com

Tel:00982517725236

bthalmustafa@yahoo.com

العقيلي ، آية الله الشيخ عبدالكريم
ابحاث في سر الخطاب في الكتاب من الكتاب . / تاليف آية الله الشيخ عبدالكريم العقيلي
دارالغدير ، قم / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

ISBN : ٩٦٤-٧١٦٥-٧٤-٩

١. احاديث الشيعة - القرن الرابع الهجري
 ٢. علي بن ابي طالب عليه السلام ، الامام الاول ، ٢٣ قبل الهجرة -
 - ٤٠ هـ - اثبات الخلافة - احاديث .
- الف عنوان .

١٢ الف ٧ ع / ٩ / ١٣٦ BF ٢١٢/٢٩٧
المكتبة الوطنية الايرانية م ٨٢ - ٨٧٧٤

الإهداء

إلى قطب رحى التكوين والتشريع، ونقطة الكون الشرعي والشرع الكوني، إلى من قال:

أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أم الكتاب، أنا فصل الخطاب...
أنا السر الذي لا يخفى، أنا عندي مفاتيح الغيب، لا يعلمها بعد رسول الله إلا أنا...
أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار... أنا العالم بما كان وما يكون...
أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين...
أنا الذي لا تقبل الأعمال إلا بولايتي... أنا كنز أسرار النبوة...
أنا المطلع على أخبار الأولين، أنا المخبر عن وقائع الآخرين...
أنا صاحب الجنة والنار، أنا صاحب الإلهام، أنا العلي العظيم، أنا الصراط المستقيم...
أنا باب المقام، وحجة الخصام... أنا صاحب الأسرار المكنونات...
أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، أنا مع الكور قبل الكور...
أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم،
أنا أنا، لا إله إلا الله ربّي وربّ الخلائق أجمعين...

إلى مولى المتقين وقبلة القاصدين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»...
إلى ساحة قدسه وعزّ مجده وشرف كرمه... أقدم هذا القليل من البرهان والدليل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الولاية، وجنّبنا مهلكة الغواية، وأرشدنا إلى الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، والكلمات الساطعة، والخطب اللامعة؛ لكي تطمئنّ بها قلوبنا، وتنور ضمائرنا. والصلاة والسلام على سرّ الوجود وحقيقة الموجود، محمّد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أخيه منور الأنوار وسرّ الأسرار ومنّ قال: «أنا أنا» أمام الأخيار والأشرار، إلى آخر الأعصار، أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجلين، عليّ ابن أبي طالب، وعلى آل بيته الهداة المهديين سيّما إمام العصر والزمان، الإمام الثاني عشر، الحجّة المنتظر، أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

وبعد ...

فإنّ طرح البحوث العقائدية، والمسائل الإيمانية في المحافل والمنتديات_ رغم خطورته وصعوبته_ هو ممّا يرغب فيه، سيّما في حالة كونه رامياً إلى تصحيح مسار بعض الأفكار وسوقها إلى جادة الصواب، أو إزالة لبس حاصل في بعض منعطفات الفكر، أو تنوير حقائق واقعية وإبرازها_ بعد إجلاء ما علاها من رين أحقاد، أو صدأ أكاذيب كانت قد

شوّهتها وأضاععتها، أو ضعف اعتقاد بحجة فقد الصحيح من الإسناد، كما يزعمون_ وغير ذلك من أمور حسنة متوخّاة، لإزهاق الباطل وإحقاق الحق المراد والمطلوب من البحث.

ولا ريب أنّ مسألة مقامات الإمامة وولاية الإمام المعصوم «عليه السلام» هي في طليعة المسائل والأمور التي ينبغي إعطاؤها الأولوية في هذا المجال، باعتبار أنّ مراتب الإمامة أصل أساسي، وركن مهمّ في العقيدة الإسلاميّة، وبواسطتها يمكن الركون والاطمئنان إلى سلامة الإسلام المحمّدي الحق الذي أمر به الله تعالى، باعتبار أنّ معرفة الإمام وطاعته تستلزم معرفة سائر أصول الدين وفروعه.

روي عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» أنه قال:

بُني الإسلام على خمسة أشياء:

على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية.

قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟

قال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ. والوالي هو الدليل عليهنّ...

وذكر حديثاً طويلاً، ثمّ قال «عليه السلام»:

ذروة الأمر وسنّامه ومفتاحه، وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته؛ إنّ الله عزّ وجلّ يقول: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} (١). أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جلّ وعزّ حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان... (٢).

(١) النساء: ٨٠.

(٢) أخرجه الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف: ١٨/٢ باب دعائم الإسلام ح ٥، عنه بحار الأنوار: ٣٣٢/٦٥ ح ١٠، وذكر قريباً من ذلك الشيخ الصدوق «رحمه الله» في الخصال: ٢٧٧ باب الخمسة ح ٢١.

وورد في الصحيح عن سيّد المرسلين «صلى الله عليه وآله» أنّه قال:
«من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة»^(١).

فمن هذه الكلمات الوضّاءة والعبارات الشريفة وغيرها يمكن معرفة أهميّة الولاية، وضرورة معرفة الإمام صلوات الله عليه. ويجد الباحث المنصف في التاريخ الإسلاميّ العديد من المواقف الخالدة، والكثير من الأدلّة والشواهد النيرة المفصحة عن ضرورة أسرار الولاية وشأنها العظيم، روي بعضها عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم كان بين ظهرائي المسلمين، وورد بعضها الآخر عن آله المعصومين «صلوات الله عليهم».

ورد عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنّه قال: **إِنَّ عَلِيًّا آيَةٌ لِمُحَمَّدٍ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا يَدْعُو إِلَى وِلَايَةِ عَلِيٍّ. أَمَا بَلِّغْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالِيهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ**^(٢).

وما ذلك في واقع الحال إلاّ لكون الإمامة ومراتبها امتداداً للنبوة، ومواصلة لتنفيذ أوامرها، ومتابعة لتطبيق ما جاء به خاتم الأنبياء «صلى الله عليه وآله» عن الله وبأمره عزّ وجلّ، بل هي في واقع الأمر سرّ النبوة، بل سرّ التوحيد، والدليل على ذلك المحكم من التنزيل. قال الله تعالى: **إِنَّا أَنزَلْنَا الرِّسَالَ بَلَّغْ مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**^(٣)، وحديث السلسلة الذهبية المروي عن الإمام الرضا «عليه السلام» حيث قال: سمعت أبي، موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي، جعفر بن محمد

(١) الكافي: ٣٧٧/١ ح ٣.

(٢) أورده الصفار في بصائر الدرجات: ٧٧، النوادر من الأبواب في الولاية، ضمن

ح

(٣) المائدة: ٦٧.

يقول : سمعت أبي، محمد بن عليّ يقول : سمعت أبي، عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي ، الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «عليهم السلام» يقول : سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يقول : سمعت الله عزّوجلّ يقول: **لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، قال: فلما مرّت الرّاحة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها**(١).

وقد جاء في كتاب ينابيع المودّة، نقلاً عن كتاب غرر الحكم نصّ قويّ، عن المولى أمير المؤمنين «عليه السلام» أنّه قال: **إنّ لئله إلا الله شروطاً إنّي وذريّتي من شروطها**(٢).

فالولاية والحالة هذه ليست بالأمر الهين، ويتّضح ممّا تقدّم وكما سيتبيّن أنّها منزلة إلهية ومرتبة سماوية، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا بعث محمّداً خاتماً للأنبياء وسيّداً للمرسلين، هادياً ومبشّراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وصولاً لتحقيق السعادة الكبرى في المجتمع الإنساني، وأنزل عليه المعجزة الخالدة - أعني القرآن الكريم، المتضمّن لعلم ما كان، وما هو كائن، وما يكون إلى يوم القيامة - فوضّ إليه بإذنه تعالى شأنه مهمّة الأمر والنهي وسنّ القوانين، ومنحه صلاحية تشريع السنن ومعالجة ما قد يستجدّ من حالات، أو تلبية ما يتطلّبه أي موقف، سواء كان على صعيد المجتمع أو الفرد، في مجالات الحياة المختلفة، باعتبار أنّ العقل البشري قاصر عن ذلك، ناهيك عن عجزه عن درك واستيعاب كلّ ما ورد من علوم جمّة في القرآن الكريم، واستنباط

(١) أورده الشيخ الصدوق «رحمه الله» في عيون أخبار الرضا «عليه السلام»: ١٤٤/٢ باب ٣٧ ح ٤، عنه بحار الأنوار: ٧/٣، كتاب التوحيد الباب الأوّل ح ١٦.
(٢) ينابيع المودّة: ٣٧٧/١.

القواعد والقوانين منه. فبسبب الحاجة إلى الشريعة الإلهية، والقانون الربّاني لتنظيم المجتمع ومسيرة الإنسان، ولمحدودية العقل البشري، ولأنّ الخالق العظيم جلّ جلاله وتعالى شأنه عن مباشرة ذلك، كان لا بدّ من واسطة بينه _ عزّ شأنه _ وبين خلقه، لنقل ما تقتضيه المشيئة الإلهية إلى الخلق، وهذا ما كان يؤدّيه الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» الذي انتجبه الله على العالمين، وحباه من الصفات والسمات والمؤهلات والقدرات ما سما به عن جميع الخلائق، وأيدّه بقوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (١) وبقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (٢).

وحرّيّ بالإشارة أنّ تلك القدرة، والولاية التشريعيّة الممنوحة من الله تعالى إلى رسوله الأمين «صلى الله عليه وآله» كانت قد تطلّبت _ قبل ذلك _ منحه «صلى الله عليه وآله» قدرات خاصّة، ومقاماً استثنائيّاً، وولاية تكوينيّة تؤهّله للاطلاع الكامل، والاحاطة التامّة، والمعرفة الشاملة لكلّ ما في الوجود، في اللحظة التي تتطلب منه قولاً حازقاً، أو فعلاً خارقاً لمعالجة الأمور؛ ليكون قوله وفعله، أو إصداره القانون وإطلاقه الحكم، موضوعيّاً وعلميّاً، صائباً دقيقاً كما لو أنّه قد صدر من الله فعلاً. ومن جهة أخرى: فمما يباه العقل، وينكره الوجدان أنّ يدع الله جلّ جلاله خلقه يعيشون عبثاً بلا راع أو إمام بعد وفاة نبيّهم، وغياب ذلك الإتصال الإلهيّ المقدّس. كما أنّ ذا البصيرة لا يمكنه أن يصدّق بأيّ حال من الأحوال أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعيّن من سيقوم مقامه بعد رحيله عن هذه الحياة الدنيا، وأنّ ذلك التعيين _ هو الآخر _ لا بدّ وأن يكون إلهيّاً لما تقدّم من ضرورة وجود القدرات العالية والمقام السامي في ذلك الشخص.

(١) النجم: ٣ و ٤.

(٢) الحشر: ٧.

ولهذا كان لابدّ من شخص يقوم مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتأدية مهامه المختلفة، وليقاتل على تأويل القرآن كما قاتل النبي «صلى الله عليه وآله» على تنزيله، وممارسة دوره في البيان والتبيين، وتحليل ما كان معضلاً، وتفصيل ما كان مجملاً، وتفسير ما كان مشكلاً، وهذا ما حصل بالفعل، فقد عيّن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خليفته ووصيه، وأكد هذا الأمر على الأمة في مناسبات متعدّدة، وذكر أيضاً من سيلي وصيه من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين^(١). وبلا أدنى ريب فإنّ إخباره هذا كان من الله تعالى، باعتبار أنه «صلى الله عليه وآله» لا ينطق عن الهوى _ كما تقدّمت الإشارة إليه _.

ويستفاد من أي الذكر الحكيم أيضاً، أنّ الله سبحانه وتعالى أمر رسوله «صلى الله عليه وآله» أن يبلغ الناس أمرتصيب الإمام علي «عليه السلام» خليفة له، في خطاب تضمّن وعيداً وتهديداً يكشف عن عظم أمر الولاية؛ حيث جعلها جلّ جلاله عدلاً للرسالة النبويّة الشريفة، ومرتكزاً تقوم عليها، وبدونها تنتفي تلك الرسالة. قال سبحانه وتعالى:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ^(٢).

فكان على أثر هذا الخطاب واقعة غدير خمّ الخالدة المشهورة، التي رواها الخاصّ والعامّ بأسانيد صحيحة معتبرة بلغت حدّ التواتر، وذلك في حجة الوداع حيث أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» _ أمام الحجاج _ علياً خليفة ووزيراً ووصياً له بقوله:

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».

(١) راجع في ذلك موسوعة عوالم العلوم للبحراني -المجلد الخاصّ بالنصوص على الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم - .
(٢) المائدة: ٦٧ .

والشواهد في ذلك أكثر من أن تُحصى، فاحتلّ المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، المكانة المقدّسة والمرموقة في السماوات والأرضين، والتي لا تدانيها مرتبة؛ لأنّه «عليه السلام» يمتلك من المؤهلات الروحية والجسدية ما يؤهله لخلافة أفضل المرسلين سيّدنا محمد «صلى الله عليه وآله» ولا توجد هذه المؤهلات في غيره؛ لعدم عصمتهم وأسباب كثيرة لسنا الآن بصدد بيانها.

فالإمام صلوات الله عليه منبج الفضائل والخصال الحسنة، وجامع الكمالات الإنسانيّة الرفيعة، وقدوة مثاليّة للمسلمين، ونبراس رائد للمؤمنين. روي أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أجاب حين سئل: ما تقول في الإمام عليّ «عليه السلام»؟ قال قوله المأثور: **احتياج الكلّ إليه، واستغناؤه عن الكلّ، دليل على أنّه إمام الكلّ في الكلّ.** (١)

ونقل ابن أبي الحديد المعتزلي كلاماً لطيفاً ذا معنى عميق في الإمام عليّ «عليه السلام» نفتطف شذرات منه، حيث قال: فأما فضائله «عليه السلام» فإنّها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التعرّض لذكرها، والتصدي لتفصيلها. ما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله؟ فقد علمت أنّه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدّوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوه، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يُسمّى أحد باسمه؛ فما زاده ذلك إلا رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه، وكلّما كُتم تصوّع نشره؛ وكالشمس لا تُستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/١.

وما أقول في رجل تُعزى إليه كلُّ فضيلة، وتنتهي إليه كلُّ فرقة، وتتجاذبه كلُّ طائفة؟ فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذرها، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها؛ كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي -لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم- ومن كلامه «عليه السلام» اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى؛ ومنه ابتداء... ومن العلوم علم الفقه: وهو «عليه السلام» أصله وأساسه، وكلُّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه.

ومن العلوم علم تفسير القرآن: وعنه أخذ، ومنه فُرِّع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك؛ لأنَّ أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم النَّاس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنَّه تلميذه وخريجه. وقيل له: **أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.**

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف: وقد عرفت أن أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون؛ وقد صرّح بذلك الشبليّ، والجنيد...

ومن العلوم علم النحو والعربيّة: وقد علم النَّاس كافة أنَّه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤليّ جوامعه وأصوله... وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلّاع ثناياها.

وأما الشجاعة: فإنَّه أنسى النَّاس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، يُضرب بها الأمثال إلى يوم

القيامّة...

وأما السخاء والجود: فحالهِ فيه ظاهرة؛ وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده؛ وفيه أنزل: **﴿وَيُطْعِمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينَ وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾** (١).
وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يوم الجمل؛ حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضاً_ فصفح عنه...
وأما الزهد في الدنيا: فهو سيّد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تُشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس؛ ماشبع من طعام قط. وكان أحسن الناس مأكلاً وملبساً.

وأما قراءته القرآن واشتغاله به، فهو المنظور إليه في هذا الباب؛ اتفق الكلّ على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه...
وأما السياسة: فإنّه كان شديد السياسة، خشناً في ذات الله ...

وأما الفصاحة: فهو «عليه السلام» إمام الفصحاء، وسيّد البلغاء؛ وفي كلامه قيل: **دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين**. ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: **حفظت سبعين خطبة من خطب الأئمة، ففاضت ثمّ فاضت**. وقال ابن نباتة: **حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيدُه الإتفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواظ عليّ بن أبي طالب**.

ولمّا قال محفّن بن أبي محفّن لمعاوية: جئتكَ من عند أعيان الناس، قال له: **ويحك! كيف يكون أعيان الناس! فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره ...**

فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتَّبَع فعله، والرئيس المقتفى أثره.

وما أقول في رجل تحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنبوّة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمراً لحربه، وتصوّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنهم يتقاعلون به النصر والظفر... (١)

لذا بعد هذا كلّه وغيره فالإمام هو المؤهل الوحيد لخلافة الرسول «صلى الله عليه وآله» في حياته وبعد مماته، وقد نصّ الله تعالى في كتابه المجيد على هذا في آيات محكمات، وأمر رسوله «صلى الله عليه وآله» بإبلاغ ذلك للناس، وجعل أمر الرسالة والرسول، وجميع الأعمال منوطة بذلك — كما نوهنا على هذا وسوف تلاحظ — عزيزي الموالي — هذا واضحاً في صفحات هذه الأبحاث.

وبالفعل مارس الوصي «عليه السلام» مهامه الإلهية في حياة الرسول «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله تعالى. فكان يخلف الرسول «صلى الله عليه وآله» في جميع أموره المتعلقة بالرسالة وأسرارها وحقائق ما كان أو يكون، بل إنّ الإمام صلوات الله عليه نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنصّ القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (٢) كلّ هذا وغيره شواهد قطعية لا تحتمل الشك على سموّ مقام الإمام صلوات الله عليه.

وقد تكفّل الوصي «عليه السلام» بمهمة ترسيخ الرسالة بعد رحيل رسول الإنسانية «صلى الله عليه وآله» على أتمّ وجه — وبإلها من مهمة شاقّة — فحاول «عليه السلام» ترميم الشرخ

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٢/١ — ٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

الكبير الذي أحدثه يوم السقيفة المشؤوم في الإسلام وأهله؛ وذلك بفعل الأحقاد الدفينة، التي كتمتها صدور القوم، من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كتموا النفاق والكفر والأحقاد، وأظهروا الإسلام والود إلى حين، وأيضاً ركز «صلوات عليه الله» على نسخ وحفظ وترسيخ تعاليم القرآن في قلوب الناس لاسيما في خواص أتباعه_ وأخذ يداري المنافقين_ قدر الإمكان_ حفاظاً على بيضة الإسلام؛ لئلا تذهب، ويرجع الناس إلى جاهليتهم الجاهلاء. فأثار بسيرته العملية الخالدة الطريق للسالكين، وأوجد لهم دستوراً عملياً يُقتنى أثره، بعد أن طيق تعاليم القرآن وسنة الرسول الأمين «صلى الله عليه وآله» على أرض الواقع، فاحتلت كلماته القدسية، وخطبه النورانية_ في جميع صنوف الحياة ومستلزماتها، في: العقائد والأخلاق والفقه والحكمة_ مكاناً فريداً لا يقاس به شيء مهمما علا وسما خلا القرآن الكريم وكلام سيّد المرسلين «صلى الله عليه وآله» فحاول الأعداء التمويه وتضليل الناس؛ فسلكوا في ذلك كل سبل الشيطان.

تباً لأعداءه الماكرين، وإنّ مكر الله خير من مكرهم {وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (١). ومن محاولاتهم الخائبة التي استمدوها أيضاً من سيدهم الشيطان، هي التركيز على شخص الإمام، وتشويه صورته بنظر الناس؛ لحقدهم على الإسلام المحمّدي، ولعلمهم بأنّ الإمام علياً «عليه السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الإسلام بعينه. ولكن نسوا أو بالأصحّ أنساهم الله تعالى أنّ هذا مردود عليهم، وأنّ فضل عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» محفوظ عند الله تعالى، وسوف يعلو ويسمو عند الناس بفعلهم هذا، ولم يضرّ الإمام علياً شيء، وقد أجاد الشاعر في نقل هذا المعنى، حين قال:

وما ضرّ مجدّ أبي طالب جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى
كما لا يضرّ إيّاه الصباح من ظنّ ضوء النهار الظلاماً (٢)

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) الأبيات ضمن مجموعة أخرى لابن أبي الحديد المعتزلي ذكرها في شرح النهج

وعندما أيسوا من ذلك وأيقنوا بأنّ جميع خططهم الشيطانيّة لا تكفي في إخماد نور عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم، حاولوا زرع الشكوك في أقواله وأقوال أولاده المعصومين «عليهم السلام» تارة في التشكيك في معنى كلامه وأخرى في جهة النقل _ أي في السند _ وقالوا فيما قالوا: إنّ هذا الكلام الذي يُنسب إلى الإمام عليّ «عليه السلام» والذي يقول فيه: **أنا الكتاب الذي لا ريب فيه ... أنا سرّ الأسرار ... أنا شجرة الأنوار ... أنا حقيقة الصلاة والصيام ... أنا عندي مفاتيح الغيب ...** غير معقول، أو أنّ سنده واه، أو ماشابه ذلك، فأخذ بعض الناس عنهم هذا، وتداول في أوساط من البسطاء ممن لا يملكون للكلام برهاناً، وللآخرة ميزاناً، فانبرى حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبدالكريم العقيلي «حفظه الله» لهذا الكلام، وحاول ردّ مدّعاهم، وأقام الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة، لإثبات هذه الرشحات النورانيّة الطافحة علينا من الساحة المقدّسة لمولى المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» وذلك عن طريق كتاب الله الصادق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، واستدلّ سماحته بالمحكم من آياته، واستعان بسنة سيّد المرسلين محمّد الأمين «صلى الله عليه وآله» وبحكم العقل الفهيم والنقل السليم. دون كلّ هذا بكتاب أسماه **(سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب)**. أي إنّ سرّ هذه الأنوار القدسيّة المكنونة في حقائق أمير المؤمنين صلوات الله عليه، مسطور في كتاب الله المنشور، وما على الإنسان إلاّ التمعّن في كتاب الله تعالى، وصفاء روحه حتّى ينكشف له ذلك، ويُرّال ما

يعلو نفسه من أدراّن وشبهات.

ولا غرو؛ فإنّ سماحة المحاضر _حفظه الله_ بارع في مجالات شتّى منها: الخطابة والتحقيق والتأليف، وله آثار مشهودة في هذه المسالك وغيرها؛ لذا أضاف هذا مُسحة خاصّة ، ونكهة عطرة تتميّز بالأسلوب الاستدلاليّ المتين، وفي الوقت نفسه بسهولة الطرح والتلقّي؛ وذلك باختيار الألفاظ السهلة ذات المعاني العميقة للدلالة على مراده...

وستلمس _عزيزي الموالِي_ هذا، وتتحمّسه من خلال هذه الأبحاث المهمة، التي ألقاها سماحته في ليالي شهر رمضان المبارك _١٤٢٠ هـ_ق_ من على منبر الإمام الحسين «عليه السلام» في حسينيّة الشيخ الأوحّد في دولة الكويت.

عملنا في الكتاب

وقد ارتأت مؤسسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله» طبع هذه الأبحاث ونشرها بعد اعدادها وتحقيقها تحقيقاً لائقاً؛ لحيويّة موضوعها وأهمّيّته، ولما تنطوي عليه من فائدة جمّة خدمة للدين الحنيف، وذلك بعد إدخال بعض التغييرات البسيطة من حذف عبارات مكرّرة، وإضافة بعض الكلمات اللازمة، لصياغتها قدر الإمكان بما يناسب نشرها، ويسهل تناولها من قبل القارئ، حيث إنّ الخطابة والوعظ من على المنبر الحسيني يستلزم أسلوباً خاصاً غير أسلوب الكتابة والتدوين.

وقام الكادر التحقيقيّ والإداريّ في مؤسسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله» الأخ أبو مهديّ الزيديّ والأخ حسين الأسديّ والأخ سيد خلدون العسكريّ والأخ أبو عليّ الفيليّ بتخريج الآيات القرآنيّة، وإرجاع الأحاديث الواردة في المتن إلى أصولها، أو الكتب الناقلة لها، وذكر بعض البيانات اللازمة في الهامش، ثمّ

عمل الفهارس العامّة لهذه الأبحاث، والإخراج الفنّي، فخرجت هذه الأبحاث بحمد الله تعالى عالية في فنّها، واحدة في جنسها، جليّة فوائدها، شريفة مقاصدها، جامعة للفضائل والمناقب، فجزى الله تعالى سماحة الشّيخ العقيلي والإخوة العاملين في مؤسّسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله» لإحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام» خير الجزاء، بمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم.

فما المرجوُّ إلاّ فضلّه، ولا المأمول إلاّ نفسه، ولا الوثوق إلاّ به تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، ربّنا عليك توكلّنا فأنت حسبنا ونعم الوكيل.

مؤسّسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله»
لإحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام»
الثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام
«يوم الغدير الخالد» ١٤٢١هـ. ق

البحث الأول

الإشارات النورانية البليغة والأسرار الإلهية العظيمة

في معنى الصَّوم

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا شَهْرُ رَمَضَانَ، أَنَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ...

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

أَنَا شَهْرُ رَمَضَانَ، أَنَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَنَا أُمُّ الْكِتَابِ، أَنَا فَصْلُ الْخُطَابِ...
بَلْ نَحْنُ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ^(١).

في معرض هذا الكلام النوراني الصادر من الساحة المقدسة لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، نحاول أن نطرق الأسباب ونُرشد الألباب، إلى الأسرار والمعاني الإلهية العميقة التي يتضمّنها هذا الكلام الإلهي. نعم، كلام الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، هو كلام الله تبارك وتعالى بلا فصل، وليفهم المعاندون المجادلون بالباطل ما يفهموه من كلامنا هذا، وينسبوا ما ينسبوا إلينا من غلوّ وشرك وغيره؛ فكلامنا معلوم محدود، ومبرهن عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والعقل السليم، وذلك بأنّ كلامهم صلوات الله عليهم، هو كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعينه، وكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو كلام الله تعالى.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢)

وبما أنّ هذا البحث والبحوث التي تليه، تتضمّن ابتداءً وختاماً بعض أسرار المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، من خلال الخطب والأقوال والحكم التي صدرت من الساحة المقدسة للمولى صلوات الله عليه، والتي

١- مقطع من الخطبة الافتخارية. أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٦٥.

٢- النجم: ٣ - ٤.

بيّن فيها حقيقته الإلهية العلوّية، وإنيته النورانية العلوّية، المبرهن عليها من كتاب الله المجيد، وسنة نبيه الحميد، فلا بد إذن التمعّن في كلّ فقرة من فقرات هذه البحوث، والوقوف عندها، ويجب أن نفهم المراد الحقيقيّ من كلام المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ولا نقف على ظاهر اللفظ. أي، لنغوص بعقولنا بكل ما نملك من وسائل الإدراك، لكي نصل إلى جوهر الكلام وحقيقته ونتمسك به.

إعلم، وفقك الله للحقّ وأتباعه! وجنّبك الباطل وآثاره! إنّ الغنيمة كلّ الغنيمة في ذلك، فخذ حظك الأوفر منه، فإن أعجزك الفهم والعياذ بالله. فلا يفوتنك التفهّم إن شاء الله تعالى.

بعد هذه المقدّمة نعود إلى كلام المولى صلوات الله عليه. فعندما يقول:
أنا شهر رمضان أنا ليلة القدر... بل نحن الصلاة والصيام...

ما المراد الحقيقي من هذه الأنوار والكلمات الإلهية؟
قبل الإجابة على ذلك، وبما أننا في شهر الله تعالى، شهر رمضان المبارك، لذا نحاول قدر الإمكان أن نستعرض إجمالاً سرّاً رمضانياً عظيماً من خلال الأحاديث المعصومية لمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم.

فقد ورد في الحديث القدسي:

«الصوم لي وأنا أجزي به»^(١).

في معرض هذا الحديث القدسيّ لنا مجموعة من التأمّلات والأبحاث

١- أنظر الكافي الشريف للكليّني «رحمه الله»: ٦٣/٤ . كتاب الصوم باب: ما جاء في فضل الصوم، ح ٦. تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي «رحمه الله»: ١٥٢/٤ . كتاب الصوم باب ٤٠، ح ٣. من لا يحضره الفقيه للصدوق «رحمه الله»: ٤٤/٢ باب ٢٢ ح ٣، وأنظر كذلك روضة المتقين لشرح من لا يحضره الفقيه ، وكذا أورده النسائي في السنن: ١٦٢/٤.

الهامة، نركّز على بحثين منها:

الأوّل: في معنى الصوم، والمراد من «الصوم لي».

الثاني: في معنى «أنا أجرى به».

أمّا بخصوص البحث الأوّل.

فالصوم: عبارة عن روح وجسد، قالب ومحتوى، أي: لا يمكن أن نعرّف الصوم بأنه عبارة عن كفّ النفس عن المفطرات فحسب كما يتصوّره كثير من الناس هكذا أو ما أشبهه فهذا في الواقع هو ما نطلق عليه ظاهر الصوم، وهذا هو الشكل والعنوان العام للصوم.

أمّا روح الصوم وحقيقته، فهو عمارة الظاهر والباطن، وصقل النفوس وتركيز الأبدان. ترى، ماذا يكون غرض الصائم الذي يتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى بهذا السرّ وبهذا الفرض؟

بعض العرفاء الكمل له إجابة لطيفة في ذلك، حيث قال: بأنّ ذلك إنّما لأجل إعداد الباطن لقبول الفيوضات، ولقبول النفحات التي تهبط في ليالي شهر رمضان المبارك، وفي أيامه، لا سيّما في ليلة القدر.

فالصيام إذن: عملية إعدادية للنفس، لتكون مورداً للنفحات الرحمانية، ومحلا لهبوط الفيوضات الربانية، فتخرج من قعر الظلمة لتكون في دائرة النور في هذا الشهر الشريف.

فقوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «الصوم لي» يعني أنّ كلّ الفرائض قد تكون مشتركة فيما بين الله وبين المخلوق، (فيما بين الحق وبين الخلق) فالزكاة مثلا عملية إنماء، والخمس عملية تطهير، والجهاد هو الفوز والمغنم، وما إلى ذلك من فرائض، بحيث لو قسّمتها وأتيت عليها واحدة واحدة، تجد الإشتراك فيما بينها في الفائدة، بمعنى أنّ الفائدة تعود إلى الإنسان، والعبادة يتوجّه بها إلى الله تعالى، أمّا الصوم فلا شراكة فيه؛ لأنّه

الله تعالى مطلقاً، وهذا يوضّح ما قالتها مولانا فاطمة الزهراء صلوات الله عليها: «وجعل الصيام تثبيتاً للإخلاص»^(١).

فالإنسان الصائم هو الإنسان السويّ والمخلص لوجه الله تعالى، وهذا هو معنى «الصوم لي» بمعنى: أنه لا يشرك معه غيره على الإطلاق. وأما قوله: «وأنا أُجزى به».

هنا قراءتان لهذا النصّ القدسيّ :

الأولى: أنا أُجزى به. يعني، أنّ الصائم جزاءه عليّ، وأنا أُجازيه. أي، أُعطيه جزاء صومه لي الجنّة والحدود... وما أشبهه. كما ورد على السنة البعض، حيث قيل: الجزاء هنا هو عبارة عن رضوان الله، وفسره بعضٌ عندما ورد في القرآن وفي الأخبار بأنه عبارة عن الجنان، والفوز بالجنة. **الثانية: أنا أُجزى به.** والمعنى، أنّ الجزاء الذي يحصل عليه الصائم هو الله تعالى. الجزاء هنا ليس الفوز بالجنة، ولا الرضوان، ولا ما إلى ذلك من تصوّرات جزائية، بل الجزاء هو الله سبحانه، ذلك أنّ الصائم ينال الفوز الأعظم بقاء الله تعالى، ويكون الصوم من أعظم العبادات. وبهذا تلاحظ القرب الحقيقي بين هذا المعنى وكلام المولى صلوات الله عليه: «نحن الصلاة والصيام...».

إذن، إذا صام الإنسان بالمعنى الحقيقي للصوم فاضت عليه الأنوار الهابطة، ونزلت في داره الرحمات النازلة، كلّ ذلك ببركة الإخلاص، وبركة الصدق في النية لله تعالى، وبركة وليّ الله المطلق.

إذن، فجزاؤكم أيّها الصائمون وأيتها الصائمات هو «الله» تبارك

١- مقطع من الخطبة الجليلية الفذة التي ألقتها سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، سلام الله عليها، لما بلغها عزم أبي بكر على منعها فدكاً، راجع في ذلك دلائل الإمامة للطبري: ص ١٠٩ ح ٣٦ وغيره.

وتعالى. أي أنّ الله هو الجزاء لا جنة المتع واللذائذ، لا الخلاص من النيران والعبور على الصراط وما أشبه! ما قيمة ذلك قبيل لقاء الله سبحانه والقرب منه تعالى!؟

ولكن كيف سيكون هذا اللقاء مع الله، والله يُجَلِّ عن أن يحدّ بمكان أو زمان وما إلى ذلك من حالات!؟ فانه تبارك وتعالى أجلّ من أن يُرى أو يُحدّ بحدّ أو رسم.

قال تبارك وتعالى:

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١).

فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآية المباركة، وقوله في الحديث القدسي: «أنا أجرى به»؟

هذا ما نودّ أن نطرحه من خلال مقطع من خطبة مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» والتي تكون محطّ القرب لله تعالى في مثل هذه الليالي المباركة.

قال مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

«أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر..أنا صاحب الصلاة في الحضر والسفر، بل نحن الصلاة والصيام...».

هنا نحطّ الرحال فترة حتى نثبت ما المراد بـ «نحن صيام المؤمنين وصلاتهم»؟ أنا شهر رمضان، أنا كلّ هذه الفرائض.

التفسير الأوّل: أن يكون هناك مقدّر حُدْف لمعلومية المراد، وهو كلمة «سرّ» فيكون الأصل: أنا سرّ الصيام، أنا سرّ شهر رمضان، أنا سرّ ليلة القدر. وقد مال إلى هذا التفسير جملة من العلماء، حيث قالوا:

إنه لا بدّ من التقدير، والتقدير أمر مرسوم في كتاب الله، قال الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (١). المجيء والانتقال من حال إلى حال يستلزم المحال؛ لأنّ المجيء إذا كان ينسب إلى الله، فمعنى ذلك أنه ممكن مخلوق؛ لأنّ ذلك من لوازم الممكن، إذ إنّ من لوازم المخلوق المُحدث، الحركة والسكون، وهذه ليست صفات الحقّ على الإطلاق، وإنما هنا لا بدّ من تقدير.

نقل العلامة الطبرسي «رحمه الله» في الاحتجاج، عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال - في خصوص هذه الآية الشريفة، وفي حديث طويل - : **وليس جيبه جلّ ذكره - كجينة خلقه؛ فإنه ربّ كلّ شيء، ومن كتاب الله يكون تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر** (٢).

ونقل الشيخ الصدوق؛ في عيون الأخبار، عن الإمام الرضا «عليه السلام» في تفسير هذه الآية، قال: **إنّ الله لا يوصف بالمجيء والذهاب - تعالى عن الانتقال - إنما يعني بذلك: وجاء أمر ربك... (٣).**

الربّ: يراد به السيّد، المولى، المحمود، الناصر. وأيّ سيد ومولى ومحمود وناصر أجلّ وأشرف من مولانا محمد «صلى الله عليه وآله» وعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم؟! هذا أوّلاً.
ثانياً: ما المقصود من الأمر الذي يجيء؟

١- الفجر: ٢٢.

٢- الاحتجاج: ٢٥٠/١ احتجاجة «عليه السلام» على الزنديق. عنه المشهدي في كنز الدقائق: ٣٤٨/١١. وأنظر كذلك مفاتيح الغيب للرازي: ١٥٨/٣١ - مورد الآية -.

٣- عيون أخبار الرضا «عليه السلام»: ١١٥/١، باب ١١، ح ١٩، عنه المشهدي في كنز الدقائق: ٣٤٧/١١.

الأمر ليس لفظاً أو مصطلحاً اعتبارياً، أو شيئاً مجهولاً ، بل الأمر الذي يجيء مع الملائكة، ويصطفّ معهم يراد به حقيقة وجودية كالملائكة، هذه الحقيقة الوجودية المعبر عنها بالأمر تجدها مصرحاً بها في «الزيارة الجامعة الكبيرة» حيث يقول المعصوم «عليه السلام» : «والمستقرين في أمر الله» وقوله: «وأمره إليكم»^(١) وورد في زيارة الإمام الحسين «عليه السلام»: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»^(٢).

قد يقول قائل: ما هو الوجه والفائدة من هذه الأبحاث التي غالباً ما تكون عميقة وصعبة على الناس؟

وفي الجواب نقول: رُفِعَ سبب الصعوبة، الآن نحن في عصر انفتاح باب العلم على مصراعيه، في الشرق والغرب. يقال : إنه سيكون هناك جهاز يستطلع حركات كل من في المشرق والمغرب، وكذلك القرص النوري الخاص بجهاز العقل الآلي «الكمبيوتر» الحاوي على ملايين الكلمات والمعلومات التي تكون حاضرة بين يديك في أقل من لحظة، فإذا كان العقل وصل إلى هذه المقدرة، فهل يصعب على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يكون خازن العلوم، وأن فيه أسرار الكتاب المبين؟!

لاريب، أنه كلما تصاعدت درجات المعرفة، تصاعدت درجات الفهم والإقبال على أولئك الأشخاص، ومن هذا السرّ _أي سرّ العلم_ ننطلق لكي نعرّف تلك الأسرار لأمير المؤمنين «عليه السلام» حتى يدعن الإنسان بين يدي أقطاب الوجود في العالمين: المولى عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم.

إذن ، فالمراد بـ «أنا الصوم»: يعني أنا سرّ الصوم، يعني كلّ

الفرائض

١- أنظر كتاب سماحة المحاضر - حفظه الله - الصوارم القاطعة في إثبات صحة الزيارة الجامعة: ٥٨ و ١١١.

٢- أنظر كامل الزيارات للقمي: ٣٦٦، ضمن زيارة الإمام الحسين «عليه السلام».

متعلّقة بولايّتي، كلّ الأشياء مرتبطة بها. وكلّ الرسالات والرّسل وجميع الكتب والصحف من زبور وإنجيل وتوراة وفرقان... كلّها متوقّفة على الروح العلويّ، بمعنى أنّه لا قيمة لصوم وغيره، في جميع الأطوار والأكوار السماويّة والأرضيّة إلاّ بمعرفة السرّ العلويّ المكنون، المراد في كلّ شيء. وهذا المعنى، بل هذه الحقيقة مبرهن عليها ومصرّح بها في القرآن المجيد.

فكلّ شيء مرتبط تمام الارتباط بهذا السرّ، لذا قال المولى: «أنا الصيام» «أنا شهر رمضان» «أنا ليلة القدر» بمعنى، أنّها كلّها قوالب حقيقتها وباطنها وسرّها ولاية الميامين صلوات الله عليهم.

قال الحقّ سبحانه _مخاطباً خاتم أنبيائه وسيّد رسله«صلى الله عليه وآله»:_
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ^(١). بمعنى، أنّ كلّ أتعاكب، وكلّ رسالتك السماويّة التي هي جامعة لكلّ الرسالات السماويّة السابقة، لم تبلّغ، ولم تنزل للواقع ما لم تبلّغ ولاية عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»^(٢).

وعندما أبلغ الرسول الأعظم«صلى الله عليه وآله» ما أمره ربّه بولاية عليّ ابن أبي طالب«عليه السلام» نزلت الآية الشريفة: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} ^(٣).

١- المائدة: ٦٧.

٢- نقول: الروايات في ذلك كثيرة، وفي تفاسير الفريقين مسطورة، حيث تُجمع على أنّ هذه الآية المباركة نزلت في يوم الغدير المشهور، حيث أطلق رسول الله«صلى الله عليه وآله» على أثرها حديث الولاية المتواتر المعروف.

٣- المائدة: ٣.

نقول: صرّح أغلب أصحاب التفاسير والحديث - من الفرقة المحقّقة - ، بل أجمعوا على أنّ هذه الآية نزلت بعد إبلاغ الرّسول الأعظم«صلى الله عليه وآله» ولاية الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه في حجّة الوداع. أنظر تفسير الميزان للطباطبائي، تفسير التقلين للحويزي، جوامع الجامع للطبرسي، كنز الدقائق للمشهدي، البرهان للبحراني وغيرهم. وكذا أيضا نقل ذلك جمع من علماء العامّة.

أنظر_أيها الموالي_، إنّ إكمال الدين وإتمام النعمة ، بل قبول الإسلام بكلّ واجباته ومستحباته_ منوط بولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه.
فهذا معنى: **أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أمّ الكتاب، أنا فصل الخطاب... بل نحن الصلاة والصيام والليالي والأيام.**

يعني، أنا سرّ هذه الفرائض والأحوال، أنا باطنها. فصوم ليس فيه معرفة لولايتهم صوم أجوف لا قيمة له، ولا أثر له إلاّ الجوع والعطش؛
لأنه لم يرتكز على المحور الربّانيّ، والسرّ الإلهيّ، وهو معرفة مولانا عليّ بن أبي طالب«صلى الله عليه وآله».

روى البرسيّ«رحمه الله» في مشارق أنوار اليقين، قال:

روى صاحب عيون أخبار الرضا«عليه السلام» قال:

إنّ أمير المؤمنين«عليه السلام» مرّ في طريق، فسأيره خيبريّ، فمرّ بواد قد سال، فركب الخيبريّ مرطبة، وعبر على الماء، ثمّ نادى أمير المؤمنين«عليه السلام»:

يا هذا! لو عرفت ما عرفت لجزت كما جزت.

فقال له أمير المؤمنين«عليه السلام»: **مكانك!** ثمّ أومأ بيده إلى الماء فجمد،

ومرّ عليه، فلمّا رأى الخيبري ذلك، أكبّ على قدميه، وقال له:

يا فتى، ما قلت حتى حوّلت الماء حجراً؟

فقال له أمير المؤمنين«عليه السلام»: **فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟**

فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسمه الأعظم.

فقال له أمير المؤمنين«عليه السلام»: **وما هو؟**

قال: سألته باسم وصيّ محمّد«صلى الله عليه وآله».

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: **أنا وصي محمد** «صلى الله عليه وآله». فقال الخبير: إنه لحق، ثم أسلم^(١).

أجل أخي الفاضل، إنه علي أمير المؤمنين، الذي وضع اسمه على العرش فاستقرّ، وعلى السماوات فقامت، وعلى الأرض ففرشت، وعلى الريح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الوادي فجمع، وعلى النور فقطع، وعلى السحاب فدمع، وعلى الرعد فخشع، وعلى الليل فدجا وأظلم، وعلى النهار فأنار وتبسّم.^(٢)

التفسير الثاني: أن المراد بالصيام هو الحقيقة الولاية المطلقة؛ لأنّ الصوم هو إفراغ النفس عن كلّ لون من ألوان الودّ والمحبة للجبّ والطاغوت، أي عبارة عن تخليص النفس من الشوائب، وأيّ شائبة أعظم من شائبة حبّ الجبّ والطاغوت! وأيّ عبادة يخلص فيها الباطن أعظم من ولاء عليّ وآل عليّ «صلوات الله عليهم» فإذا صمت _بمعنى حقيقة الصوم_ أصبحت مصداقاً للوليّ، وإذا صرت ولياً صرت بمرتبة من هو بين قاب قوسين أو أدنى ولكن لا يدرك حقيقة الصوم إلاّ النبيّ أو الإمام أو العبد الذي امتحن الله قلبه للإيمان.

إذن، قوله «عليه السلام»: **«أنا الصيام»** بمعنى، **أنا الفرض الربانيّ الذي ما من فرض إلاّ وحقيقته وجوهره وروحه ولايتي، والانتكشاف نحو حقيقة التوجّه إلى مقامي.**

١- مشارق أنوار اليقين: ١٧٢ - ١٧٣. عنه البحراني في مدينة المعاجز: ٤٣٠/١، ح. ٢٩٠.

٢- مقطع من الخطبة النورانية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» يصف فيها نفسه المقدّسة. أنظر مشارق أنوار اليقين للبرسي: ١٦٢.

قال عزّ وجلّ: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ} (١) يعني هل أنت ملاق الربّ بمعنى الذات؟ حاشا لله، هذا كفر بالله عظيم، فإذا قال: أنا ألقى الله! وأتحدّث وأرى وما أشبهه، هذه كلمات باطلة بنصّ القرآن الكريم (٢). فالمقصود بلقاء الربّ هو: لقاء أولياء الله «عليهم السلام» لقاء وجه الله، لقاء نور الله؛ لأنّ الله ليس بجسم، ولا يعقل أن يتّصف بذلك أو غيره من الصفات الإمكانية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

إذن قوله تعالى: «أنا أجرى به» يعني، محمّد «صلى الله عليه وآله» هو الجزاء، عليّ هو الجزاء، الأئمة المعصومون هم الجزاء. هذه هي الحقيقة التي نستطلعها من خطابات المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أنا الصيام، أي أنّ حقيقة الصوم هي التولّي، هي المعرفة والانكشاف لوجه الله، وهم وجه الله على الإطلاق.

أورد الصفار في «بصائر الدرجات» عن الحرث بن المغيرة، قال: كنّا عند أبي عبد الله «عليه السلام» فسأله رجل عن قول الله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٣) فقال:

ما يقولون؟ قلت: يقولون هلك كل شيء إلا وجهه.

فقال: سبحان الله! لقد قالوا عظيماً، إنّما عنى كل شيء هالك إلا وجهه الذي يؤتى منه، ونحن وجهه الذي يؤتى منه. (٤)

١- البقرة: ٤٦.

(٢) وأنظر كذلك ما تقدّم في بحث الآية الشريفة {وجاء ربك} فقد أجاد سماحة المؤلف حفظه الله في بيان أنّ المقصود من المجيء هو مجيء أمر الله سبحانه. وهم صلوات الله عليهم أمر الله ووجهه. وهنا أيضاً تتصرف الآية الشريفة لهم صلوات الله عليهم.

٣- القصص: ٨٨.

٤- بصائر الدرجات: ٦٥ باب ٤ ح ١.

هذه بعض أسرار مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» وكل مؤمن مستعدّ في مثل هذه الليلة المباركة لأن يكون ضيفاً على الله، فقد ورد عن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» في شهر رمضان، أنه قال: **وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجُعتم فيه من أهل كرامة الله**^(١). أي ضيافة وليّ الله، وضيافة عبد الله المطلق، ووليّه الذي لا حدّ له في هذا الوجود.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله الهداة المهديين.

١- مقطع من خطبة الرسول «صلى الله عليه وآله» في شهر رمضان. أوردها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا «عليه السلام»: ٢٦٥/١ ح ٥٣.

البحث الثاني

انوار الكامنة والأنوار الالامعة في الخطاب الالامير

في معنى الكتاب

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ

قال المولى أمير المؤمنين، صلوات الله عليه :
«أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه»^(١).

قبل الشروع في كشف بعض المعاني والأسرار الكامنة في كلام المولى صلوات الله عليه : «أنا الكتاب» ومن أجل أن نبحت سرّ هذه الكلمات النورانية، ونستفيد من فيوضات المولى في هذه العبارات والإشارات الإلهية، لابدّ أن نعيش مع هذه النفحات والنسمات بكلّ جوارحنا وجوانحنا، بكلّ ما وهب الله تعالى لنا من مواهب وعلى رأسها العقل. ولا نصغي أو نميل إلى تلك الشبهات والأوهام التي يثيرها البعض، من أنّ هذه الكلمات، بل أن هذه الخطب التي تحتويها، غير مسندة، أو ضعيفة وما أشبه . فنقول لهؤلاء جميعاً ولمن ساندتهم _تلميحاتٍ أو تصريحاً_ : إنّ هذه الخطب والكلمات مطابقة لحكم العقل والنقل، وفي نفس الوقت هي قويّة كقوة الجبال الراسيات في وجه أعداء آل محمد «صلى الله عليه وآله» بل ما قوة الجبال وغيرها أمام كلمات محمد وآل محمد صلوات الله عليهم؟! ما لكم كيف تحكمون؟! تستتكرون على عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم أن يقولوا: **نحن الكتاب!** وهم صلوات الله عليهم القرآن بعينه ، بل هم القرآن الناطق، وتفضيل الناطق على الصامت معلوم ضرورة _وهنا بحث هام يأتي في محله إن شاء الله تعالى_.

فكلامنا دليل ومعين لمن له مسحة ولو قليلة من الإيمان، وفي نفس

(١) مقطع من الخطبة الروحية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» . أنظر مشارق أنوار اليقين : ١٧٠ . وهذا الكلام للمولى مقتبس من كلام الله تعالى في كتابه العزيز : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) البقرة: ٢ .

الوقت صفة ساحقة ماحقة لمن هدفه التشكيك في مقامات محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، وذلك بجلب الأدلة من الكتاب الكريم والعقل السليم بأن المولى أمير المؤمنين «عليه السلام» هو المقصود بحقيقة الكتاب في الكتاب، بل إن الكتاب وما فيه يتوقف على فهمنا لأمر المؤمنين صلوات الله عليه.

إذن، كلامنا في هذا البحث يدور مع من شكك أو توهم في ذلك، أما الذين يتبعون ويوالون محمدًا وآل محمد صلوات الله عليهم حقيقة، ويتبرأون من الجبت والطاغوت بكل الوجوه، ومن كل الاتجاهات، فهم في غنى عن ذلك، بل إن كل ذرة من كينونتهم مصدقة بما تقوه به آل محمد صلوات الله عليهم، ومتبعة له - كما هي حقيقتكم إن شاء الله تعالى - .

وقبل الخوض في عبائر المولى أشير إشارة هامة، وهي أنه من أجل أن نثبت متون هذه الخطب على ضوء القرآن الكريم، والأخبار الصادرة عن النبي الأمين «صلى الله عليه وآله» وأيضاً على مستوى الوجدان، والعقل السليم بأننا سنبحثها خلال هذا الشهر بحثاً علمياً وموضوعياً عميقاً، قابلاً للفهم، وذلك من خلال عرض اليقينيات بالمعنى الأخص^(١)، أو قابلاً للتفهم من خلال عرض المقبولات^(٢)، لكي لا تكون حجة لمشكك بعد هذا.

ولنشرع - أخي الفاضل - بانتخاب بعض الآيات والمفردات القرآنية ونحاول بحث ذلك بحثاً موضوعياً، ونستدل عليها استدلالاً علمياً؛ لكي

(١) هي الإعتقاد المطابق للواقع الذي لا يحتمل النقيض لا عن تقليد وقيد هذا سماحة المحاضر - حفظه الله - تحاشياً عن اليقين بالمعنى الأعم الذي هو مطلق الإعتقاد الجازم.

(٢) المقبولات: هي قضايا مأخوذة ممن يوثق بصدقه تقليدياً، إما لأمر سماوي كالشرائع والسنن المأخوذة عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وإما لمزيد عقله وخبرته كالمأخوذات من الحكماء وأفاضل السلف وأهل الخبرة في اختصاصهم.

نتوصل عن طريق ذلك إلى شاء الله تعالى إلى فهم بعض الحقائق النورانية الكامنة فيها.

قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (١).

ما المقصود من الكتاب في الكتاب؟

لابد من التأمل في كلمات القرآن، والتدبر في معانيه حتى نصل إلى المراد الحقيقي من ذلك، وإلا في المرور السطحي الخالي من التدبر لا يمكن العثور على السر المكنون في هذا الكلام الإلهي.

قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (٢).

وقال تعالى في آية أخرى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ} (٣).

إذن، الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالتدبر في القرآن، فعلينا سبر أغواره؛ لكي نستخرج الجواهر واليواقيت المكنونة فيه، ببركة محمد وآله الكرام، صلوات الله عليهم أجمعين. فلنتدبر معاً ونحاول أن نفهم معنى الكتاب الوارد في الكتاب. وما فيه من أسرار ما كان وما يكون، في مختلف الشؤون: سماوية كانت أم أرضية، شهودية أم غيبية، لاهوتية أم ناسوتية في عوالم العرش، اللوح، القلم والكرسي، وما إلى ذلك من مخلوقات، ومما يعلم ومما لا يعلم، وما يرى وما لا يرى، كل ذلك أين علمه؟ أين ينطوي؟ وفي من؟ وعند من؟ فإذا عرفنا ذلك، أدركنا أن صاحب هذا المقام إذا وقف الإنسان بين يديه، وقف

(١) البقرة: ٢.

(٢) محمد «صلى الله عليه وآله»: ٢٤.

(٣) القمر: ١٧.

خاشعاً متصدّعاً خاضعاً لتلك القمة التي لا يستطيع أحد أن يصفها بحدّ أو رسم، أو أن يسمها بسمة، أو أن يصفها بصفة، وحاشا أن يصفه الواصفون، أو أن ينعته الناعتون، هذه حقيقته في الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من ربّ العالمين^(١).

لابدّ إذن أن نبحت في هذا السرّ، حتّى نصل إلى أعماق الكينونة والصفة التي عليها صاحب الكتاب، ومن عنده علم الكتاب صلوات الله عليه.

وثقتي كبيرة أنه لو سمع هذا الكلام من سمعه من أهل العقل، يهودياً كان أو نصرانياً، بوذياً كان أو مجوسياً، وحكم وجدانه وأنصف، لقضى بالذي ينتهي إليه معاشر الإمامية، أعلى الله كلمتهم.

تأمّل _ أخي الفاضل _ قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} الذي فيه إشارة إلى شيء بعيد، ولم يقل (هذا الكتاب) إشارة للقريب، فالإشارة إلى البعيد ماذا تعني؟

لا ريب تعني أنّ الكتاب الذي فيه الأسرار لا يمكن أن تبلغه العقول، ولا أن تصل إليه الفحول مهما بلغوا، ومهما حاولوا، وبالتالي لا يمكن أن يشار إليه بالإشارة القريبة، وإنما يشار إليه بالإشارة البعيدة، لبعده تناوله عقلاً.

قال جلّ وعلا: {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}^(٢).

فالذي اتّخذه الله شهيداً، ليشهد مع الله، ليكون في شهادته شاهداً مع الحقّ، لم يصفه تعالى بوصف عادي، ولم يذكره بصفة التدين، الإيمان، العبادة، الزهد، وصفة التقوى، وما إلى ذلك، وإنما قال :

(١) مقتبس من قوله تعالى في سورة الواقعة: ٧٩.

(٢) الرعد: ٤٣.

{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} وليس {علم من الكتاب} وهذا هو الذي نريد أن نصل إلى واديه إن شاء الله تعالى، وهناك تتكشف الكروب ببركة سرّ القلوب، المولى أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، وعندها ينقطع الخطاب، ويناد المناد: **أطفئوا السراج فقد طلع الصبح، صبح ولاية المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه.**

قال تعالى في محكم كتابه: {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (١).

فالنطق لمن يعرف أوليات اللغة العربية، عبارة عن الألفاظ التي ينطقها المتكلم، يقول: هذا كتاب ينطق عليكم بالحق، وإذا أردت أن تعرف الناطق بالحق، تمعن في قول خاتم الأنبياء وسيد المرسلين «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٢): **«علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»** (٣).

إن، علي «عليه السلام» هو الكتاب الناطق بالحق.

قال تبارك وتعالى: {وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} (٤).
اختلفوا في الكتاب، فالاختلاف بين المسلمين ليس في القرآن الكريم، وإنما الاختلاف في الصفحة الناطقة من الكتاب، وهذه مسألة في غاية

(١) المؤمنون : ٦٢.

(٢) مقتبس من قوله تعالى في سورة النجم : ٣ - ٤.

(٣) الحديث مشهور، وفي كتب الخاصة والعامّة مذكور، راجع بحار الأنوار: ٣٦٨/٢٨.

(٤) البقرة: ١٧٦.

الأهمية، ونحن في شهر القرآن والكتاب، ينبغي أن نقرأه ونفهمه كما أراد الله، وبين المصطفى «صلى الله عليه وآله» لنصل إلى الحقيقة.
قال تبارك وتعالى في آية أخرى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (١).
القرآن يقول صراحة {مَا فَرَطْنَا} يعني ما تركنا {فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} فكل شيء هو في ذلك الكتاب. ما من ولاية تكوينية، أو تشريعية، ولا علوم غيبية، أو علوم حديثة، أو قديمة من: فلك ونجوم وفيزياء وكيمياء و... إلا وهي محصورة في الكتاب.

قال سبحانه وتعالى: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٢). كل ما يصدق عليه أنه ذو سيولة، أو أنه ذو بيبوسة فهو في كتاب مبين. وقال تعالى: {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣). وقال تعالى: {وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٤). وقال تعالى: {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} (٥). وقال تعالى: {مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} (٦). وقال تعالى: {قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} (٧). وقال تعالى:

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) هود: ٦.

(٥) الإسراء: ٥٨.

(٦) الكهف: ٤٩.

(٧) طه: ٥٢.

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} (١).
وقال تعالى: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٢). و
قال تعالى أيضاً: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ} (٣).

إذن، الكتاب فيه كل شيء من عوالم الفوق، وعوالم الدون، وما فيهما من أسرار ظاهرة وباطنة، ولهذا قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «سلوني قبل أن تفقدوني» (٤)، وما قالها أحد قطّ غيره، صلوات الله عليه.

روى أبو الطفيل، قال: شهدت عليّ بن أبي طالب يقول: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم...» (٥).
الشيء يصدق على النملة، ويصدق على الذرة، والمجرة، والعرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والسموات، و على الأرضين، وما فيهما، سلوني عنها عدداً، وثقلاً، وما إلى ذلك، ومن أين نشأت، وإلى أين تنتهي، وماذا تصنع، سلوني عن ذلك، أنا أخبركم عن كل هذا، وهذا ما لم يقله أحد، ولهذا عندما أراد البعض محاكاته صار مضحكة الثكالى.

(١) الحج: ٧٠.

(٢) النمل: ٧٥.

(٣) الحديد: ٢٢.

(٤) نقل هذا القول، عن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» أهل الخاصّة والعامّة منهم:

المتقي الهندي في كنز العمال: ٥٦٥/٢ ح ٤٧٤٠.

(٥) انظر ينابيع المودة للقندوزي: ١٧٣/٢ ح ٤٩٣.

روي عن سفيان بن عيينة، أنه قال: قال مقاتل بن سليمان يوماً: سلوني عمّا دون العرش! فقال له إنسان: يا أبا الحسن، أرأيت الذرّة أو النملة، أمعاؤها في مقدّمها أو مؤخرها؟ قال: فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له. قال سفيان: فظننت أنّها عقوبة عوقب بها.

وقال يوسف السمّتي: قال مقاتل بن سليمان بمكّة: سلوني ما دون العرش! فقام قيس القياس، فقال: من حلق رأس آدم في حجّته؟ فبقي^(١) -أي بقي مقاتل لا يدري ما يقول له- .

بعد أن تبيّن أنّ كلّ شيء ممّا دقّ وكبر وممّا علا أو سفل فإنّ علمه وأحاطته عند المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه. فيكون كلام المولى: **«أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه»** هو عين الحقيقة والصواب بلا أدنى شكّ أو ارتياب. فلا عجب إذن حين يقول: أنا عندي مفاتيح الغيب، لا يعلمها بعد رسول الله إلاّ أنا، ... أنا العالم بمدار الفلك الدوّار، أنا صاحب مكيال وقطرات الأمطار، ورمل القفار بإذن الملك الجبار^(٢).

هذا هو مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهذا هو القرآن، وهذه هي الآيات البيّنات، فهل يرتاب أحد بعد هذا؟ وهل بعد الحقّ إلاّ الضلال؟! إذن، بمدلول هذه الكلمة الملكوتية، «الكتاب» نثبت عبارات الخطاب العلويّ المولوي في خطاباته المعروفة بالروحية وغيرها، من خلال كلام الله تعالى. **ويتّضح بأنّ إمامكم المولى أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الصفحة التي**

(١) أورد هذا وغيره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ١٦٧/١٣ في ترجمة مقاتل.

(٢) مقطع من الخطبة الروحية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام». أنظر مشارق أنوار

اليقين: ١٧٠.

انطوى فيها علم كل شيء، وهو الكون الجامع الذي كان فيه ما كان وما يكون، وما هو كائن، وهو الوجود الجامع لكل شيء، أحصاه ربه وكوّنه بقدرته، وبناه بحكمته، حتى صار علياً عالياً أعلى، كما تنص بعض الروايات بأن حقيقته في بعض الكتب السماوية «الأعلى» وفي بعض الكتب السماوية الأخرى «العالي» وفي بعضها «العلي». ثم إن هذا الكتاب: الأعلى، العالي، العليّ أورثه الله تعالى المصطفين من عباده صلوات الله عليهم.

قال تعالى في محكم كتابه:

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (١).

بهذا يتضح بأن هذا السرّ المكنون في هذه الكلمات العلوية حق لا ريب فيه، فعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم، هم الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين.

وثبت هذا النصّ الذي صدر عن لسان أمير المؤمنين «عليه السلام» بالآيات المحكمات، من القرآن المبين، فلا مجال للترديد في صحّة هذه المضامين إذا كان القرآن يشهد عليها، وكفى بالقرآن شاهداً، وكفى بالله شاهداً وشهيداً.

قال تعالى: {سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (٢).

فإذا كان الله يشهد لحقّ عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» فلم نعرض عن هذه الشهادة لوساوس ولأمراض يضعها البعض!؟

ومادام الكتاب هو إمامنا، وغداً نقف بين يدي الله تعالى، والفيصل

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) فصلت: ٥٣.

كلمة الحقّ واتّباع الحقّ، وذلك ليس بالهزل، وإنّه لقول فصل لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلماذا لا نصدع بالحق المبين أمام الخلق
أجمعين.؟!

هذا هو مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «عليه السلام».
جعلنا الله وإياكم من العارفين بحقّه والمتّبعين ولايته وولاية الميامين
من ولده صلوات الله عليهم.

البحث الثالث

المؤمنين الرحمانية الجليلة والتسديدات الغيبة العلية

في علم الإمام عليّ «عليه السلام»

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا الْعَالَمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ...

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
«أَنَا الْعَالَمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ... أَنَا الْكِتَابُ الْمَسْطُورُ... أَنَا أَعْلَمُ
هَمَاهِمَ الْبَهَائِمِ، وَمَنْطِقَ الطَّيْرِ، أَنَا الَّذِي أَجُوزُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ
السَّبْعَ، فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ»^(١).

مما لا ريب فيه إنَّ الكلمات النورانية الصادرة عن المولى صلوات الله عليه، تحتاج إلى قلب منشرح بالإيمان ، حتى يفهم المراد الحقيقي منها، ويستخرج العلوم والمعارف التي تكتنفها. أمَّا الذي يجد في نفسه حرجاً، أو عدم تفاعل مع هذه الأنوار القدسيَّة، فعليه مراجعة نفسه، وتصفيته من الأكدار والعوالق التي علقت بها، نتيجة ابتعاده عن العلوم الحقَّة، واتِّباع هذا وذاك ممَّن عشعش المرض في قلوبهم وأورثهم الحسد والبغض لكلِّ ما هو خير، وأخذ يُشكِّك في كلام المولى صلوات الله عليه وآله، بل في جميع مقاماته؛ بحجَّة أنَّ هذا الكلام غير مسند أو ضعيف، وحجج أخرى واهية. فنقول له: بأنَّ هذا الكلام النوراني يحتاج إلى محلِّ مصفَى من الأكدار حتَّى تفيض عليه المواهب الرحمانيَّة – كما قدَّما – هذا أولاً .

وثانياً: لو سلَّمنا، أنَّ هذه الكلمات ضعيفة الإسناد_أي أنَّ نقله هذا الكلام فيهم ممَّن لا يوثق بنقله، وما أشبه_ نقول: ليس كلِّ ما كان ضعيفاً

(١) مقطع من الخطبة الروحية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» . أنظر مشارق أنوار اليقين : ١٧٠.

يترك، بل هناك قاعدة قررها العلماء _حتى بعض أبناء العامة_ (١)
مفادها أنّ الضعيف يتقوى بكثرة طرقه . وإن نقلت هذه الكلمات
والحمد لله _كثيرون .

وثالثاً: إنّ ضعف السند في هذه الكلمات _إذا سلّمنا به_ غير قادح
بها؛ لأنّها موافقة للقرآن الكريم، بل القرآن يصرّح بها في كثير من آياته،
والأحاديث النبوية مستفيضة في معناها. فليتمعن المشككون _قبل رفضهم
هذه الكلمات النورانية والفيوضات الرحمانية_ في كتاب الله تعالى ، وسنة
نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله» ؛ حتى يفهموا السرّ العلويّ المكنون فيهما، وذلك
لأنّ القرآن الكريم هو المعيار الحقيقي للقبول أو الرفض، فما وافق القرآن
فعلى الإنسان _جزماً_ الأخذ به ، وما خالفه يضرب به عرض الحائط مهما
كان _كما نصّت الرواية الصحيحة عن المعصومين صلوات الله عليهم_

وإنّ هذه الأنوار الصادرة من المولى صلوات الله عليه، جميعها مقرّرة
في كتاب الله تعالى ، فالقرآن المجيد يثبت كلّ كلمة صدرت من المولى _كما
تقدّم وستلاحظ ذلك في بحثنا هذا، والبحوث الآتية إن شاء الله تعالى_ .

وعمدة ما نريد أن نقرّه ونثبته في هذا البحث عقلاً ونقلاً هو أنّهم
صلوات الله عليهم، يعلمون ما كان وما يكون ولا تخفى عنهم غائبة لا في
سماوات ولا في أرضين ، بل كلّ شيء حاضر لهم كحضور النفس لذاتها
وذاتيّاتها ، فعلمهم صلوات الله عليهم بالأشياء علم إحاطة لا علم حصول (٢).

(١) كالعلامة السيوطي في أغلب رسائله ، فقد صرّح بتلك القاعدة. أنظر مسالك
الحنفا: ٥٦ (ضمن الرسائل العشر) . والعلامة الأزهري الأذقي في بلوغ المأرب،
وغيرهما.

(٢) هذا العلم هو الذي يعبر عنه بلسان أهل الفلسفة والمنطق بالعلم الحضورى _ أي
حضور نفس المعلوم لدى العالم، بخلاف العلم الحسولي الذي هو حضور صورة المعلوم
لدى العالم _

قال تعالى في كتابه المجيد : {وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (١).

وقال تعالى: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٢).

وقال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} (٣).

وقال تعالى: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٤).

وقال تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (٥).

وقال تعالى أيضاً: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (٦).

بعد أن أوضح لنا الله تعالى أن علم ما كان وما يكون، وما من صغيرة ولا كبيرة، ولا من غائبة في سموات أو في أرضين ، بل إن كل شيء موجود في الكتاب، وللكتاب الإحاطة التامة بكل شيء. أخبرنا تعالى بأن كل هذا وغيره أورثه للذين اصطفى من عباده . فمن هم المصطفون الذين يعينهم الله تعالى في كتابه المجيد؟ نقل الشيخ الصدوق «رحمه الله» في عيون أخبار

(١) هود: ٦.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) النمل: ٧٥.

(٥) الأنعام: ٣٨.

(٦) فاطر: ٣٢.

الرضا «عليه السلام» عن الريان بن الصلت، قال:
حضر الرضا «عليه السلام» مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه
جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى
هذه الآية:

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا؟}

فقالت العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمة كلّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا «عليه السلام»: لا أقول كما قالوا، ولكنّي أقول: أراد الله عزّ
وجلّ بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟

فقال له الرضا «عليه السلام»: إنّه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة،
لقول الله عزّ وجلّ: {فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَنْهُمْ سَابِقٌ
بِالْخَيْرَاتِ يَا ذَنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (١) ثمّ جمعهم كلّهم في الجنة،
فقال عزّ وجلّ: {جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} (٢) الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا
لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟

فقال الرضا «عليه السلام»: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ:
{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (٣)
وهم الذين قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم: «إني مخلف فيكم

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) فاطر: ٣٣.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(١).

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة، أهم الآل أم غير الآل؟
فقال الرضا «عليه السلام»: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤثر عنه أنه قال: أمّتي ألي، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه، آل محمد أمّته.

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: أخبروني، فهل تحرم الصدقة على الآل؟
فقالوا: نعم

قال: فتحرم على الأمة؟
قالوا: لا.

قال: هذا فرق بين الآل والأمة، ويحكم! أين يذهب بكم؟! أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟
قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟

فقال: من قول الله عزّ وجلّ: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} ^(٢). فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أن نوحاً حين سأل ربه عزّ وجلّ: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ

(١) يُعرف هذا الحديث بحديث الثقلين، وهو من الأحاديث المشهورة التي بلغت حدّ التواتر، رواه الخاصّ والعامّ بأسانيد شتى، وألفاظ مختلفة.
(٢) الحديد: ٢٦.

أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (١) وذلك أَنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ وَعَدَهُ أَنْ يَنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : {قَالَ يَأْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (٢).

فقال المأمون: هل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال أبو الحسن: إن الله عزَّ وجلَّ أبان فضل العترة على سائر الناس

في محكم كتابه.

فقال له المأمون: وأين ذلك من كتاب الله؟

فقال له الإمام الرضا «عليه السلام»: في قول الله عزَّ وجلَّ :

{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ*
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٣).

وقال عزَّ وجلَّ في موضع آخر: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} (٤)

ثم ردَّ المخاطبة في أثر هذه إلى سائر المؤمنين، فقال :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (٥)

يعني، الذي قرنهم بالكتاب والحكمة، وحسدوا عليهما... الخبر (٦).

(١) هود: ٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٤) النساء: ٥٤.

(٥) النساء: ٥٩.

(٦) عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق: ٢٢٨/١ ضمن ح ١.

تأمل في كلام الإمام «عليه السلام» إن الذين اصطفاهم الله جلّ جلاله وآتاهم الكتاب، هم محمد، وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.
وفي رواية أخرى أخرجها الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف، بإسناده عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهرة وغيره، عن محمد بن حمّاد، عن أخيه أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول «عليه السلام» قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي «صلى الله عليه وآله» وورث النبيين كلهم؟
قال: نعم.

قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد «صلى الله عليه وآله» أعلم منه.

قال: قلت: إن عيسى بن مريم «عليه السلام» كان يحيي الموتى بإذن الله؟

قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول

الله «صلى الله عليه وآله» يقدر على هذه المنازل.

قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك في أمره: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} فغضب عليه، فقال: {لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} (١) وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا - وهو طائر - قد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتَى} (٢). وقد ورتنا

(١) النمل: ٢٠ - ٢١.

(٢) الرعد: ٣١.

نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال، وتقطع به البلدان، وتحیی به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون، جعله الله لنا في أمّ الكتاب، إنّ الله يقول: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}.

ثمّ قال: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} فنحن الذين اصطفتنا الله عزّ وجلّ وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كلّ شيء^(١).

أنظر إلى الثوابت القرآنيّة التي نصّ عليها القرآن الكريم صريحاً، منها: مامن صغيرة ولا كبيرة، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلاّ في كتاب، ما أصاب من مصيبة ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب، هذه ثوابت قرآنيّة. وإذا كان الكتاب أورثه الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وآل عليّ صلوات الله عليهم، وهذه ثابتة قرآنيّة أيضاً، إذن، عندهم صلوات الله عليهم، كلّ شيء ممّا كان أو يكون أو هو كائن، وكلّ شيء منطوق في مكنون ذواتهم صلوات الله عليهم، ويترتب على هذا أثر هامّ، وهو أنّ الإنسان العارف بمقامهم يسمو، وتعرج روحه إلى أعلى الدرجات.

وأيضاً يمكن أن يستخلص من الآيات القرآنيّة التي تقدّمت وغيرها نتيجة قرآنيّة لا يشوبها الشك والتردد وذلك باتباع الأسلوب المنطقي في ذلك. وهي: أنّهم صلوات الله عليهم، لهم الاحاطة الكاملة بالأشياء — بإذنه تعالى — كيفية القياس المنطقي من القرآن على إثبات ذلك:.

(١) أنظر الكافي الشريف للكليني «رحمه الله»: ٢٢٦/١ باب الحجّة ح٧، عنه كنز الدقائق للمشهدي: ١٢٢/٥.

بعد أن تبين لك _عزيزي الموالي_ من الآيات القرآنية الشريفة بأن علم كل شيء مما كان وما يكون وما هو كائن، وما من غائبة في السماوات والأرضين، ولا رطب ولا يابس، ولا صغيرة ولا كبيرة، ولا مستقر ولا مستودع، بل كل شيء إلا وهو مسطور في الكتاب الكريم. نأخذ هذه المسئلة القرآنية مقدمة للقياس، ونضمها إلى مقدمة أخرى وهي مقدمة قرآنية أيضاً _ قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}.

فحسب القياس المنطقي، والذي من قواعده حذف الحد الأوسط أي، «الكتاب» ينتج من كلتا المقدمتين نتيجة قطعية هي :

إن علم كل شيء مما كان وما يكون وما هو كائن، وما من غائبة في السماوات والأرضين، ولا رطب ولا يابس، ولا صغيرة ولا كبيرة، ولا مستقر ولا مستودع، بل كل شيء، أورثناه الذين اصطفينا من عبادنا.
وهذه النتيجة مكوّنة من مقدمات قرآنية قطعية.

المناطقة قالوا: إذا كانت المقدمات في الاستدلال صحيحة ، فقطعاً تكون النتائج صحيحة . وهاتان المقدمتان قرآنيّتان ، فهل في القرآن شكّ يا أولي الألباب؟!

إذن، ينبغي أن نتعرّف على أسرار المولى صلوات الله عليه، من خلال الكتاب، بل المراد بالكتاب هم صلوات الله عليهم؛ لأنّ أسرار الخطاب، وكلّ ما انطوى في الكتاب إنما هو حاضر بين أيديهم صلوات الله عليهم، والذي يريد أن يناقش، فليناقش كتاب الله، والمناقشة حينئذ تكون مع القطعيّات القرآنية.

يروى عن الأئمة «عليهم السلام» أنّهم قالوا:

إنّ بعضاً قصرُوا في حقّنا فأنزّلونا عن مراتبنا وهاهم يقرّأون

كتاب الله، يرتل عليهم صباحاً ومساءً، آناء الليل وأطراف النهار^(١).

المهم أن يفقه الإنسان كتاب الله، وأيم الله، كل شيء في هذا الكتاب الكريم، وكل مراتب أهل البيت موجودة في الكتاب، ولكن يحتاج الأمر إلى غواص ماهر، وإلى ذكي نور الله قلبه بالإيمان حتى يستنبط ويستخرج من قعره تلك العلوم والأسرار، وهذا كله موجود في القرآن، وإذا كان الذي عنده علم من الكتاب {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} ^(٢) فكيف بمن عنده علم الكتاب كله؟

أيعسر عليه أن ينظر ويجوز السماوات والأرضين؟!
الآن اليهود والنصارى وغيرهم بدأوا يحلقون في الآفاق، ويصعدون إلى الكواكب، ويضعون في القرص النوري «الدسك» الخاص بالعقل الآلي «الكمبيوتر» ملايين الكتب والكلمات والألفاظ، ويستخرجون المعلومات باستنطاقه بالرمز الخاص.

فإذا أمكن أن يستخرج من هذا الجهاز تلك المعلومات الضخمة بلحظات، فكيف بهم وهم صلوات الله عليهم، فوق ذلك بكثير؟! تأمل وانصف! ولكن لن يتيسر لأي أحد من الخلائق أن يفقه مقامهم إلا بعد التصفية والتخلية لنفسه من جميع الشوائب والأدران، والتوجه الحقيقي لله تعالى، فعند ذلك يفتح لك سر الأسرار، وتفهم كلامهم صلوات الله عليهم.
فأبحاثنا كلها _سواء في هذا البحث أو غيره من الكتاب_ هي لتتويج كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» بالميزان العلمي الصحيح والدقيق من خلال البرهان القطعي في كتاب الله الكريم، وفي أخبار الأئمة الميامين «عليهم السلام» والعقل السليم. وبهذا يرتفع الإنسان ليسمو بروحه عن عالم الإمكان الفقير المحدود

(١) راجع البحار: ١٤/٢٦، ففيه ما يغني إن شاء الله تعالى.

(٢) النمل: ٤٠.

ويتحرّر من قيوده ، وينطلق إلى عالم الفوق، عالم السموّ والروح والروحانيات؛ فهناك يفهم مراد الإمام صلوات الله عليه، في قوله:
«أنا العالم بما كان وما يكون... أنا الكتاب المسطور... أنا أعلم
هماهم البهائم، ومنطق الطير، أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين
السبع في طرفة عين».
إذن ، أثبتنا من خلال هذه الأبحاث بأنّ الكتاب هُم صلوات الله عليهم،
وكلّ ما في الكتاب عندهم بنصّ الكتاب، وهذا هو سرّ الخطاب يا أولي
الألباب.

قال المولى أمير المؤمنين«عليه السلام»: فبادروا العلم من قبل تصويح
نبيته، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستتار العلم من عند أهله...^(١).
والمراد بالعلم علم آل محمّد صلوات الله عليهم، هذا هو العلم الذي يبلغ
به الإنسان مراتب العلوّ والسموّ، وبهذا العلم يكون الإنسان عارفاً بحقّهم،
ومن أهم مصاديق المعرفة بحقّ الإمام هو أن تعلم أنّه الكتاب المسطور، وهو
العالم بما كان وما يكون، فإذا وصلت إلى تلك المرتبة صرت بين يدي سرّ
الله في الأرضين، حينئذ يكون القلب خاضعاً متصدّعاً من خشية الله تعالى،
قال تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ﴾^(٢).

روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى الإمام الرضا«عليه السلام» عند وصفه
لحجّة الآل، صلوات الله عليهم:

(١) نهج البلاغة: ١٩٦ خ ١٠٥ (صبحي الصالح). وجاء في الهامش : صوّح النبت:
جف أعلاه.

(٢) الحشر: ٢١.

لو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها...^(١)

فكلامهم كلام الله تعالى، يخشع له الجبل، وتتصدّع له الحجارة، ولكن هناك قلوب أشدّ قسوة من الحجارة، أولئك الذين لم يفقهوا شيئاً وهم المعنيون بالآية الشريفة: {إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} ^(٢) فهؤلاء لم يعرفوا الكتاب، ولا سرّ الخطاب، بينما هذا الكتاب ينلّ عليهم آناء الليل وأطراف النهار، آياته أحكمت ثمّ فصلت من لدن حكيم خبير، ترنلّ عليهم صباحاً ومساءً، قال تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} ^(٣).

إذا عرفت هذه الأسرار، فسوف تحلّق وتخرج بروحك، وهذا هو المعنى المشار إليه في الحديث النبوي الشريف، حينما يقول «صلى الله عليه وآله» «الصلاة معراج المؤمن» ^(٤) الصلاة عبارة عن تكلم الصلّة الوثيقة بين الحقّ والخلق عبر الباب الذي منه يؤتى إليه، وهو آل البيت، صلوات الله عليهم، لأنّ الصلاة التي ليست مستوية ومؤيدة بالولاية فليست بصلاة، وإنما هي صلاة معاوية وأمثال معاوية، وهذا هو المائز بين صلاتكم، وصلاة من لا يعرف هذا السرّ العلوي المكنون كيزيد والشمر وأمثالهما عليهم لعائن الله والخلق أجمعين.

إذن لابدّ من مائز، والمائز هو العروج، والعروج يتحقّق بمعرفة أهل البيت، الحجج «عليهم السلام».

(١) أورده الصدوق «رحمه الله» في كمال الدين: ٣٧٦ ح ٧.

(٢) الفرقان: ٤٤.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) راجع البحار: ٢٤٨/٨٢.

جعلنا الله وإياكم من العارفين بمقامات آل البيت «عليهم السلام» بحق محمد
وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

البحث الرابع

أبحاث عرفانية ناصعة ومقارنات وجدانية لامعة

في علم آل محمد «صلى الله عليه وآله»

من خلال قول المولى «عليه السلام» :

أَنَا عِلْمُ اللَّهِ، أَنَا عِنْدِي عِلْمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ.

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«أَنَا عِلْمُ اللَّهِ، أَنَا عِنْدِي عِلْمٌ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

عقدنا العزم بعون الله تعالى في هذه البحوث على كشف اللثام عن بعض أسرار المولى صلوات الله عليه، المكونة في بعض خطبه وأقواله الإلهية، وذلك عن طريق كتاب الله المجيد، وسنة نبيه الحميد، وما يدل إليه العقل الرشيد؛ حتى لا ندع مجالاً للمرتابين المشككين، الذين يتشبثون ببعض النقولات الواهية والتي لا تستند إلى شرع جلي أو دليل قوي، كتشبثهم بالسند. فينسبون إلى هذه الأنوار القدسية والكلمات العلية الصادرة من الساحة المقدسة للمولى صلوات الله عليه، ضعف الإسناد وما أشبهه.

نعم. نحن لا ننكر على الباحثين في مسألة تنقيح السند ومراجعة الأسانيد فهذا أمر معقول، ولكن السند ليس هو الأول والآخر، وإذا كان السند ضعيفاً في كثير من المجالات يبقى الحكم للمتن، فإذا لم يعارض كتاب الله، ولم يعارض الصحيح من الخبر المنسوب إليهم «عليه السلام» فلا مانع، بل يلزم الأخذ به، فكيف إذا كان القرآن على وفقه وطبقه؟ حتماً إنه سيكون في أعلى مراحل الكمال، وبعيداً عن كل تشويش.

قال تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ

(١) مقطع من خطبة الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد انصرافه من قتل الخوارج .
أنظر مشارق أنوار اليقين : ١٦٣ .

يَرْتَدُّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ؟^(١).

القرآن الكريم في هذه الآية الشريفة، يعرض لونا من ألوان العلم بالكتاب حال كونه مبيّنا للتصرّف في عوالم التكوين على ضوء ذلك: **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ** _ أي العرش البلقيسي _ **{قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}** فما هو الارتباط بين العلم ببعض الكتاب، وبين التصرف في عوالم التكوين؟

فالقرآن يبيّن كيف انخرقت الأرض لمن يمتلك بعض العلم من الكتاب، وكيف تناول عرش بلقيس وجعله بين يدي النبيّ سليمان «عليه السلام» في أقلّ من طرفة عين. فمن الواضح إذن، إنّ من آثار العلم بالكتاب، التصرف في عوالم التكوين.

وتذكر الأخبار أنّ هذا الرجل الذي قال: **{أَنَا آتِيكَ بِهِ}** يمتلك حرفاً واحداً فقط من حروف اسم الله الأعظم الثلاثة والسبعين حرفاً.

أورد الصفار «قدس سره» في بصائر الدرجات، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: **كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى وإذا دعا به أجاب ولو كان اليوم لاحتاج إلينا**^(٢).

وأورد أيضاً عن عليّ بن محمّد النوفلي، عن أبي الحسن العسكري «عليه السلام» قال: سمعته يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنّما كان عند آصف منه حرف واحد، فتكلّم فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ

(١) النمل: ٤٠.

(٢) بصائر الدرجات: ٢١١.

من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب.^(١)

فالقرآن الكريم والأخبار الشريفة يعرضان لنا هذا التصرف في عالم التكوين من لدن رجل يسمى «آصف بن برخيا» وصي «النبى سليمان» على نبينا وآله وعليه السلام، ولكونه كان عالماً ببعض العلم من الكتاب، حيث كان يمتلك حرفاً واحداً_كما تقدّم_ فاستطاع أن يسخر عوالم التكوين من الخسف والخرق في الأرض، فالمسافة بين الشام_مستقرّ النبيّ سليمان_ وبين سبأ_مستقرّ الملكة بلقيس_ مسافة بعيدة، تقدّر بـ ٢٧٥٠ كيلو متر تقريباً، يطويها في أقلّ من طرفة عين، ويأتي بذلك العرش الضخم، ويجعله بين يدي النبيّ سليمان على نبينا وآله وعليه السلام.

إذن، هناك إرتباط وثيق بين العلم، وبين التصرف في عوالم التكوين، فإذا استطاع هذا الذي عنده علمٌ من الكتاب أن يتصرف في هذا العالم بالخرق والخسف، فكيف بمن عنده علم الكتاب كلّه ويمتلك اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم.

نقل الشريف الرضي «قدس سره» في الخصائص_ ما نصّه_: روي أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» كان جالساً في المسجد، ودخل عليه رجلان واختصما إليه، وكان أحدهما من الخوارج، فتوجّه الحكم على الخارجي، فحكم عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال له الخارجي: والله، ما حكمت بالسويّة، ولا عدلت في القضية، وما قضيتك عند الله بمرضيّة!!

(١) بصائر الدرجات: ٢١١.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام» وأوماً بيده إليه: **إخسأ عدو الله!** فاستحال كلباً أسوداً، فقال من حضر: فوالله، لقد رأينا ثيابه تطاير عنه في الهواء، وجعل يبصبص لأمير المؤمنين «عليه السلام» ودمعت عيناه في وجهه، فرأينا أمير المؤمنين «عليه السلام» قد رق له، فلحظ السماء، وحرك شفثيه بكلام لم نسمعه، فوالله، لقد رأيناه وقد عاد إلى حال الإنسانيّة، وتراجعت ثيابه من الهواء حتّى سقطت على كتفيه، فرأيناه وقد خرج من المسجد وإنّ رجليه لتضطربان. فبهتتا ننظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال: **مالكم تنظرون وتعجبون!؟**

فقلنا له: يا أمير المؤمنين، كيف لا نتعجب وقد صنعت ما صنعت؟ فقال: **أما تعلمون أنّ آصف بن برخيا، وصيّ سليمان بن داود «عليه السلام» قد صنع ما هو قريب من هذا الأمر، فقصّ الله جلّ اسمه قصّته، حيث يقول:**

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ؟ (١)

فأيما أكرم على الله: نبيكم أم سليمان؟ فقالوا: بلى نبينا «صلى الله عليه وآله» أكرم يا أمير المؤمنين. قال: فوصيّ نبيكم أكرم من وصيّ سليمان «عليه السلام» وإيما كان عند وصيّ سليمان من اسم الله الأعظم حرف واحد، فسأل الله جلّ اسمه، فخسف له الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، فتناوله في أقلّ من طرف عين، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به دون خلقه.

فقالوا له: يا أمير المؤمنين، فإذا كان هذا عندك، فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية وغيره، واستنفارك الناس إلى حربه ثانية؟ فقال: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} (١) [إنما أدعو هؤلاء القوم إلى قتاله لتثبت المحجة، وكمال الحجّة، ولو أذن لي في إهلاكه لما تأخّرت، لكنّ الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء] (٢) قالوا: فنهضنا من حوله ونحن نعظم ما أتى به «عليه السلام» (٣). ونقل عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال: إني لأعلم خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، كأنّه في كفي، ثمّ قال: من كتاب الله أعلمه، إنّ الله يقول: فيه تبيان كلّ شيء (٤).

العجب! من البعض يستغرب ويستنكر علينا القول في عليّ وآل عليّ «عليهم السلام» هذه المعجزات، ولا يستغرب على من يُثبت للجنّ والعفريت ذلك؟! ولا يستغربون أيضاً على الغربيين الكثير من الغرائب كالأموال المتعلقة بالخيال والتي يطلق عليها العلم الحديث بـ «الخيال العلمي» يصدّقون هذا ولا يستغربون منه، ولكن عندما يصل الكلام إلى عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم، وما أتاهم الله تعالى من فضله ترى وجوههم مكفّهرة! وينعقون هنا وهناك بقولهم: ما هذا الغلوّ

(١) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٢) ما بين المعقوفين من مدينة المعاجز وفي المصدر: إنّما أدعوا هؤلاء القوم لما يأمر لكن الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء... .

(٣) الخصائص للسيد الرضي: ١٢-١٣ (منشورات الرضي، قم)، عنه مدينة المعاجز للبحراني: ١/٣٠٨ ح ١٩٣.

(٤) أورده العياشي في تفسيره: ٢/٢٨٨ ح ٥٦، عنه تفسير البرهان للبحراني: ٤/٤٧٥ ح ١٤.

بحقّ عليّ وآل عليّ؟!!

أذكر شاهداً آخر على علمهم صلوات الله عليهم، وهو من الشواهد المنقولة في أغلب الكتب المعتمدة.

أورد الاسترآبادي في تأويل الآيات بعد أن ذكر أدلة كثيرة على علمهم صلوات الله عليهم قال: ويؤيد هذا ويطبّقه ما ذكره أصحابنا من رواية الحديث من كتاب الأربعين، رواية سعد الأربلي، عن عمار بن خالد، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن سليمان، قال: وجد في ذخيرة حوارى عيسى «عليه السلام» رق مكتوب فيه بالقلم السرياني منقول من التوراة، وذلك لما تشاجر موسى والخضر «عليه السلام» في قصة السفينة والغلام والجدار، ورجع موسى إلى قومه، فسأله أخوه هارون عما استعلمه من الخضر، وشاهده من عجائب البحر، فقال موسى «عليه السلام»:

بيننا أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى بها نحو المشرق، وأخذ منه ثانية ورمى بها نحو المغرب، ثم أخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر. فبهت أنا والخضر من ذلك، وسألته عنه، فقال: لا أعلم!

فبيننا نحن كذلك وإذا بصياد يصيد في البحر، فنظر إلينا، فقال:

مالي أراكما في فكرة من أمر هذا الطائر؟ فقلنا له: هو ذاك.

فقال: أنا رجل صياد، وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان؟!!

فقلنا: ما نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل.

فقال: هذا طائر في البحر يسمّى مسلماً، لأنه إذا صاح يقول في

صياحه:

«مسلم، مسلم» فأشارته برمي الماء من منقاره نحو المشرق والمغرب والسماء والأرض والبحر يقول: إنه يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم أهل المشرق والمغرب وأهل السماء والأرض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر، ويرث علمه ابن عمه ووصيه. فعند ذلك سكن ما كنا فيه من المشاجرة، واستقل كل واحد منا علمه بعد أن كنا معجبين بأنفسنا، ثم غاب عنا، فعلمنا أنه ملك بعثه الله إلينا ليعرفنا نقصنا حيث ادعينا الكمال^(١).

فعلم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، علم يحيط بالكون، ويأتي على تفاصيله ودقائقه.

قال تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}^(٢) والذي عنده علم الكتاب المقصود من الآية الشريفة هو المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

نقل العلامة الطبرسي في كتابه الاحتجاج، عن محمد بن أبي عمير الكوفي، عن عبد الله بن الوليد السمان، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين «عليه السلام»؟

قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً.

قال: فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً}^(٣) ولم يقل كل شيء موعظة.

(١) تأويل الآيات: ١١٠.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

وقال لعيسى: {وليبين لكم بعض الذي تختلفون فيه} (١) ولم يقل كل شيء. وقال لصاحبكم أمير المؤمنين «عليه السلام»: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٢) وعلم هذا الكتاب عنده (٣).

وأيضاً فالقرآن يذكر أن بلعم بن باعورا في قوله تعالى: {وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} (٤) كان عنده حرف من حروف الاسم الأعظم، وكان يحضر تحت منبره أربعة آلاف كاتب، كل يكتب من علومه المنشعبة منه بالاسم الذي كان عنده، هذا إنسان عادي، امتلك حرفاً واحداً، ثم سلبه الله منه فصار كالكلب كما يعبر القرآن في قوله تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ} (٥).

حقاً، إنه أمر عجيب إذ يقبلون أن تخزن كل المعارف في القرص النوري الخاص بالعقل الآلي «الكومبيوتر» الحاوي على ملايين المعلومات والمعارف، ويستعظمون المعارف المخزونة في صدر أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي يمثل خزانة الأسرار، ثم يتمادون في غيهم عندما تطرق على أسماعهم أو تبصر أعينهم معجزة باهرة أو كرامة ساطعة لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فيقولون: ما هذا الغلو؟

نقول للجميع: بأن هذا ليس غلوً، وليس قولاً بالظن، بل التصديق به لازم؛ لأنه عين الحقيقة التي يريدنا الله تعالى من عباده.

قال تبارك وتعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ

(١) الزخرف: ٦٣.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) الاحتجاج: ١٣٩/٢، عنه الاسترآبادي في تأويل الآيات: ٢٤٣.

(٤) الأعراف: ١٧٥.

(٥) الأعراف: ١٧٦.

فيه مُخْتَلِفُونَ^(١)

ذُكِرَ فِي بَعْضِ تَفَاسِيرِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالنَّبَأِ الْعَظِيمِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

هذا التفسير للآية الشريفة لا يركن إليه العقل والنقل كثيراً. أمّا العقل فيستبعد ذلك؛ لأنّ القيامة لم يُخْتَلَفَ فِيهَا، فَالْكَلِّ مُؤْمِنٌ بِالْقِيَامَةِ وَلَكِنِ الْاِخْتِلَافُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْبَعْضُ أَوْ بِتَعْبِيرٍ أَصَحَّ: الْأَغْلَبُ هُوَ فِي الْمَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عَلَيْهِ السَّلَام».

نَقَلَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ الْعَرَبَ وَقَرِيشاً كَانُوا فِي خِلَافٍ شَدِيدٍ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، وَكَانُوا عَلَى غَيْرِهِ أَقْلَ فَسَاداً وَاضْطِرَاباً، وَأَقْلَ طِعْناً وَخِلَافاً. وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ وَقَرِيشاً كَانُوا فِي أَمْرِهِ عَلَى طَبَقَاتٍ: فَمَنْ رَجُلٌ قَدْ قَتَلَ عَلِيَّ أَبَاهُ أَوْ ابْنَهُ، أَوْ أَخَاهُ أَوْ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ حَمِيمِهِ أَوْ صَفِيَّهِ، أَوْ سَيِّدَهُ أَوْ فَارِسَهُ، فَهُوَ بَيْنَ مَضْطَعْنٍ قَدْ أَصَرَ عَلَى حَقِّهِ، يَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ وَيَتَرَقَّبُ الدَّائِرَةَ، قَدْ كَشَفَ قَنَاعَهُ، وَأَبْدَى عِدَاوَتَهُ... وَإِذَا كَانَ الْعَدُوُّ كَذَلِكَ كَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ سَرَفَ الْغَضَبِ، وَأَنْ يَمُوهَ لَهُ الشَّيْطَانُ الْوَثُوبَ، وَيَزِينُ لَهُ الطَّلَبَ...

وَمَنْ رَجُلٌ غَمَّتْهُ حَدَاتُهُ، وَأَنْفَ أَنْ يَلِيَّ عَلَيْهِ أَصْغَرَ مِنْهُ. وَمَنْ رَجُلٌ عَرَفَ شِدَّتَهُ فِي أَمْرِهِ، وَقَلَّةَ اغْتِفَارِهِ فِي دِينِهِ، وَخَشُونَةَ مَذْهَبِهِ.

وَمَنْ رَجُلٌ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ وَالنَّبِيُّوَّةَ يَثْبِتَانِ فِي نَصَابٍ وَاحِدٍ،

وينبتان في مغرس واحد... (١)

نحن لانريد أن نعلق على هذا الكلام من حيث الصحة والسقم، ولكن نشير إلى أن الاختلاف حاصل في علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو المرجح الأكثر نصيباً في معنى الآية الشريفة المتقدمة. أما النقل فالأحاديث مستفيضة بأن المراد بالنبأ العظيم هو الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

نقل الأسترآبادي في تأويل الآيات، عن محمد بن مؤمن الشيرازي، بإسناده إلى السدي، في تفسير قوله عز وجل {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ}، قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى جنب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك لنا أم لمن؟ قال: يا صخر، الأمر من بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فأنزل الله سبحانه {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ^(٢) يعني أهل مكة يتساءلون عن خلافة علي بن أبي طالب، هو النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، منهم المصدق بولايته وخلافته، ومنهم المكذب بهما. ثم قال: {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} بعدك، أن ولايته حق. ثم قال مؤكداً: {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} أن ولايته حق إذا سئلوا عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت في مشرق ولا في مغرب، ولا برّ ولا بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك؟

وذكر أيضاً حديثاً بإسناده إلى علقمة، أنه قال:

خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح، وفوقه مصحف وهو يقرأ {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ} فأردت إليه فقال لي

(١) أنظر رسائل الجاحظ للدكتور ملحم، الرسائل الكلامية: ١٨٠.

(٢) النبأ: ١-٣.

عليّ «عليه السلام»: مكاتك، وخرج بنفسه وقال له: أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون؟ قال: لا.

فقال عليّ «عليه السلام»: أنا والله النبأ العظيم الذي فيّ اختلفتم، وعلى ولايتي تنازعتم، وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم، وببغيتكم هلكتم بعدما بسيفي نجوتم، ويوم الغدير قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون ما عملتم. ثمّ علاه بسيفه فرمى برأسه ويده^(١).

فثبت إذن بالدليل، أنّ الكتاب الكريم والنبأ العظيم هو أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجلّين، المسمّى بـ «عليّ» في الأرضين وبـ «الأعلى» في الطبقات العلى.

نقل عن المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، أنّه قال: أنا اسمي في الصحف عاليّاً، وفي التوراة بريّاً، وعند العرب عليّاً^(٢).
الحمد لله الذي جعلنا من المحبّين المخلصين لمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم، والمقتفين أثرهم والمصدقين لكلامهم، ولم يجعلنا من المبغضين الناصبين المكذّبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين.

(١) تأويل الآيات: ٧٣٥_مورد الآية_.

(٢) أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٦٣.

البحث الخامس

الإيات البامرات المحكمات والبراهين السافرات الواضحات

في بعض أسرار المولى عليه السلام

من خلال قول المول «عليه السلام»:

أَنَا أَجُوزُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«أَنَا أَجُوزُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ»^(١).

إعلم_ أيدك الله ورعاكَ_ إنَّ هذه الأنوار الملكوتية والكلمات القدسية يجب التمعن فيها، والتسليم المطلق لها حتى تفيض علينا المعارف والعلوم الإلهية الحقّة. فالمولى صلوات الله عليه، عندما يقول: أنا أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين، ربّما يتبادر للبعض_ ممن لايمتلك مسحة من الفهم_ أنّ الإقرار بهذا الكلام والانقياد المطلق له ربّما يقود صاحبه إلى تهمة الغلوّ وما شابهه، ولكن الركون إلى هذا التبادر مجانية للحقيقة.

نقل العلامة المجلسي(رحمه الله) _مانصّه_: أفرط بعض المتكلمين والمحدّثين في الغلوّ لقصورهم عن معرفة الأئمّة «عليهم السلام» وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم، وعجائب شؤونهم، فقدحوا في كثير من الرواة الثقات؛ لنقلهم بعض غرائب المعجزات، حتّى قال بعضهم: من الغلوّ نفي السهو عنهم، أو القول بأنهم يعلمون ماكان وما يكون وغير ذلك، مع أنّه قد ورد في أخبار كثيرة: لاتقولوا فينا ربّاً وقولوا ماشئتم ولن تبلغوا. وورد: أنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب، أو نبيّ مرسل، أو عبد مؤمن

(١) مقطع من الخطبة الروحية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام». أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١.

امتحن الله قلبه للإيمان. وورد: لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله... ثم قال:

فلا بدّ للمؤمن المتدين أن لا يبادر بردّ ما ورد عنهم، من فضائلهم ومعجزاتهم و معالي أمورهم، إلاّ إذا ثبت خلافه، بضرورة الدين أو بقواطع البراهين، أو بالآيات المحكمة أو بالأخبار المتواترة_ كما مرّ في باب التسليم وغيره^(١). انتهى كلامه رفع الله مقامه.

نقول: قد بيّنا في ما سبق_ بعض الأسرار الكامنة في حقيقة المولى صلوات الله عليه، وأنه هو «عليه السلام» الكتاب المبين، وهو الجامع لحقائق هذا الوجود بنصّ القرآن الكريم، وأيضاً بعد أن أصبح واضحاً أنّ النفوذ في السماوات والأرضين ممكن، فالذي عنده علم من الكتاب نفذ إلى عرش بلقيس وأتى به إلى نبيّ الله سليمان على نبيّنا وآله وعليه السلام في طرفة عين، فكيف بالذي عنده علم الكتاب كلّهُ؟!

إضافة إلى هذا كلّهُ نحاول أن نستدل على كلام المولى صلوات الله عليه، من جهة أخرى من خلال كلام الله تعالى وسنة نبيّه الكريم «صلى الله عليه وآله» وأيضاً بدليل العقل والنقل. ونستمد من الله تعالى التوفيق.

قال تعالى:

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاتَفَدُّوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ^(٢)

إنّ من الآيات الباهرات المحكمات في بيان الدلائل والمعجزات في شأن مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه الآية المباركة، ففيها إشعار واضح لما

(١) بحار الأنوار: ٣٤٧/٢٥.

(٢) الرحمن: ٣٣.

يرتبط بخرق السماء والأرض. فالآية الشريفة تخاطب معاشر الجنّ والإنس معاً، وهذا الخطاب فيه جملة من الوقفات منها:
أولاً: إمكانية متعلّق هذه الآية، وما تتضمن من دلالة ومعنى، باعتبار أنّ الخطابات القرآنية لا بدّ أن تكون وفق العناية والحكمة التامّتين، ولا يكون الخطاب فوق الإمكان والقدرات البشرية، بل بما تمتلك من قدرة ونباهة واستطاعة، حتّى يكون القول مطابقاً للحكمة، وهل هناك حكمة أتمّ، وبيان أعظم من كلام الله؟! فالقرآن عندما يخاطب الجنّ والإنس بالنفوذ من أقطار السماوات والأرض، إنّما يكشف عن لزوم وجود القدرة والإمكانية التي بموجبها يتحقّق النفوذ، وإلاّ يكون الخطاب لغواً، تعالى الله عن ذلك. وهذا من أهمّ البراهين.

ثانياً: ماهو المراد بالسلطان: المراد هو العلم، والعلم هو المعرفة التفصيلية بطرق السماء وبطرق الأرض، ومن أين ينفذ إلى السماء الأولى، ومن ثمّ إلى السماء الثانية، ومن هناك إلى الثالثة، وبعدها إلى الرابعة، ومن ثمّ إلى الخامسة، والسادسة، والسابعة؟

بمعنى كلّ هذه السماوات السبع يستطيع أبناء الجنّ، وأبناء الإنس النفوذ من أقطارها إليها ليكتشف ما فيها من عمار وخراب، وما فيها من أسرار، ومعادن، وهواء وتراب وطبيعة، وما إلى ذلك.
فالسلطان هو القيد الذي وضعه الله تعالى للنفوذ إلى السماوات والأرضين. بمعنى، إنّ أقطار السماوات والأرضين مفتوحة للجنّ والإنس ولكن بقيد هام، هو عبارة عن تحقق السلطان، وهذا القيد متى ما تحقق يتحقّق العروج والنفوذ.

فانقرآن الكريم في عصر الخطاب قبل ١٤٠٠ عام تقريباً بين هذه الحقيقة، ونصّ على هذا المعنى الدالّ بمقتضى هذا الخطاب، على

إمكانية النفوذ والعبور والتجاوز والحلول في السماوات على إطلاقها. فإذا كان هذا المعنى الذي يخاطب به الله تعالى هؤلاء_ ممكناً، بل كان حاصلًا كما في قصة آصف بن برخيا وغيره، فهل يستحيل على من عنده علم الكتاب كله أن ينفذ إلى السماوات والأرضين ...؟! بل بقياس الأولوية يثبت لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، النفوذ في أقطار السماوات والأرضين على غيرهم، بل كل شيء ثابت لهم بالدليل والبرهان.

أليس بالإمكان القول بأن أولياء الله الذين أوتوا علم الكتاب على الإطلاق في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (١) هم السلطان؟ كما يستفاد من الاستدلالات، وكما أشرنا في الأبحاث السابقة، ونشير في الأبحاث اللاحقة إلى هذا السرّ الجوهري.

ومن أسرار الكتاب:

قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} (٢)

وقوله تعالى: {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣).
وقوله تعالى أيضاً: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٤).

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) الحج: ٧٠.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) النمل: ٧٥.

لو نفهم المراد من هذه الآيات الكريمة تُحلّ كلّ المعضلات في باب المعارف والعقائد الحقّة في أولياء الله وسفرائه، كلّ شيء يتبيّن ويتحقّق، ويكون الإنسان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(١) لأنّ القرآن كتاب هداية، كتاب بيان وإنارة وإراءة، وإشراقاً للخلق، ولكن إشراقاً وإنارة إلى أيّ شيء؟

من الآيات: السماوات، الأرضون، الهواء، الماء، التراب، النار كلّ هذه آيات، ولكن هل هناك آية أشرف وأعظم وأفضل من وجه الله المطلق محمّد بن عبد الله، وعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما، وآلهما؟! فيما أنّهم صلوات الله عليهم، الآية العظمى، إذن كلّ شيء يشرف على هذه الحقيقة، كلّ موجود يتطلّع لمعرفة هذه الحقيقة، ولكن لماذا؟ الجواب نأخذه من معاريف كلامهم، صلوات الله عليهم، عقلاً ونقلاً: ورد في الزيارة الجامعة للمعصومين صلوات الله عليهم: «من أراد الله بدأ بكم»^(٢).

لا يمكن معرفة الله عزّ وجلّ دون الوساطة، ودون الآثار، ودون البيّنات والدلالات والآيات والبراهين والمعجزات، فهل هناك آية، أو معجزة، أو برهان أعظم من وجود مولانا عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»؟! فالأمر الأوّل (من أراد الله تعالى) الذي يريد الله، لا يريد التجسيم أو التعطيل أو التشبيه... لأنّه تعالى أن يرى بالعين المجرّدة! حاشاه أن يحدّه حدّ، أو يعدّه عدّاً! وحاشاه أن يوصف ويقرن، ويثنّى، ويجزأ! وما إلى ذلك، كما قال مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام»: **ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد**

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) مقطع من الزيارة الجامعة أنظر كتاب سماحة المؤلف، الصوارم القاطعة في إثبات صحة الزيارة الجامعة: ١٤٦ فقرة ١٦٤.

عدّه، ومن قال فيم فقد ضمّته...^(١).

فكلّ شيء منفيّ عنه على الإطلاق، لأنّه فوق كلّ شيء، ولأنّ كلّ شيء صدر منه تعالى، فلا يمكن أن يحيط الخفاش بنور الشمس على الإطلاق، وهل يمكن للحناني الضعيف إدراك من عجزت عن فهمه العقول، وعن تخيله الأوهام؟! لا، وأتى له ذلك.

فلا بدّ إذن أن يكون هناك باب منه يؤتى إليه تعالى، وهم صلوات الله عليهم ذلك الباب.

عن الإمام الصادق «عليه السلام»، أنه قال: نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاية أمر الله في عبادته^(٢).

وورد عن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: «من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ»^(٣).

وقال الإمام الصادق «عليه السلام»: «بنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله»^(٤).

إذن، قد انحصر الأمر بهم، وهذا هو مراد الحقّ في كتابه، وهذه عصارة لكلّ الآيات، وباختصار أنّه لا يمكن أن يصل الإنسان إلى معرفة الله بدون معرفة أوليائه وآثاره، وهذا أمر مسلمّ عقلاً ونقلاً، وخلافه خلاف العقل والنقل تماماً.

(١) مقطع من خطبته صلوات الله عليه، يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض. وفيها ذكر الحجج. أنظر نهج البلاغة: ١٤، الخطبة الأولى.

(٢) أورده الصفار «رحمه الله» في بصائر الدرجات: ٦١ باب ٣ ح ١.

(٣) أنظر الأمالي للصدوق: ٧٥٤ مجلس ٩٤ ح ١٠١٥، وينابيع المودّة للقندوزي

الحنفي: ٣٧٠/١ ح ٤، وغاية المرام للسيد هاشم البحراني: ٤٨٧ باب ١٦ ح ٦.

(٤) رواه الصفار في بصائر الدرجات: ٦١ ح ٣، عنه بحار الأنوار: ٢٤٦/٢٦ ح ١٤.

فالقُرآن عندما بيّن هذا المعنى، بقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا}، ولكن بشرط {لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} (١) هذا المعنى نستكشفه من جملة من البيّنات منها:
أولاً: كان نبيّ الله سليمان على نبينا وآله وعليه السلام، يمتلك من أسرار الاسم الأعظم حرفاً واحداً.

أورد الصّفار في بصائر الدرجات، عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: كنت عنده فذكروا سليمان، وما أعطي من العلم، وما أوتي من الملك، فقال لي: وما أعطي سليمان بن داود، إنّما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (٢). وكان والله عند علي «عليه السلام» علم الكتاب، فقلت: صدقت والله جعلت فداك (٣).

وأورد عنه «عليه السلام» أيضاً: كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى، وإذا دعا به أجاب، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا (٤).

ومن جهة ثانية، لو أمعنا النظر في عبارات زيارة الإمام الحسين «عليه السلام» المعروفة بزيارة «وارث» لتوصلنا إلى أسرار بليغة تفتح لنا آفاق المعرفة بهم صلوات الله عليهم، حيث ورد في الزيارة المباركة:

السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله... السلام عليك

(١) الرحمن: ٣٣.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) بصائر الدرجات: ٢١١.

(٤) بصائر الدرجات: ٢١١ و ٢١٢.

يا وارث عليّ وصيّ رسول الله... (١)

فمن هو الذي كان وارثاً حقاً؟ وما معنى حقيقة الوراثة هنا؟
هل إنّ علومهم صلوات الله عليهم، عبارة عن مجموعة علوم مورثة
من الأنبياء؟

لمعرفة ذلك تأمّل في بيان هذا الاستدلال.

المراد هنا بالوراثة: رجوع كل شيء إلى مبدئه وأصله، مثال ذلك:
نور الشمس معروف أنّ مصدره الشمس، منها بدأ، وإليها يعود.
إنّ أصل الأتوار والاكْتسابات الإضافية والإشعاعات مبدؤها من
الشمس، وعودها إليها.

**فحقيقة معارف أهل البيت «عليهم السلام» وعلومهم إنّما هي كالشمس التي
أضاءت على الأرض بقدر، وسالت أودية بقدرها، فهي الأصل والمبدأ
لجميع المعارف والعلوم، فإنّ كلّ نبيّ احتمل من ذلك العلم الموروث بقدره،
وكان الحقّ أن يكون هكذا: أنّ الوراثة عود هذه المعارف إلى أصلها.**

فالزيارة تشير إلى هذه الحقيقة بأنّ آدم عاد علمه كما بدأ منهم إليهم،
وهكذا نوح وهكذا إبراهيم، لأنّنا لا يمكن أن نفسّر خلاف ذلك، وإلاّ وجب
خرق الناموس الإلهي الذي لا يمكن أن يصير إليه أحد، وهو أنّ رسول
الله «صلى الله عليه وآله» يكون وارثاً منهم وتابعا لهم، وأخذاً منهم، وحينئذٍ تنتفي
أفضلية النبيّ «صلى الله عليه وآله» على سائر الأنبياء، وهذا لا يمكن الصيرورة إليه
على الإطلاق.

أنقل لك هذه الرواية حتّى أتمم الاستدلال:

نقل الشيخ الكليني «رحمه الله» في كتابه الكافي الشريف، عن الإمام أبي

عبد الله

(١) أنظر كامل الزيارات لابن قولويه القمي (رحمه الله): ٣٧٥ باب ٧٩.

الصادق «عليه السلام» أنه قال: إنَّ عيسى بن مريم «عليه السلام» أُعطي حرفين كان يعمر بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنَّ الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد «صلى الله عليه وآله» وإنَّ لاسم الله الأعظم ثلاثة وسبعين حرفاً، أعطى محمداً «صلى الله عليه وآله» اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرفاً واحداً^(١)

وكل ما أُعطي محمداً «صلى الله عليه وآله» فهو عند علي «عليه السلام» وعند الميامين من ولده صلوات الله عليهم، وهذه حقيقة ثابتة لا غبار عليها نقلاً وعقلاً.

إذن المراد من: السلام عليك يا وارث آدم، يا وارث نوح، يا وارث موسى، يا وارث عيسى... يعني، بأنَّ كلَّ الأنبياء وغيرهم إنما هم أنوار صدرت من الشمس المطلقة وهي: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} وهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي بن أبي طالب وآل علي صلوات الله عليهم. أورد الكليني «قدس سره» عن أبي محمد، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: الشمس رسول الله «صلى الله عليه وآله» به أوضح الله عزَّ وجلَّ للناس دينهم. قال: قلت: {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}؟ قال: ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» تلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونفته بالعلم نفثاً. قال: قلت: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}؟ قال: ذاك أئمة الجور الذين استبدوا بالأمر دون آل الرسول «صلى الله عليه وآله» وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم، فغضوا دين الله بالجور والظلم، فحكى الله فعلهم، فقال: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}. قال: قلت: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا}؟ قال: ذاك الإمام من ذرية فاطمة «عليها السلام» يسأل عن دين رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيجلبه لمن يسأل، فحكى الله عزَّ وجلَّ

(١) الكافي: ٢٣٠/١ باب الحجّة ح ١.

قوله: {والنَّهَارَ إِذَا جَلَّاهَا} (١)

فأهل البيت عندهم اثنان وسبعون حرفاً، واستأثر الله بحرف واحد عنده في علم الغيب المكنون.

منذ ١٤٠٠ سنة تقريباً وهذا الخلق يقرأ القرآن الكريم {انفذوا} فكيف بوليّ الله، في قوله تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (٢)؟! كيف بمن قال فيه تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (٣)؟ لقد كان حقاً ما قلت يا سيدي يا أمير المؤمنين:

أنا أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين (٤).

ينقل المتقي الهندي في مؤلفه «كنز العمال» الذي يعدّ الموسوعة الحديثية لعلماء أهل السنة، يقول:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «سلوني قبل أن تفقدوني! فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أخبرت به» (٥). فهو رغم عدم تشيعه يروي هذه الحقيقة بأنّ عليّاً «عليه السلام» قال: «سلوني عن كل شيء أخبركم به» سمكاً، خفةً، عظمةً، صغراً، حجماً، سماوات وأرضين ما فيهما وما بينهما وما تحتهما، من ملائكة كروبيين، وملائكة عالين، وملائكة مفوضين، وملائكة مدبرين،

(١) الكافي الشريف: ٥٠/٨ ح ١٢.

(٢) المائدة: ٥٥. أقول: تذكر معظم تفاسير الخاصة والعامة أنّ هذه الآية الشريفة نزلت في أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب «عليه السلام».

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١.

(٥) كنز العمال للهندي: ١٦٥/١٣ ح ٣٦٥٠٢.

وأنبيا و مرسلين، مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، وكذلك مئة وأربعة وعشرين ألف وصي، كلّه في الكتاب الناطق، والكتاب الناطق هو الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» كما قال «عليه السلام»: أنا الكتاب المسطور. هذه هي الحقيقة، وهذا هو القرآن الكريم، يصرّح بهذه الحقيقة منذ ١٤٠٠ سنة تقريبا وإلى يوم الدين.

**جعلنا الله تعالى وإياكم من العارفين بحق أمير المؤمنين «عليه السلام»
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

البحث السادس

مطالِب البحثية عالية وفيوضات علوية سامية

في معنى اللّوح المحفوظ

من خلال قول المول «عليه السلام»:

أَنَا اللّوْحُ، أَنَا القَلَمُ، أَنَا العَرْشُ، أَنَا الكُرْسِي

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«أنا اللوح، أنا القلم، أنا العرش، أنا الكرسي»^(١).

ببركة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، نكشف النقاب في هذا البحث عن سرّ الخطاب العلوي المكنون في كلام المولى صلوات الله عليه: أنا اللوح ... وما فيه من معان باطنية عميقة ودقيقة، نشمّ عبقها من خلال دلالة كتاب الله الكريم، وسنة النبي الأمين «صلى الله عليه وآله» وأقوال الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}^(٢)
الإنسان النبيه إذا ما تأمل في مفردات هذه الآية الشريفة، وغار في أعماقها، وخص في متونها ودقائقها، فإنه يجد لا محالة الحقائق مسطورة، والبيّنات معلومة ومذكورة، ولكن الأمر يحتاج إلى بيان للراقي إلى تلك المنازل والمراتب التي تحتويها وتنطوي في متنها هذه الحقائق.
فالمعاني القرآنية الكريمة لا بدّ أن تستوحى، ولا بدّ أن تطلب كما يطلب

(١) مقطع من الخطبة الروحية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام»، أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١.
(٢) النمل: ٧٥.

اللؤلؤ والمرجان من قاع البحار. هكذا يجب أن نتعامل مع كتاب الله العزيز، بل ما قيمة اللؤلؤ والمرجان قبال كلام الله المجيد؟!
القرآن الكريم يصرح {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.

المراد من الغائبة التي يقصدها القرآن الكريم؟

الغائبة بمعنى الغيب، والغيب في اللغة يطلق على عدّة معانٍ، منها: كلّ ما غاب عنك فهو غيب. وقال ابن الإعرابي: والغيب ما غاب عن العيون وإن كان محصّلاً في القلوب. ويقال: سمعت صوتاً من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه. وقد يطلق الغيب على الشك... (١)

إذن الغائبة: هي الشيء الذي خفي عن الحواس، وسُتر عن النظر والبصر، فيكون كلّ ما خفي عنا وسُتر إنما هو في قائمة المغيّبات، وهنا الموصوف محذوف _أي مقدر_ ما من شيء أو أشياء غائبة، أو ما من خصلة غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين.

وطبقاً لهذا المعنى المراد من الغائبة، تتكوّن عندنا حصيلة هائلة من المغيّبات، سواء ما يتعلق بأنفسنا، أو بما يحيط بنا من أطراف وأبعاد هذا الكون الهائل، من دون الذرة إلى ما فوق المجرة. فأغلب هذه الموجودات يكتنفها الغموض وتحيط بها هالة كبيرة من الأسرار الخفية علينا.

فلا ريب إنّ كلّ واحد منا لا يعلم ما في ضمير الآخرين، ولا يعلم كلّ ما في نفسه. فلمح العيون وما تخفي الصدور وخطرات القلوب، خبايا وخفايا مستورة عن الخلق، ولكنها مسطورة وحاضرة في الكتاب المبين.

وأيضاً إذا تغلغنا إلى خبايا وخفايا ما هو موجود في الحيوانات، باعتبارها من الخلائق، وباعتبار أنّ الإطلاق موجود فيها، فالحيوانات على

(١) أنظر لسان العرب لابن منظور: ١٥١/١٠ _مادة غيب_ .

إطلاقها من الذرة^(١) إلى أكبر حيوان في هذا الوجود، ما فيها من إدراكات، وما فيها من إحساسات، وما فيها من شعور، فإنّ أغلب ذلك خفيّ علينا. قال تعالى {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مُّمَّا تُكُمُّ...} (٢).

فكلّ هذا الجنس يكمن فيه أسرار وعجائب وغرائب، وما إلى ذلك من أشياء تخفى على الكلّ إلاّ على من اختارهم وفضلهم الله تعالى، والذي من أجلهم صلوات الله عليهم، عقدنا بحثنا هذا.

فالحيوانات البحريّة مثلا، ما خفي علينا من أنواعها وأجناسها وفصولها والظروف المحيطة بها، والملائمة لها وما إلى ذلك أكثر مما ظهر لنا منها. إذن كلّ ذلك يعد في قائمة المغيّبات، أو في حكمها. ناهيك عن الكائنات المجهرية _وحيدة الخلية وغيرها_ التي لا ترى بالعين المجردة، بل أنّ بعضها لا يرى في كثير من المجاهر الحديثة، فكلّ يوم يطلع علينا العلم الحديث باكتشاف جديد، ولكن مع هذا كله تبقى قائمة المغيّبات أكثر بكثير ممّا علم.

وأيضاً إذا تمعنا في خبايا النباتات، وما يكمن فيها من نموّ، من تطاول، من عرض، من سمك، من طيب وخبث، وما إلى ذلك، وما يكمن في التربة من أسرار، ومن خبايا، وتأثيرها على النباتات والمزروعات التي تحيا بالماء وغيره، فهذه أغلبها غير خاضعة للحسّ، وتدخل في قائمة المغيّبات. ثمّ ننتقل إلى قائمة الجمادات، وما فيها من أسرار وعلوم، وما أدراك

ما

(١) الذرّ: صغار النمل، واحدة ذرّة. قال ثعلب: إنّ مئة منها وزن حبة من الشعير، فكأنها جزء من مئة. وقيل: الذرّة ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة. أنظر لسان العرب لابن منظور: ٣٣/٥ _مادة ذرر_.
(٢) الأنعام: ٣٨.

تلك الأسرار والعلوم.

قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ...} (١).

إذن، في كلِّ هذا وغيره خفايا وخبايا وأسرار وأشياء لا يمكن أن تلمس وتحسّ، فهي أيضاً داخلة في القائمة المذكورة. ثمّ ننقل إلى أعماق الأرضين، وما فيها من أسرار، أغلب ذلك لم ير، ولم يحسّ.

وأيضاً ننقل إلى السماء، وما فيها من أسرار، من ملائكة وغير ذلك من خلّاق إلى الآن لم تعرف هويّتها وجنسها، وما إلى ذلك من عجائب وغرائب تكتشف حيناً بعد حين، والتي لم تكتشف كثيرة حتماً، وسيبقى بعضها على مجهوليّته؛ لأنّ الإنسان بطبيعته ممكن محدود.

قال تعالى: {...وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (٢).

لنرتفع إلى السماء الأولى، وما فيها من أسرار، من ملائكة، من كينونات، من مكونات، من موجودات، من ذوات من صفات من أعراض، كلّها أيضاً في قائمة {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ}.

ثمّ ننقل إلى السماء الثانية، هي أيضاً تستبطن أسراراً عجيبة وغريبة لا يرقى أحدٌ إلى الإحاطة التامة بها على الإطلاق إلا هم صلوات الله عليهم.

ثمّ ننقل إلى السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، كلّها فيها أسرار غائبة علينا، قال تعالى:

{وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣).

(١) النمل: ٨٨.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) النمل: ٧٥.

فالَّذي نودَّ أن نتعرّف عليه، بعد إثبات أن كلَّ المغيّبات، وكلَّ الحقائق والهويّات والماهويّات، مسطور في {كِتَاب مُبِين}.

فما هو هذا الكتاب المبين؟

نبحث هنا في هذه المسألة عن معنى الكتاب المبين. راجعت أغلب التفاسير، ونظرت في ثنايا تلك الكتب، وخلصتها إنَّ بعضاً يذكر أنَّ المراد بالكتاب المبين الَّذي انطوت فيه جميع الأسرار هو عبارة عن «اللوح». إذن، اللوح صار موطناً ومحلاً لتلك الغائبات التي هي في السماوات والأرضين وغيرها.

فالمراد إذن _حسبما أفاده المفسّرون والموضّحون والشارحون للكلمة ومعناها_ من الكتاب المبين هو عبارة عن اللوح. وقال بعض آخر: هو عبارة عن عالم الوجود. وقال فريق ثالث غير ذلك.

نسأل: مالمراد باللوح؟

قال بعضهم: المراد باللوح هو عبارة عن قماش أو حرير أو ما شابهه، نقش عليه جميع الأشياء. وقال بعضهم: إنه عبارة عن قطعة نورانيّة من الأخشاب الإلهيّة، حملت فيها جميع أسرار الخلق. وما إلى ذلك من معان وتوجيهات، لسنا الآن في صدد حصرها.

فباللوح: هو الموطن، أو الآلة الحاملة لأسرار المغيّبات، سماوات وأرضين، فعلى جميع هذه المعاني للوح سواء كانت قطعة من حرير، أو خشباً نورانياً أو ما إلى ذلك ممّا نعرفه ونفترضه، أو ما لا نعرفه، فهل ياترى ترقى هذه المعاني في حقيقتها على صدر محمد، وقلب علي المرتضى وآل علي صلوات الله عليهم أجمعين؟!

بمعنى آخر: أيكون اللوح حاوياً _مع كلِّ ما نفترض له من معنى

ومدلول_ على معان وأسرار هي خافية على صدر المصطفى والمرتضى صلوات الله عليهما!؟

بلا إشكال إن ما تفتروضونه من معنى لا يعلو على صدر النبي «صلى الله عليه وآله» ولا يعلو على قلب الولي «عليه السلام». فكل شيء في هذا الكون لا يتجاوز أنملة من أنامل المصطفى، ولا يرقى إلى حقيقة صدر النبي «صلى الله عليه وآله» وقلب الولي «عليه السلام» والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

إذن _عزيزي الموالي_ فإنّ أيّ معنى ممكن أن يفهمه البعض _بمعزل عن محمد وآل محمد صلوات الله عليهم_ يبقى هذا المعنى غير جامع للمعرّف به. كيف؟ لأنّ القرآن يصرّح: **﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**^(١) فهذا الإطلاق وهذا الشمول في الآية الكريمة لا يمكن، بل لا يعقل أن يجمعه شيء على الإطلاق، سوى محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فقد تقدّم الكلام في الأبحاث السابقة، أنهم صلوات الله عليهم، هم الذين انطوى فيهم علم ما كان وما يكون وما هو كائن، ولا تخفى عليهم خافية لافي سماوات، ولا في أرضين ولا في غيرهما، ولا يمكن لسواهم صلوات الله عليهم، هذا الشمول والكمال.

إذن، يكون المعنى المطابقي والحقيقي للوح هو قلب المصطفى
والمرتضى والأئمة الميامين المعصومين من آلهما صلوات الله عليهم
أجمعين. فهم الحقيقة الجامعة لحقائق الأشياء الظاهرة والخفية.

أنظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» كيف ارتقى المنبر، وصاح بأعلى صوته بالخطب الثابتة عقلاً ونقلاً _رغم إنكارها من قبل من لا مسحة نورانية له، وممن لم يحكم معاني هذه الخطب النورانية_:

«أنا اللوح، أنا القلم، أنا العرش، أنا الكرسي»^(١)،

أراد أن يقول كلّ ما يفترض من مادّة فيها أسرار القرآن فهي في صدري وفي قلبي، ما قيمة اللوح مهما كان أو يكون بالنسبة لصدر المصطفى محمّد، أو صدر المرتضى عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم أجمعين؟!

ومن هنا تعرف سرّ اللوح، إذ هو في حقيقة معناه رمز، لا تفسّره بقطعة قماش، أو حرير أو سندس أو استبرق أو ما أشبهه، إنّما هو رمز يشار به إلى صدر المرتضى عليّ «عليه السلام» ولهذا قال «عليه السلام»:

«أنا أعلم خطرات القلوب، ولمح العيون، وما تخفي الصدور».

كلّ ذلك بإذن الله، حيث آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، ولهذا طأطأ كلّ شريف لشرفهم^(٢).

ورد عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال للمفضل بن عمر «رضي الله عنه»: «يا مفضل، إنّ الله تعالى كان ولا شيء قبله، وهو باق ولا نهاية له، فله الحمد على ما ألهمنا، والشكر على ما منحنا، فقد خصّنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه، وجعلنا مهيمين عليهم بحكمه»^(٣).

إذن، لا يمكن أن يرقى على شرف المصطفى وآله صلوات الله عليهم لا لوح، ولا قلم، ولا عرش ولا كرسيّ، كلّ شيء دون شرف محمّد وعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم أجمعين.

روى الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف، باسناده إلى سيف التمار،

(١) أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١.

(٢) مقطع من الزيارة الجامعة للمعصومين صلوات الله عليهم، أنظر كتاب سماحة المحاضر حفظه الله الصوارم القاطعة: ١٥١ - ١٥٢ الفقرتان ١٧٦ و ١٧٧.

(٣) توحيد المفضل: ٤٤ المجلس ١.

قال: كنا مع أبي عبد الله «عليه السلام» جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمينا ويسرة فلم نرَ أحداً، فقلنا: ليس علينا عين.
فقال: وربّ الكعبة، وربّ البنيةِ _ ثلاث مرّات _ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما، ولنبيّتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى والخضر أُعطيَا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وراثته^(١).

وأورد ابن شهر آشوب في المناقب، عن صفوان بن يحيى، عن بعض رجاله، عن الصادق «عليه السلام» قال: والله، لقد أُعطينا علم الأولين والأخريين، فقال له رجل من أصحابه: جعلت فداك أعندكم علم الغيب؟ فقال له: ويحك! أنّي لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء، ويحكم! وسعوا صدوركم، ولتبصر أعينكم، ولتغفل قلوبكم؛ فنحن حجّة الله تعالى في خلقه، ولن يسع ذلك إلا صدر كل مؤمن قويّ، قوّته كقوة جبال تهامة إلا بأذن الله، والله، لو أردت أن أحصي لكم كلّ حصاة عليها لأخبرتكم، وما من يوم وليلة إلا والحصى يلد ايلاًداً كما يلد هذا الخلق، ووالله، لتبأغضون بعدي حتّى يأكل بعضكم بعضاً^(٢).

هذه هي الحقيقة _ أخي الفاضل _ والقرآن يصدع كلّ صباح ومساء في ذهن كلّ عاقل، بقوله تعالى:

{وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ^(٣).
وقوله تعالى أيضاً: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ

(١) أصول الكافي: ٢٦٠/١ ح ١، عنه تأويل الآيات الظاهرة: ١١٠.

(٢) المناقب: ٢٥٠/٤، عنه صحيفة الأبرار: ١٠٤/١.

(٣) النمل: ٧٥.

عِبَادِنَا^(١).

ورد عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال:

الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، وأيدنا بحلمه، من شذَّ عَنَا فالتَّارَ مأواه، ومن تَفِيءَ بظل دوحتنا فالجَنَّةُ مثواه^(٢).
إذن، كلُّ ما نفترض للكتاب من معنى، فلا يكون إلا صدر المصطفى، وقلب المرتضى وآل المرتضى «عليهم السلام» وهذا معنى، «أنا اللوح» يعني، أنا المرموز إليّ في القرآن بالكتاب المبين في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ^(٣)}. أي الذين يسلمون تسليماً تاماً كاملاً لحقائقهم ومعارفهم صلوات الله عليهم، وما قيمة هذه العلوم بالنسبة إلى علم الأئمة الميامين «عليهم السلام»!؟

هل نستكثر عليهم هذه العلوم!؟

هل نستكثر على الله تعالى أن آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين!؟

وهل نستكثر أن كلَّ شريف طأطأ لشرفهم!؟

فكلّ الذي ذكر ونسب إلى فضل ورتبة أهل البيت صلوات الله عليهم، ما هو إلا شؤونات ومنازل ظاهرة، وأمّا المقام الحقيقي لعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم، فلا يمكن الإحاطة بمعرفته إلا من قبل الله ورسوله، قال من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى «صلى الله عليه وآله»: «يا عليّ ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري^(٤)».

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) توحيد المفضل: ١٢٦.

(٣) البقرة: ٢.

(٤) أورده العلامة المجلسي «رحمه الله» في البحار: ٨٤/٣٩.

هذه هي الحقيقة، هذا الذي كتبه الله في كتابه، وهذا الذي بيّنه القرآن في خطابه، ولا يخفى ذلك لمن تدبّر وتأمل في آيات القرآن.

وجدير بالإشارة أنّ كلّ مكلف مطالب بالتأمّل فيها، فالقرآن آيات، وحقيقة الآيات هي وجوه الحقائق الوجودية «الأنوار العلوية» وهي الآيات التي أمر الله تعالى بالتدبّر فيها؛ لأنها هي الباب الموصل إلى الله تبارك وتعالى، على ما ورد في الأخبار الصحيحة عنهم صلوات الله عليهم:

«من أراد الله بدأ بكم»^(١).

«من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ».

«بنا عرف الله، بنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولنا ما عبد الله».

لماذا؟ لأنهم الكتاب المبين الذي سطر فيه علم السماوات والأرضين والأنبياء والمرسلين، يقول إمامنا الصادق «عليه السلام»:

نحن خزّان الله على علم الله، نحن تراجمه وحي الله، نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض^(٢).

فالحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله على نعمة المعرفة، وعلى نعمة التدبّر في آيات الله الكبرى، وهل هناك يا أبناء القبلة آية أعظم منهم؟ وهل هناك نبأ أعظم من عليّ وآل عليّ «عليهم السلام»؟! ولربّ قائل يقول: لماذا تجرّ نفسك إلى هذه المأزق، وتدخل نفسك

(١) مقطع من الزيارة الجامعة تقدّمت الإشارة إليه.

(٢) بصائر الدرجات: ١٠٤ ح ٦.

في خانة المغالين؟ إذْهَب وتأمّل في السماء، في الكهرياء والنار والغاز وغيرها حتّى يبعدونك عن سمة الغلو!!

وجوابي لهذا وأمثاله، ما قاله خاتم الأنبياء والمرسلين «صلى الله عليه وآله»:

«معاشر الناس مالي إذا ذكر آل إبراهيم عليهم السلام» تهللت وجوهكم، وإذا ذكر آل محمد كأنما يفتقأ في وجوهكم حبّ الرمان؟ فوالذي بعثني بالحق نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال، ولم يجئ بولاية عليّ ابن أبي طالب «عليه السلام» لأكبّه الله عزّ وجلّ في النار»^(١).

لقد استعظموا هذا الكلام على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع أنّه حديث الفطرة، حديث الوجدان، حديث القلب، حديث أهل المشاهدة والعيان، حديث أهل المكاشفة، الأولياء الذين يعلمون علم اليقين، العلم الذي كان عليه سلمان، وما أدراك ما سلمان! فإنّ الجنّة اشتاقت إلى سلمان أكثر من اشتياق سلمان إليها، لماذا؟

لأنّه كان يمتلك سرّ عليّ، والجنّة تريد عليّاً، وهل هناك في الوجود، أعظم من عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم؟
روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنّه قال:

يا عليّ، إنّ الجنّة تشتاق إليك وإلى عمّار وسلمان وأبي نرّ والمقداد.^(٢)

وروي عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنّه قال: **إنّ سلمان علم الاسم الأعظم.**^(٣)

(١) أخرجه العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ١٧١/٢٧ ح ١٢، عن أمالي الشيخ الطوسي «رحمه الله».

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد «رحمه الله»: ١١.

(٣) روضة الواعظين للنيسابوري: ٢٨٠/٢.

وقال أبو عبد الله «عليه السلام»: الإيمان عشر درجات، فالمقداد في الثامنة، وأبوذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة^(١).
ونقل عن ابن عباس، أنه قال: رأيت سلمان الفارسي «رضي الله عنه» في منامي، فقلت له: يا سلمان، أأنت مولى النبي «صلى الله عليه وآله»؟
قال: بلى، فإذا عليه تاج من يا قوت، وعليه حلّي وحل، فقلت: يا سلمان هذه منزلة حسنة أعطاكها الله تعالى.
فقال: نعم.

قلت: فما رأيت في الجنة أفضل بعد الإيمان بالله ورسوله؟
قال: ليس في الجنة بعد الإيمان بالله ورسوله شيء هو أفضل من حبّ عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» و الاقتداء به^(٢).
قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

إنّ الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة وإنّ الجنة لأعشق
لسلمان من سلمان إلى الجنة...^(٣)
نسأل: لماذا حصل سلمان المحمّدي رضوان الله عليه على كلّ هذه
الشرافة، حتّى إنّ الجنة تشتاق وتعشق سلمان المحمّدي؟
بلا أدنى شكّ إنّ سلمان المحمّدي وصل إلى تلك المرتبة ببركة القرب
لمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.
جعلنا الله وإياكم من المقربين من أولياء الله الصالحين.

(١) روضة الواعظين: ٢/٢٨٠.

(٢) المصدر السابق: ٢/٢٨١.

(٣) المصدر السابق.

اللهمّ أحيينا محيا محمد وآل محمد وأمتنا ممات محمد وآل محمد
صلوات الله عليهم عدد ما في علمك عزّ شأنك.

البحث السابع

تأسيديات إلهية ميمونة للأسرار العلوية المكنونة

في معنى الغيب

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا عِنْدِي مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآله» إِلَّا أَنَا

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
«أَنَا عِنْدِي مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» إِلَّا
أَنَا»^(١).

هذه الإشرافات العلوية العلية، تطفح علينا من الساحة العلوية المقدسة، فتغمر قلوب الموالين لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، بالإيمان والانقياد المطلق لما فيها من معان وأسرار روحانية شريفة، أما الذين في قلوبهم مرض فعندما يسمعون كرامة لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فتراهم يلهثون في سبيل تمويه الحقائق، فمثلهم كمثل الكلب، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث^(٢)، ونحن في هذه الأبحاث التي عقدناها لإثبات صحة الكلمات النورانية الصادرة من الساحة المقدسة للمولى صلوات الله عليه، في غنى عن هؤلاء؛ لأنّ الكلام معهم غير مجد. قال تعالى: {وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}^(٣) ولكن عزيزي الموالى_ كلامنا في هذه الأبحاث الشريفة يدور مع من غرر به بسبب الشبهات والأوهام التي يثيرها الأعداء، عبر أغلب القنوات _من مذياع «وتلفاز وانترنت» وأغلب الوسائل الحديثة الأخرى_ فأخذ البعض ممن لا يمتلك الحصانة يردد مقولة الأعداء، بخصوص هذه الأقوال والحكم والخطب وغيرها، بل وصل

(١) مقطع من الخطبة الروحية لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام». أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧٠.

(٢) مقتبس من قوله تعالى في سورة الأعراف: ١٧٦.

(٣) النمل: ١٤.

التشكيك إلى مرتبة خطيرة، فطال ذلك أغلب معجزات وكرامات الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، فحدا بنا ذلك إلى إقامة هذه الأبحاث الشريفة، لتتوير الطريق للسالكين، فهي بمثابة اللقاح أو المصل، للذي يريد أن يتحصن من الأمراض أو يكافحها؛ لذا ركزنا على دعم هذه الكلمات القدسية النورانية، لمولانا أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، بالنصّ الثابت من كلام الله الحميد، وسنة نبيه المحمود، وما يقرّ به العقل الصريح، والنقل الصحيح.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

قبل أن نوضح كيفية الاستدلال في هذه الآية الكريمة على مدلول كلام الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، نحاول أن نستعرض الآيات المثبتة والنافية لعلم الغيب عن غير الله سبحانه وتعالى، ونناقش هذه الآيات مناقشة علمية مفعمة بالآيات القرآنية، والأحاديث المعصومية الشريفة، حتى نخلص إلى النتيجة، وقبل كل هذا نحاول الإشارة إلى المراد من الغيب، وكذا نوضح مصطلح «مفاتيح الغيب» أي المراد بمفاتيح الغيب في الآية الشريفة؟ وغيرها من الأبحاث القيمة التي تجد حلوتها في صفحات هذه الأبحاث، ببركة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم.

إنّ المراد من الغيب قد تقدم الكلام عنه في البحث المتقدم ونضيف عليه هنا ما نقله الشيخ الطوسي «رحمه الله» في معنى الغيب، حيث قال: وأمّا الغيب، فحكى عن ابن عباس، أنّه قال: ما جاء من عند الله. وقال

جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره: إنَّ الغيب ما غاب عن العباد علمه، من أمر الجنَّة والنار والأرزاق والأعمال وغير ذلك، وهو الأولى لأنَّه عامٌّ، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان الغيبة ووقت خروج المهدي عليه السلام». وقال قوم: الغيب هو القرآن، حكى ذلك عن زر بن حبيش. وذكر البلخي: إنَّ الغيب كلُّ ما أدرك بالدلائل والآيات، مما تلزم معرفته. وقال الرماني: الغيب خفاء الشيء عن الحس، قرب أو بعد، إلاَّ أنَّه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحس.

وأصل الغيب من غاب. يقولون: غاب فلان يغييب، وليس الغيب ما غاب عن الإدراك، لأنَّ ما هو معلوم وإن لم يكن مشاهداً، لا يسمَّى غيباً^(١). أما بخصوص معنى المفتاح الوارد في الآية الشريفة. فإنَّ هذه الآية الشريفة فتحت لنا بمفتاحها سرّاً آخر وهو: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ} ما المراد هنا بالمفاتيح التي هي عند الله؟ أهي مفاتيح ماديّة محمولة تكون عنده تعالى؟ أم هي مفاتيح معنوية مرموزة، فيها سرٌّ لا بدّ من كشفه والتعرّف عليه؟

هذا هو ما نريد بحثه إن شاء الله تعالى، ثمّ ننقل إلى مطلب آخر، وهو أنّ كلَّ هذه الأسرار من الغيوب ومن الشهود التي نطقت بها الآية، كلها {في كتاب مُبِين} فما هو الكتاب الذي أحصى علم ذلك، وقد انطوى فيه سرّه؟

المفاتيح: جمع مفتاح، تارة يكون المفرد بالكسر، وأخرى بالفتح، فمرّة نقول: مفتاح أو مفتاح، وأخرى نقول: مفتاح أو مفتاح، والفرق بين هاذين التعبيرين، أنّ مفتاح يكسر الميم هو الآلة الخاصة المعروفة بالمفاتيح، والتي بواسطتها تفتح المغاليق من الخزائن والأبواب، وما أشبه.

=====

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٥٥/١ وأنظر كذلك في معنى الغيب النهاية لابن الأثير: ٣٩٩/٣، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٠٣/٤، تاج العروس للزبيدي: ٢٩٤/٢ - مادة غيب - .

والمفتاح_يفتح الميم_بمعنى الخزينة والمستودع^(١).
نقل المشهدي «رحمه الله» في كنز الدقائق_في مورد الآية الشريفة_قال:
مفتاح الغيب يعني خزائنه . جمع مفتاح_يفتح الميم_ وهو المخزن، أو ما
يتوصل به إلى المغيبات. مستعار من المفاتيح الذي هو جمع مفتاح_بالكسر_
وهو المفتاح^(٢).

ونقل الشيخ الطوسي في تفسيره، قال: مفتاح الغيب معناه الأمور التي
بها يستدل على الغائب فتعلم حقيقته، يقال: فتحت على الرجل، أي عرفته
أولاً، ويستدل به على الآخر، وجملة يعرف بها التفصيل. ومنه قولهم: افتح
عليّ أي عرفني. قال الزجاج: معناه وعنده الوصوله إلى علم الغيب، وكل ما
لا يعلم إذا استعلم^(٣).

ونقل السيد الطباطبائي في الميزان، قال:
إنّ المراد بمفاتيح الغيب الخزائن الإلهية التي تشتمل على الأشياء قبل
تفريغها في قالب الأقدار، وهي تشتمل على غيب كل شيء ويذل عليه_
{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}{^(٤)(٥)}
فالمراد، هو أنّ خزائن الغيب كلّها عند الله تعالى، وأيضاً إذا قلنا : إنّ
المراد بها المفاتيح، فهي أيضاً مفاتيح الغيوب، وهي عند الله تعالى، والذي
يرجح أنّ المراد هنا هو عبارة عن المفتاح الخاص، هذا المفتاح الخاص الذي
نبحثه الآن، هل يراد به المفتاح المادي المعروف، المكوّن من مادة معينة،
مجسّمة، أو أنّ المراد هنا بالمفتاح أمر آخر؟

(١) أنظر لسان العرب: ١٧٠/١٠ - مادة فتح - .

(٢) كنز الدقائق: مورد الآية .

(٣) التبيان: ١٥٥/٤ .

(٤) الحجر: ٢١ .

(٥) الميزان : ١٣١/٧ .

لا شك بأنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يمكن أن يحدَّ بمفتاح مادّي، ولا يمكن أن يتسم بالماديّات، أو أن تكون عنده هذه الهيئات والأشكال والصور، وما إلى ذلك.

إذن المراد بمفتاح الغيب، يعني أسرار الغيب، يعني الأمر المرموز، والمعنى الذي به ينطلق فاتح الغيب إلى الغيب، ويطلّع حينئذ على ما هناك من أسرار، وهذا هو المقصود.

المفاتيح ليس المفاتيح الحديدية أو الخشبية، أو ما أشبه؛ لأنَّ الله جلَّ جلاله حاشاه أن يحتوي هذه الأشياء الماديّة، فهو ليس بمادّة، وليس محكوماً بها وبأبعادها، وبصورها وأشكالها وهيئاتها، بل هو تعالى شأنه صانعها ومكوّنها وبارئها.

ينبغي أن نتصوّر ونفهم، ونعرف المعنى الدقيق والعميق لهذه المفاتيح، ولا بدّ أن نمضي شوطاً في معان هذه الآية، ثمّ ننقل إلى روح الروايات الصادرة عن العترة الزاكية الطاهرة، صلوات الله عليهم أجمعين، ثمّ ننتهي إلى بيان المراد بالكتاب المبيّن؛ حتّى نستوفي المعنى الصحيح في سرّ هذه المفاتيح، ولنزيح كلّ شبهة ووهم عن صقّع الأذهان، حتّى يتّضح بأنّ المراد هنا بالمفاتيح هي «الحقائق الوجودية» التي بها يكشف الله تعالى غيبه لأوليائه وأنبيائه وأصفيائه وممّن اجتباهم من خلقه، ذلك بنصّ القرآن الكريم. ومن أجل التعرّف على هذه الحقيقة نُعرّج على بعض الآيات النافية للغيب عمّا سوى الله تعالى، وأيضاً بعض الروايات الدالّة على ذلك.

وكذا الآيات وبعض الروايات المثبتة لعلم الغيب للغير، حتّى يُرفع اللبس، ونصل إلى النتيجة المطلوبة، ببركة محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم. فأعزني ذهنك جيّداً _أيّها الفاضل_.

المجموعة الأولى: الآيات التي تشير إلى نفي علم الغيب عن غير الله تعالى، وأنه لا يعلم الغيب إلا هو تعالى، منها:

١- قوله تعالى: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ..} (١).

٢- وقوله تعالى: {...وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ...} (٢).

٣- وقوله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} (٣).

٤- وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} (٤).

٥- وقوله تعالى أيضاً: {وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٥).

هذه الآيات ظاهرها ينفي علم الغيب عن غير الله تعالى، بمعنى أنه لا يوجد أحد يعلم الغيب على الإطلاق إلا الله تبارك وتعالى. ممّا حدا بالبعض ممن ينتحل العلم إلى التمسك بظاهر هذه الآيات، وحكم بأنه لا يعلم أحد الغيب سواء كان نبياً أم إماماً، ولياً أم وصياً، إلا الله تعالى. فهم ينفون علم الغيب عن غير الله تعالى مطلقاً.

وهذا ناشيء من عدم الدقة في معرفة اللغة وعدم الإلمام بالمفاهيم والمصطلحات العلمية فيها. وكذا - وهو الأهم - فإن هذا أيضاً ناشيء عن قلة الورع في الدين، فتراهم يتشبثون بهذه

(١) الأنعام: ٥٠.

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) النمل: ٦٥.

(٤) آل عمران: ١٧٩.

(٥) هود: ١٢٣، والنحل: ٧٧.

المجموعة من الآيات، بتراً للقرآن، وقطعاً لبقية الآيات. يعني، يأخذ ما ينفع مشربه ومسلكه ومذهبه ويدع الباقي، ولقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا} (١).

نقول: نعم، إن ظاهر هذه الآيات الشريفة ينفي علم الغيب عما سوى الله تعالى، ولكن الثابت لذوي الأبواب، المتبصرين بمضامين القرآن إن في القرآن خاصاً وعماماً ومطلقاً ومقيداً وما إلى ذلك، فلا يمكن التمسك بظاهر قرآني إلا بعد الفحص والتدقيق عن كل المخصّصات والمقيّدات لهذا الظاهر. وإن ظاهر هذه الآيات الشريفة مخصّص بآيات قرآنية كثيرة – كما سيأتيك عزيزي الموالي ذكر ذلك – فلا يجوز إذن الوقوف عليها وعضّ النظر عن الآيات الأخر.

المجموعة الثانية : الآيات التي تشير إلى الإطلاع على علم الغيب لغير الله تعالى منها :

- ١- قوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ} (٢) إن، بمدلول هذه الآية الشريفة انفتح الغيب على الحضرة النبوية الشريفة.
- ٢- وقوله تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ...} (٣).
- ٣- وقوله تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} (٤) أي لا يُمسك، ولا يَبْخُلُ على إطلاع الحضرة النبوية على غيبه.

(١) النساء: ٤٦.

(٢) يوسف: ١٠٢.

(٣) هود: ٤٩.

(٤) التكويد: ٢٤.

٤- وقوله تعالى أيضاً وهذا نص ساطع وسيف قاطع: {عَالَمُ الْغَيْبِ
فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ...} (١).
فهذه الآيات القرآنية الكريمة تكون مخصّصة وموضّحة لعمومات
الآيات القرآنية الكريمة النافية لعلم الغيب عن غير الله تعالى. ولكي يتضح
المطلب جيداً نقول:

الغيب قسماً:

أولاً: غيب خاص، أي مختصّ بالله تعالى ولا يطّلع عليه أحد مهما
كان، سواء كان نبياً أو إماماً... وهو من قبيل معرفة الذات الإلهية وكنهها.
فمن يدّعي معرفة كنه الذات المقدّسة فأحث التراب في وجهه، وكفى في ذلك
قول سيد الكائنات وأشرف المخلوقات «صلى الله عليه وآله»: ما عرفناك حقّ
معرفة (٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته
القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون، ولا يؤدي حقّه المجتهدون، الذي لا
يدركه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا
نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود... (٣).

وقال «عليه السلام» أيضاً: فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة،
والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم
عترّة نبيكم، وهم أعلام الدين، وألسنة الصدق... (٤)

ثانياً: غيب عامّ، أي غيب يُطلع الله تعالى عليه الأنبياء والأوصياء

(١) الجن: ٢٦ - ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٢/٦٦.

(٣) نهج البلاغة: ١٣ مقطع من خ ١.

(٤) نهج البلاغة: ١٤١ مقطع من خ ٨٧.

صلوات الله عليهم والملائكة والصالحين من عباده عزّ شأنه.
ورد عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: إنَّ الله علم مكنون
مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله
وأنبياؤه ونحن نعلمه^(١).

ونقل الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف، عن سدير الصيرفي
قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر «عليه السلام» عن قول الله عزّ وجل:
{بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} قال أبو جعفر «عليه السلام»: إنَّ الله عزّ وجلَّ ابتدع
الأشياء كلّها بعلمه، على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين،
ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: {وكان عرشه
على الماء}.^(٢)

فقال له حمران: رأيت قوله جلّ ذكره: {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى
غَيْبِهِ أَحَدًا}؟ فقال أبو جعفر «عليه السلام»: {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} وكان
والله، محمّد ممّن ارتضاه، وأما قوله {عَالَمُ الْغَيْبِ} فإنَّ الله عزّ وجلَّ عالم
بما غاب عن خلقه فيما يُقدّر من شيء، ويُقضى في علمه قبل أن يخلقه،
وقبل أن يفرضه إلى الملائكة، فذلك يا حمران، علم موقوف عنده، إليه فيه
المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذي يقدره
الله عزّ وجلَّ فيقضيه ويمضيه، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله «صلى الله
عليه وآله» ثمَّ إلينا^(٣).

فقوله تعالى: {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} * إِلَّا مَنْ

(١) بصائر الدرجات: ١٠٩، باب ٢١ ح ٢.

(٢) هود: ٧.

(٣) أصول الكافي: ٢٩٦/١ ح ٢.

ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...^(١) عام وشامل، أي لم يقل تعالى شأنه «على بعض» أو «على جزء غيبه» أو «مجموعة غيبه» بل «على غيبه كله». فالنكرة بسياق النفي تفيد العموم، فأنت لما تقول: ما رأيت رجلاً، يعني كل ما يتعلّق بهذا الجنس ما رأيت، وإذا قال الحقّ {فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا} أي مطلق الغيب لا يظهره لأحد {إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ}. فمن هو أفضل شخصية في عوالم الوجود والموجود على الإطلاق من محمّد وآل محمّد عليه السلام؟!؟

نُقل عن ابن عباس، أنّه قال: أخذ بيدي الإمام عليّ «عليه السلام» في ليلة مقمرة، فخرج بي إلى اليقيع بعد العشاء، وقال: اقرأ يا عبد الله. فقرأت {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فتكلّم لي في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر^(٢). وقال أيضاً: يشرح لنا عليّ «عليه السلام» نقطة الباء من {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ليلة، فانطلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالقوارة في جنب البحر المتلاطم^(٣). ونقل عن ابن عباس أيضاً، أنّه قال: العلم عشرة أجزاء، لعلّي تسعة أجزاء، وللناس عشر الباقي وهو أعلمهم به^(٤). وروى الشعراني عن الإمام عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» أنّه كان يقول:

لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بغيراً من معنى «الباء»^(٥).

(١) الجن: ٢٦ - ٢٧.
(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ٢١٤/١ (ط. دار الأسوة).
(٣) أرجح المطالب للحنفي: ١١٣ (ط. لاهور). وأخرجه القندوزي في ينابيع المودة: ٢١٦/١ عن الحكيم الترمذي وفيه: البحر المسعجر.
(٤) ينابيع المودة: ٢١٦/١.
(٥) لطائف المنن للشعراني: ١٧١/١ (ط. مصر).

وقال صلوات الله عليه: **أنا النقطة التي تحت الباء**^(١).

فالإمام صلوات الله عليه، عندما يقول:

«أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله» صلى الله عليه وآله **إلا**

«أنا» هذه الكلمة هي ممّا يشير إلى أنّ المفتاح رمز، ومعنى، وسرّ، وهذا الرمز والمعنى والسر لا تحقّق له في عالم المادّيات، وإنّما هو موجود فوق كلّ هذه الاعتبارات والسطحيات، وهذه المفاتيح وهذه الأسرار _ أقولها مبشراً لكلّ منصف، طالب للحقيقة _ هي:

«الحقائق المحمّدية العلوية الفاطمية الحسنية الحسينية».

فبهم صلوات الله عليهم، عرف الله الذي هو فوق الغيب، وأعظم

الغيب، الله ليس شيئاً محسوساً، الله ليس شيئاً مادياً، الله فوق هذه التعقّلات والتصورات.

إذن، هم صلوات الله عليهم، المفاتيح المرموز لها، وهذه المفاتيح لن تجد لها معنى حقيقياً بخلاف ذلك الفهم والتصور، ولكن هذه المفاتيح لا يمكن حصرها ومعرفة حقيقتها إلاّ من قبل الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» ولهذا خاطب الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» الإمام عليّاً «عليه السلام» بقوله: **يا عليّ ما عرفك إلاّ الله وأنا، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرف الله إلاّ أنا وأنت**^(٢)

هذه هي المفاتيح التي نفتح بها الغيب والشهود، وبها ينزل الغيث من السماوات إلى الأرض الجزر فتصبح أرضاً منبّتة، ويتحقّق فيها وجودك، ووجودي، ووجود الكائنات الأخرى، هذه حقائق مفاتيح الغيب، ولذلك أراد «عليه السلام» أن يفسّر هذه الحقيقة، ويبين هذا المعنى بقوله المتقدم.

(١) بنابيع المودة: ٢١٣/١ ذ ح ١٥، عن الدّر المنظم لابن طلحة الشافعي.

(٢) أورده المجلسي «قدس سره» في البحار: ٨٤/٣٩.

روى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده إلى زرعة، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

قلت له: أي الأعمال هو أفضل بعد المعرفة؟

قال: ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة، ولا بعد المعرفة والصلاة شيء يعدل الزكاة، ولا بعد ذلك شيء يعدل الصوم، ولا بعد ذلك شيء يعدل الحج، وفاتحة ذلك كله معرفتنا، وخاتمة معرفتنا...^(١)

فإذا ثبت أنهم صلوات الله عليهم، المفتاح المرموز إليه، وأنهم المورث لهم الكتاب بنص القرآن، بانته الحقائق، وعرفت الأمور، واتضحت المبهمات لكل ذي بصيرة.

إن، الأمر محصور بهم صلوات الله عليهم، هذه هي المعرفة الحقة، والميزان في معارف القرآن، هذه الحقيقة القرآنية، خذ هذا ولا تمسك بغيره، فإنه العروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم.

يرشدنا البعض _سامحه الله_ إلى التأمل في الأوكسجين والنيتروجين وما أشبه! نقول: لا مانع، ولكن هذه آيات سطحية وجزئية، وأمّا الآية الغيبية الشهودية التي هي الصفحة في علم الغيب والشهود، وهي الكون الجامع لكل حقيقة في هذا الوجود، وهي المعرفة الموصلة إلى ربّ الوجود، إذ هي الهيكل الذي بناه بحكمته ربّ العالمين، هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فالحرّي بنا جميعاً معرفة هذه الآيات ولا نصرف عمرنا في بحث الهوامش والتفريعات.

ورد في حديث الحقيقة المروي عن كميل بن زياد رضوان الله عليه،

(١) الأمالي: ٦٩٤ ح ١٤٧٨، عنه بحار الأنوار: ٢٧/٢٠٢ ح ٧١.

صاحب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن خيار خواصّه ، حيث سأل الإمام عن الحقيقة، فأجابته الإمام «عليه السلام»: مالك والحقيقة؟

قال: أو لست صاحب سرّك؟

قال: بلى! ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي!

قال: أو مثلك يخيب سائلا؟

قال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

قال: زدني فيه بياناً.

قال: محو الموهوم مع صحو المعلوم.

قال: زدني فيه بياناً.

قال: هتك الستر لغلبة السرّ.

قال: زدني فيه بياناً.

قال: جذب الأحديّة بصفة التوحيد.

قال: زدني فيه بياناً.

قال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره.

قال: زدني فيه بياناً.

قال : اطفء السراج ، فقد طلع الصبح!^(١)

قال المولى أمير المؤمنين «عليه السلام» في دعائه الشريف المعروف بـ

«دعاء

(١) أخرجه الأملّي في جامع الأسرار: ١٧٠ ح ٣٢٧، ووجدنا هذا الحديث ضمن نسخة مخطوطة، جامعة لخطب مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، والنسخة محفوظة في مكتبة مؤسستنا، وجاء في أوله: وفي حياة القلوب روي أنّه بخط مولانا الزكي «عليه السلام» ما صورته... ثمّ قال: وهذا الكتاب ذرّة من جبل الرحمة، وقطرة من بحر الحكمة كتبه الحسن بن عليّ العسكري في سنة أربع وخمسين ومئتين. وأنظر كذلك مجالس المؤمنين للتستري «قدس سره»: ١١/٢ مجلس ٦.

كميل»:

وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء^(١).

إذا عرفت هذه المقامات السامية- أيها الفاضل- ثم تقف عند المصطفى «صلى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين «عليه السلام» والأئمة الميامين صلوات الله عليهم ، فإنك تقف بين يدي من عندهم علم ما كان وما يكون، وخضع لهم كل شيء، هذه المعاني والأنوار كلها مبيّنة ومفسّرة في القرآن الكريم، ولكنها تحتاج إلى ماهر، غوّاص عارف حتى يستخرج هذه اللآلئ والدرر واليواقيت.

قال تعالى: **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**^(٢)
وهم صلوات الله عليهم، كلمات الله التامات.

روي عن الإمام الهادي «عليه السلام» في حديث، أنه قال:

نحن كلمات الله التي لا تنفذ، ولا تدرك فضائلنا^(٣).

جعلنا الله وإياكم من المتمسكين بحبل الله المتين محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) مقطع من دعاء كميل. أنظر مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي «رحمه الله»: ٩٦

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) أورده ابن شعبة الحراني في تحف العقول: ٣٥٨ ضمن حديث طويل.

البحث الثامن

الشمس وبراهين أين من الأسم
الأثر أو وضع من

في بيان بعض مقامات الإمام عليه السلام

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

لَقَدْ أُعْطِيَ عِلْمَ الْبَلَايَا وَالْمَنَائِيَا وَالْوَصَايَا وَفَصَلَ الْخِطَابِ

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
«أنا قسيمُ الله بينَ الجنةِ والنَّارِ، لا يدخلُها داخلٌ إلا على أحدِ قسَمَيَّ،
وأنا الفاروقُ الأكبرُ، وأنا الإمامُ لمنَ بعدي والمؤدِّيَ عمَّن كانَ قبلي،
لا يتقدَّمَنِي أحدٌ إلا أحمدُ» صلى الله عليه وآله» وإني وإياه لعلَى سبيلِ واحدٍ، إلا أنه
هُوَ المدَّعُو بِاسْمِهِ، ولَقَدْ أُعْطِيتُ السَّتَّ: عِلْمَ البَلَايَا وَالْمَنَايَا وَالْوَصَايَا وَفَصَلَ
الخطابِ، وإني لصاحبُ الكرَّاتِ، ودَوْلَةُ الدُّوَلِ، وإني لصاحبِ العَصَا والمِيسَمِ
والدَّابَّةِ الَّتِي تَكَلِّمُ النَّاسَ»^(١)

بعد أن تقدّمت بعض الأنوار القدسيّة الشريفة، في الكشف عن بعض
الأسرار العلويّة المنيفة، نقيم أبحاثنا جميعاً طبق هذا المنهج السليم، والدين
القويم. ليحيا من حيّ عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بيّنة. فما لناكرين لهذه
الأنوار والفيوضات الرحمانية الرحيمية إلا الدحر والخسران والخفة في
الميزان، فويل ثمّ ويل! لمن أنكر فضيلة من فضائلهم، أو جهل أو تجاهل
حقّهم، أو شكّك في مقاماتهم صلوات الله عليهم.

قال الإمام الباقر «عليه السلام»: فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا
فأمامه سجين^(٢)

(١) مقاطع من كلام المولى صلوات الله عليه، أوردها الشيخ الحسن بن سليمان الحلّي
في مختصر بصائر الدرجات: ٢٠٤.
(٢) تفسير القمّي: ٣٨٠/١، وجاء فيه: من عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه
السعير. عنه بحار الأنوار: ١١٤/٢٤.

فلا تكن ممن استزله الشيطان بعد الحجّة والبرهان، وتُشكك في كلام أمير النحل والبيان، بل تمسك بالحقّ الأبلج فستجد إن شاء الله الوسيلة والمخرج.

إنّ _عزيزي الموالي_ إذا كان كلام الله المجيد دالا بالدلالات الناصعة، والإشارات اللامعة على كلام الإمام أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فهل يسوغ لأيّ شخص _مهما كان أو يكون_ إنكار ذلك؟!

فلنبحث معاً في معاني كلام الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^(١)، ودلالة هذه المعاني على فكّ الرموز التي تكتنف أسرار كلام المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، مشفيعين ذلك بالبراهين الساطعة والحجج اللامعة من كلام سيّد المرسلين، محمّد الأمين صلوات الله عليه وآله، وروايات الأنجيين الأطهرين، آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

قال تعالى:

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} ^(٢)
لا بدّ من تأمل هذا المضمون القرآني حتى نصل إلى أعماق المراد الذي يستقرّ فيه ذلك السرّ، وما أدراك ما ذلك السرّ؟
إنه سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب، وكلّ الكتب تنتهي إلى ذلك الجمال الذي نحوم حوله، بل تحوم رسالات السماء حوله.

(١) مقتبس من قوله تعالى في سورة فصلت: ٤٢.

(٢) الحج: ٧٠.

فالقُرآن الكريم عندما يخاطب النبي «صلى الله عليه وآله»: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ}.

فلو أراد الحق أن يبيّن بأن العلم مقتصر عليه على الإطلاق، كان الصدر الأوّل من الخطاب: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} كافيًا، ولكن عندما ذيل الخطاب بسرّ الكتاب، بقوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} دلّ هذا على سريان علم ذلك إلى غيره، بأذنه تعالى.

إذن، لا بدّ من تأمل تختبر فيه حركات العقول، وتأمّلات الفحول، ودهشة الأولياء وانتباهة الأذكياء، لم جعل صدر الخطاب في مجال، ونهايته في مجال آخر؟!

هذا التأمل نستفيده من الأخبار، وروايات أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، حتّى نصل إلى الأعماق، لا نكتفي فقط عند الساحل، وإنما لا بدّ أن نغوص، وندخل في أعماق القرآن لنستكشف الأسرار الربّانية المودعة فيه.

آية آية أعظم من الذي نبحت عنه، المسمّى بالكتاب!؟

وأيّ خطاب ينال شيئاً من الوجود أعظم ممّا يناله!؟

وأيّ مراد هو فوق مراد سرّ الكتاب، والإمام صلوات الله عليه، هو

عين الكتاب!؟

قال الإمام أمير المؤمنين عليّ «عليه السلام»:

«أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه... أنا الكتاب المسطور»^(١)

هذا الذي نريد أن نصل إليه من خلال نصّ الكتاب، على كشف سر

(١) مشارق أنوار اليقين: ١٧٠.

الأسرار في معنى الكتاب. فهل المراد بكتاب الله صفحات الأوراق المدوّنة فيها الحروف، أم هو حقائق وجودية شريفة؟ فالذي ينبغي على الجميع، أن يعرفوا ما وراء تلك الألفاظ ليعبروا الجسر والقنطرة، ليصلوا إلى ما وراء اللفظ، إلى ما وراء الحسن، إلى ما وراء الشهادة: قال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (١). ومن هو أعظم آية في القرآن من النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون (٢)؟ يمكنني الآن أن أمضي قدماً في بحثي بتناول الجانب الكذائي من الحياة، ولكن لا أكون ضنيناً حينما أبين السرّ الأمين؛ لأنّ معرفتهم هي معرفة كلّ شيء، والجهل بهم الجهل بكلّ شيء، قال الإمام المعصوم عليه السلام: «من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله» (٣). الذي لا يعرف الولاية وسرّها لم يعرف شيئاً في الحياة، بل لا تتفعه معرفته وعبادته شيئاً مهما كانت.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أُسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي جلّ جلاله فقال: يا محمد، إني إطلعت على الأرض إطلاعة، فاخترتك منها، فجعلتك نبياً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثمّ إطلعت الثانية فاخترت منها عليّاً، وجعلته وصيك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريّتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العليّ الأعلى وهو عليّ، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثمّ عرضت ولايتهم

(١) محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النبأ: ١-٣.

(٣) أنظر أمالي الصدوق: ٧٥٤ ح ١٠١٥، وينايع المودة: ١/٣٧٠ ح ٤.

على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين، يا محمد، لو أنّ
عبداً عبدني حتّى ينقطع ويصير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم فما
أسكنته جنّتي ولا أظللته تحت عرشي^(١).

أنظر _أيّدك الله ورعاك وسدّد على طريق الصواب خطاك_ إلى قوله
تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
كِتَابٍ} ^(٢) ففي الآية الكريمة إستفهام إنكاري {أَلَمْ تَعْلَمْ} يعني، بلا إشكال أنت
تعلم، ولكنّ الخطاب لمن كان في جوارك، كما روي عن الإمام الصادق عليه
السلام «عند تفسيره لقوله تعالى {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا
مَّخْذُولًا} ^(٣)، قال «عليه السلام»: «

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ بَابَاكَ أَعْنِي وَإِسْمِعِي يَا جَارَةَ^(٤).

ألم تعلم أنّ علم الله الذي هو علم لا حدّ له، الذي لا يسعه الخلق
بما فيه: أنبياء مرسلون، ملائكة مقرّبون، عوالم فوق، عوالم الدون، ما
فوقها، وما تحتها، ما بينها وما إلى ذلك من أطوار وأدوار وأكوار للخلق،
على مختلف ألسنتها، وحقائقها، وجواهرها، وصفاتها وأعراضها وأعماقها
وظواهرها، لبّها وقشرها — كلّه في الكتاب. ما هو هذا الكتاب ؟
هذا الكتاب الذي فيه كلّ ما تقدّم، هو ما أشار إليه جلّ جلاله بقوله
تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} ^(٥)

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق «رحمه الله»: ٢٥٢ باب ٢٣ ح ٢، عنه علم
اليقين للفيض الكاشاني «رحمه الله»: ٦٣٨/١ المقصد الثالث.

(٢) الحج: ٧٠.

(٣) الإسراء: ٢٢.

(٤) أورده القمي «رحمه الله» في تفسيره: ٤٠٨/١.

(٥) فاطر: ٣٢.

أورد الأسترآبادي «رحمه الله» في تأويل الآيات، عن أبي إسحاق السبّيعي، قال: خرجت حاجاً فلقيت محمّداً بن عليّ «صلى الله عليه وآله» فسألته عن هذه الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}، فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؟ يعني، أهل الكوفة، قال: قلت: يقولون إنها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟!

قلت: فما تقول أنت، جعلت فداك؟ قال: هي لنا خاصة يا أبا إسحاق. أما السابقون بالخيرات فعليّ، والحسن والحسين «عليهم السلام» والإمام منا يا أبا إسحاق ... بنا يفكّ الله رقابكم، وبنا يحلّ الله رباق الذلّ من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح، وبنا يختم، ونحن كهفكم ككهف أصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطّكم كباب حطة بني إسرائيل^(١)

روى الكليني بإسناده إلى أبي جعفر «عليه السلام» أنه قال: ثمّ قال تعالى: {...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} ^(٢)

ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين، فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وأنّ هذا محمّداً رسولاً، وأنّ هذا عليّاً أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى. فتبنت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنّي ربكم، وأنّ محمّداً رسولاً، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، وأوصيائه من بعده ولأهله وأوليّهم، وأنّ المهديّ المنتصر به لدينيّ، وأطهر به أرضي، وأظهر به دولتي، وأنتمم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرهاً.

(١) تأويل الآيات: ٣٦٩، عنه البرهان: ٣٦٩/٦ - مورد الآية - .
(٢) الأعراف: ١٧٢.

قالوا: أقررنا يا ربّ - وشهدنا، ولم يجحد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ ولم يكن لآدم عزم...^(١).

روي عن السديّ، قال: أقبل صخر بن حرب، حتى جلس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد، هذا الأمر من بعدك لنا أم لمن؟ قال: يا صخر، الإمرة من بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فأنزل الله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ} منهم المصدّق بولايته وخلافته، ومنهم المكذّب بها، ثمّ قال: {كَلَّا} وهو ردُّ عليهم {سَيَعْلَمُونَ} سيعرفون خلافته إذ يسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى يومئذ أحد في شرق الأرض ولا غربها، ولا في برّ ولا بحر، إلاّ ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين وخلافته بعد الموت، يقولان للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك^(٢)؟

ومن سوء حظ البشرية أنّ أغلب الناس اختلفوا في عليّ «عليه السلام».

قال خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين «صلى الله عليه وآله»: «ما اختلفوا في الله ولا فيّ، وإنما اختلفوا فيك يا عليّ»^(٣).

فعندما اختلفوا في عليّ «عليه السلام» وجدوا وجمدوا على الظاهر، فأضاعوا الكتاب وسرّ الخطاب، ونسوا آيات الله فنسيهم، ونسوا عليّاً وهو الآية الكبرى والنبأ العظيم، فأنساهم الله أنفسهم، أي تركهم وأهملهم؛ لأنهم لم يعرفوا تلك النقطة التي من أجلها وقف آدم حائراً ماذا يصنع وماذا يقول. فلو أنّ الناس تمسّكوا بولاية عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» لما خلق الله النار أصلاً، ففي حديث يرويه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة، عن عليّ «عليه السلام» عن

(١) الكافي: ٦/٢ ح ١، عنه البرهان: ٢٣٧/٣ ح ٧.

(٢) تفسير البرهان: ١٩٦/٨ - مورد الآية.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ١٩٦.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: **لَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ لَقِنْتِي الْمَلَائِكَةُ بِالْبَشَارَةِ فِي كُلِّ سَمَاءٍ، حَتَّى لَقِنِي جِبْرَائِيلُ فِي مَحْفَلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ اجْتَمَعَتْ أُمَّتُكَ عَلَى حَبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ (١).**

روى البرسي بالإسناد عن ابن عباس «رضي الله عنه» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه استدعى يوماً ماءً، وعنده أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام» فشرب النبي «صلى الله عليه وآله» ثم ناوله الحسن «عليه السلام» فشرب، فقال له النبي «عليه السلام»: **هَنِيئاً مَرِيئاً يَا أَبَا مُحَمَّدٍ.**

ثم ناوله الزهراء «عليها السلام» فشربت، فقال لها النبي «صلى الله عليه وآله»: **هَنِيئاً مَرِيئاً يَا أُمَّ الْأَبْرَارِ الطَّاهِرِينَ.**

ثم ناوله علياً «عليه السلام» قال: فلما شرب سجد النبي «صلى الله عليه وآله» فلما رفع رأسه، قال له بعض أزواجه: يارسول الله، شربت، ثم ناولت الماء الحسن «عليه السلام» فلما شرب قلت له: **هَنِيئاً مَرِيئاً**، ثم ناولته الحسين «عليه السلام» فشرب فقلت له كذلك، ثم ناولته فاطمة، فلما شربت قلت لها ماقلت للحسن والحسين، ثم ناولته علياً، فلما شرب سجدت، فما ذاك؟

فقال لها: إِنِّي لَمَّا شَرِبْتُ الْمَاءَ قَالَ لِي جِبْرَائِيلُ وَالْمَلَائِكَةُ مَعَهُ: «هَنِيئاً مَرِيئاً» وَلَمَّا شَرِبَ الْحَسَنُ قَالُوا لَهُ كَذَلِكَ، وَلَمَّا شَرِبَ الْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ قَالَ جِبْرَائِيلُ وَالْمَلَائِكَةُ: هَنِيئاً مَرِيئاً، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، وَلَمَّا شَرِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: هَنِيئاً مَرِيئاً، يَا وَلِيِّي وَحَجَّتِي عَلَى خَلْقِي، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا عَلَى مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي (٢).

(١) بنابيع المودة: ٢/٢٩٠ باب ٥٦ ح ٨٢٩، عن مودة القربي: ٢٠.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ١٧٤، عنه بحار الأنوار: ٥٧/٧٣ ح ١.

إذن الكتاب وسرّ الكتاب في قوله تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} وكلّ العلوم التي هي بحوزة عوالم الإمكان، بل وعلم ما فوق الإمكان مسطورة في الكتاب، والكتاب_ بنصّ القرآن كما ثبت_ هو «عليّ» صلوات الله عليه.
قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُمِّ بِهِ الْمَوْتَى} (١)

أنظر_ عزيزي الموالي_ إلى التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة، وكيف أنّ بالقرآن الكريم تسيّر الجبال وتقطع الأرض ويكلم الموتى. فهل بصفحات القرآن يحدث كل هذا أم بحقيقة القرآن ومعناه الصادق!؟

قال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
أنا الذي سيّرت به الجبال و قطّعت بي الأرضين، وكلم بي الموتى.
هذا السر مازال مجهولاً في عوالم الإمكان على الإطلاق، لم يعرفه على حقيقته إلا الواحد الأحد عزّ شأنه والمصطفى الأُمجد «صلى الله عليه وآله».
عجرت البلغاء، وأعيت الفصحاء، وكلت الألسن، وتاهت العقول، وظلت العلوم عن أن تصف شيئاً من شؤوناته، أو تصف صفة من صفاته حاشاً ذلك!

كيف يحيط الفقير الجاهل بمقام الولاية الشامخ، ولاية عليّ بن أبي طالب وولده المعصومين صلوات الله عليهم!؟
كيف نحيط نحن وجميع الخلق – سوى المعصوم «عليه السلام» – بمقام عليّ وولده «عليهم السلام»؟ وهو «عليه السلام» الذي يقول:
والله لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً. أنظر إلى يقين المولى

القمام، وقدوة الربانيين العظام صلوات الله عليه، ففي هذه الكلمات النورانية الجليلة، أسرار ربانية عظيمة، سوف نتطرق إليها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ياترى أين الغرابة في كل كلمات المولى، وفي الحقيقة هو «عليه السلام» الكتاب بعينه؟ ولذلك فالذين يشكون في هذه الخطب، لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» ويقولون: إنها من حياكة الغلاة!! ما هذا التعظيم!! أنا وأنا!! ندعهم جانباً، لنتساءل: ترى ماذا عرفوا من عليّ؟ وهل وصل أحد إلى مقامه حتى غالى وصعد وتجاوز؟ روي في الأخبار عنهم صلوات الله عليهم، أنهم قالوا:

إجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم، فلن تبلغوا... (١)

هكذا تكون المعرفة، قال تعالى: {وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (٢) وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (٣)

الله تعالى أكرمنا، فأنزل لنا الخطاب وسرّ الخطاب. فكرامة بني آدم ليس بالأكل واللبس والمظهر، وإنما باتباع حقيقة الكتاب، المتمثلة بعليّ وآل عليّ «عليهم السلام».

قال تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...} (٤). ما هو هذا النور؟ وما هي ماهيته وحقيقته؟

النور هو: الوجود الشريف لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، الذي به نورت الأنوار، وأشرق الأديار والأكوار، فهذه كلها إشعاع بل ذرة من إشعاعات ذلك النور، الذي تكوّنت به الأنوار في عوالم

(١) أورده الصفار في بصائر الدرجات: ٢٣٦ ح ٥ باسناده إلى الإمام الصادق «عليه السلام».

(٢) النور: ٤٠.

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) الأنعام: ١٢٢.

الأبرار والأخيار الأطهار.
إذن هذا هو السرّ الأكيد الذي نستوحيه من الخطاب.
جعلنا الله وإياكم من السائرين في درب ذلك النور الساطع والضياء
اللامع محمد وآل محمد صلوات الله عليهم.

البحث التاسع

تفاصد علوية عظيمة ومطالب عليية شريفة

في فضل الإمام عليّ «عليه السلام»

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

إِنَّ أَبَاكَ مَلِكٌ مَالِمٌ يَمْلِكُهُ بَعْدَ جَدِّكَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»
أَحَدٌ

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، لابنه الإمام الحسن «عليه

السلام» وجماعة من أصحابه:

«وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ الْمُلْكَ فَأَعْطَاهُ، وَإِنَّ أَبَاكَ مَلِكٌ مَالِمٌ يَمْلِكُهُ بَعْدَ جَدِّكَ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه
وآله» أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ ... (١)

أنظر_ أيها الموالى المخلص بولايته للهداة الميامين صلوات الله عليهم
أجمعين_ إلى كلام المولى، منبع الفضائل والكرامات، ومصدر العجائب
والآيات، فسوف ينشرح صدرك وتستيقن بأنّ ولايتك لأمر النحل هي الهداية
بعينها، والابتعاد من ذلك هو الغواية ذاتها. فعوض بالضرر القاطع على بحار
العلم النافع، واعتمد في جميع الأشياء على الصدقة النجباء صلوات الله عليهم
أجمعين، واعرض عن الجاهلين، الذين هم ليوم الدين منكرين، ولحكم الله
جاحدين، ولأهوائهم وأوهامهم مصدقين، وعن الشريعة الغراء معرضين.
فالمولى صلوات الله عليه عندما يقسم، وهو الصادق المصدق بأنّه ملك
مالم يملكه بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد، فهذا فيه أسرار نورانية
عظيمة، يحتاج دركها إلى مؤمن إمتحن الله قلبه بالإيمان، حتى يفهم مراد
المولى صلوات

(١) مقطع من الجواب وسوف يأتي تخريجه فترقب.

الله عليه. ولكي نصل - عزيزي الموالي - إلى بعض هذه الأسرار نحاول أن نسرد على أسماعكم كلام الإمام كاملاً، ونحاول بعد ذلك ترجمة كلامه «عليه السلام» بالشواهد القرآنية، والأحاديث والروايات المعصومية، فلنعش معاً مع هذه الأنوار العلوية القدسية.

روى بعض علماء الإمامية، في كتاب منهج التحقيق إلى سواء الطريق، بإسناده عن سلمان الفارسي، قال:

كنت أنا والحسن والحسين «عليهما السلام» ومحمد بن الحنفية، ومحمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود الكندي «رضي الله عنهم» [عند أمير المؤمنين علي «عليه السلام»] فقال له ابنه الحسن «عليه السلام»: يا أمير المؤمنين، إن سليمان بن داود «عليه السلام» سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه ذلك، فهل ملكت مما ملك سليمان بن داود شيئاً؟

فقال «عليه السلام»: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل الملك فأعطاه، وإن أباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد قبله، ولا يملكه أحد بعده.

فقال الحسن: نريد أن ترينا مما فضلك الله عز وجل به من الكرامة.

فقال «عليه السلام»: أفعل إن شاء الله.

فقام أمير المؤمنين «عليه السلام» وتوضأ، وصلى ركعتين، ودعا الله عز وجل، بدعوات لم نفهمها، ثم أوماً بيده إلى جهة المغرب، فما كان بأسرع من أن جاءت سحابة، فوقفت على الدار، وإلى جانبها سحابة أخرى، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أيتها السحابة إهبطي بإذن الله عز وجل. فهبطت وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك خليفته ووصيه، من شك فيك فقد هلك، ومن تمسك بك سلك سبيل النجاة.

قال: ثم انبسطت السحابة إلى الأرض، حتى كأنها بساط موضوع، فقال

أمير المؤمنين «عليه السلام»: **إجلسوا على الغمامة، فجلسنا وأخذنا مواضعنا، فأشار إلى السحابة الأخرى، فهبطت وهي تقول كمقالة الأولى، وجلس أمير المؤمنين «عليه السلام» عليها بمفرده، ثم تكلم بكلام، وأشار إليها بالمسير نحو المغرب، وإذا بالريح قد دخلت تحت السحابتين، فرفعتهما رفعاً رفيقاً.**

فتأملت نحو أمير المؤمنين «عليه السلام» وإذا به على كرسي، والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف الأبصار، فقال الحسن:

يا أمير المؤمنين، إن سليمان بن داود كان مطاعاً بخاتمه، وأمير المؤمنين بماذا يطاع؟ فقال «عليه السلام»:

أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفأ، أنا باب الله الذي يؤتى منه وحبته على عباده.

ثم قال: أتحبون أن أريكم خاتم سليمان بن داود؟

قلنا: نعم. فأدخل يده إلى جيبه، فأخرج خاتماً من ذهب، فصّه من ياقوتة حمراء مكتوب عليه: «محمد وعلي».

قال سلمان: فتعجبنا من ذلك، فقال: من أي شيء تعجبون؟ وما العجب من مثلي، أنا أريكم اليوم ما لم تروه أبداً.

فقال الحسن: أريد تريني يأجوج ومأجوج، والسد الذي بيننا وبينهم. فسارت السحابة فوق الريح، فسمعنا لها دويًا كدوي الرعد، وعلت في الهواء، وأمير المؤمنين «عليه السلام» يقدمنا، حتى انتهينا إلى جبل شامخ في العلو... ثم ساق حديثاً طويلاً، أظهر فيه للمولى صلوات الله عليه الكرامات السنية والمعجزات البهية منها: جفاف الشجرة لانقطاع الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» عنها مدة، وإقرار بعض الملائكة العظام للإمام بالشهادة بالولاية، وكذا مرورهم بسد يأجوج ومأجوج، ومشاهدة الأصناف العجيبة من الناس، ورؤية جبل قاف، ومعرفة الموكل به وغير ذلك، إلى أن قال المولى صلوات

الله عليه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّي لأملك من ملكوت
السموات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جناتكم ...
أنظر_أيها الموالى_ ما هي هذه المعلومات المكتوبة التي لو علم
ببعضها المقربون أمثال: سلمان المحمّدي وعمار بن ياسر والمقداد ومحمّد
ابن الحنيفة ومحمّد بن أبي بكر لما احتملوا ذلك؟!
ثمّ يستمر الراوي في حديثه عن معجز وأسرار الإمام أمير المؤمنين
صلوات الله عليه، إلى أن يصل بقوله.

ثمّ سألنا الرجوع إلى أوطاننا فقال: **أفعل ذلك إن شاء الله.** فأشار إلى
السّحابتين، فدنتنا منّا، فقال «عليه السلام»: **خذوا مواضعكم،** فجلسنا على سحابة،
وجلس «عليه السلام» على الأخرى، وأمر الرّيح فحملتنا، حتّى صرنا في الجوّ،
ورأينا الأرض كالدرهم، ثمّ حطّتنا في دار أمير المؤمنين «عليه السلام» في أقلّ
من طرف النظّر، وكان وصولنا إلى المدينة وقت الظهر والمؤذن يؤذن،
وكان خروجنا منها وقت علت الشمس، فقلنا: بالله العجب! كنّا في جبل قاف
مسيرة خمس سنين وعدنا في خمس ساعات من النّهار!

**فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: لو أنّني أردت أن أجوب الدّنيا بأسرها،
والسموات السّبع وأرجع في أقلّ من الطرف لفعلت، بما عندي من اسم الله
الأعظم. فقلنا: يا أمير المؤمنين، أنت والله الآيّة العظمى، والمعجز الباهر
بعد أخيك وابن عمك رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).**

تري! فأين ملك سليمان «عليه السلام» من ملك الإمام عليّ «عليه السلام»؟!
حيث كلّ شيء في هذا الكون الواسع_ من الذرات إلى المجرات_ الإمام
محيط به إحاطة

(١) أخرجه العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ٢٧/٤٠، عن كتاب المختصر للحسن
ابن سليمان الحلبي.

تامة، ومن جميع الجهات، بإذن الله تعالى، بل أن ما من شيء إلا ويكون بمشيئة الإمام صلوات الله عليه، وهذا ليس فيه أدنى شك أو ريب؛ لأن الأئمة هم موارد مشيئة وإرادة الله تعالى في الخلق.

روي عن الإمام أبي الحسن الثالث «عليه السلام» أنه قال: **إنَّ الله تبارك وتعالى جعل قلوب الأئمة عليهم السلام موارد لإرادته، وإذا شاء شيئاً شأؤوه وهو قول الله تعالى: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...}** (١) (٢).

فالإمام صلوات الله عليه ناظر الله على الأشياء جميعاً، وهو صفة الله من خلقه.

و من هنا ندرك جيداً _أخي الفاضل_ هذا السرّ، فلا يتقدّم عليهم أحد على الإطلاق، فهم صلوات الله عليهم، جمعوا ما لم يمكن أن يتصور، بل هم الصفحة التي كتب عليها هذا الوجود، فهم صنائع الله، والخلق بعد صنائع لهم (٣).

ولتوضيح هذه الحقيقة _حتى لا يتسرب إلى الذهن معنى مخالف_ فإنّ عبارة **«الخلق بعد صنائع لهم»** يعنى: بهم صلوات الله عليهم، أفاض الله الوجود. أنتم تقبلون بأنّ التراب يفيض على آدم الحياة، قال تعالى: **{...كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ...}** (٤) يعني التراب هو المنشأ لخلق آدم، فكيف بأبي

(١) الإنسان: ٣٠ والتكوير: ٢٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٦٥.

(٣) إشارة إلى قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: **«فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا»**. أنظر: نهج البلاغة ٥٢٨ كتاب ٢٨. وكذلك قول الإمام المهدي «عجل الله فرجه»: **«ونحن صنائع الله، والخلق بعد صنائعنا»**. أورده الطوسي «رحمه الله» في الغيبة: ٢٨٥ ح ٢٤٥، والطبرسي «رحمه الله» في الاحتجاج: ٢٧٨/٢.

(٤) آل عمران: ٥٩.

تراب يا شيعة أبي تراب؟! فالتراب أفيض على هذا النبيّ ، ثمّ أرسله الله خليفة في الأرض، فكيف بأبي تراب صلوات الله عليه؟!
فبهذه الصفحات الوجودية والأنوار القدسية أفاض الله أنوار الوجود على الخلائق، أي، بالمصطفى والمرضى والزهراء والحسن والحسين صلوات الله عليهم، كانت الأكوان، وصارت عوالم الإمكان.
قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ * وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(١).

تأمل في مفردات ومعاني الآيات القرآنية الشريفة، بقلب حلیم وعقل سليم، فاتك بعون الله تعالى تصل إلى الفوارق الأساسية بين ما يحمله كل الأنبياء، بما فيهم أولو العزم، وبين ما يحمله محمد وآله آل الله صلوات الله عليهم، فخذ هذا واعتنم وكن من الشاكرين. وإن كنت ممن يروم المزيد من التصريح والتوضيح، ولايكتفي بالإشارة والتلويح، فدونها حقيقة ناصعة جلية، لايشوبها الغبار، كالنور الساطع ظاهر بنفسه مظهر لغيره.

ورد عن الإمام الصادق«عليه السلام» أنه قال لأحد أصحابه: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين«عليه السلام»؟
قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً.
قال: فقال أبو عبد الله«عليه السلام»: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً...﴾^(١) ولم يقل: «كلّ شيء موعظة».

وقال لعيسى: ﴿الْبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ...﴾^(٢) ولم يقل «كلّ شيء».

وقال لصاحبكم أمير المؤمنين «عليه السلام»:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٣).

وقال الله عزّوجلّ: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٤) وعلم هذا الكتاب عنده^(٥).

نعم، أنبياء الله وخصوصاً أولو العزم، وملائكة الله المقربون أوتوا من كلّ شيء، من كلّ اللغات، من كلّ المنطق، ومن كلّ الآيات: بحريّة، بريّة، سماويّة، وما إلى ذلك، وهذا عبارة عن بعض الشيء، ولكن ما ظنك بمن عندهم كلّ شيء، وكلّ شيء تجسّد فيهم؛ لأنهم صلوات الله عليهم، فوق الشيء بإذن الله تبارك وتعالى، وهذا ما ينبغي أن تعرفه وتدركه -أيها الفاضل- فجميع الآيات في الواقع هي دلائل وعلامات مشيرة للوصول إلى معادن آيات الله وكلماته، وأركان توحيدِهِ ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان.^(٦)

(١) الأعراف: ١٤٥.

(٢) النحل: ٣٩.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) أنظر الاحتجاج للطبرسي: ١٣٩/٢.

(٦) إشارة إلى الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم. أنظر إلى التوقيع الشريف الصادر من الناحية المقدسية على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعي «رض» ويدعى به في كل يوم من شهر رجب، وهو:

اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك....

فإذا أخذت بالأصل، فحينئذ أنت أقدر على الأخذ بالفرع، وإذا ملكت الرأس فأنت على غيره من الأعضاء أقدر.

تأمل في قول نبي الله سليمان — على نبينا وآله وعليه السلام — في محكم الكتاب الكريم:

{...وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّا هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} وقايس بمن عنده الكتاب كله، بل هو الكتاب المبين بعينه، الذي يقول عنه القرآن: {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (١).

أورد الصدوق «رحمه الله» عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جدّه «عليهم السلام» قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله «صلى الله عليه وآله»: {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} قام أبو بكر وعمر من مجلسيهما، فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟

قال: لا.

قالا: هو الإنجيل؟

قال: لا.

قالا: فهو القرآن؟

قال: لا.

قال: فأقبل أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هو هذا، إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء. (١)

هذا هو الفرق الجوهرى بين جميع الأنبياء والمرسلين «عليهم السلام» وبين محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فالأنبياء والملائكة يملكون من كل شيء حصّة، أمّا آل محمد صلوات الله عليهم، فيملكون كل شيء بفضل الله ومنه. فالقرآن له ظاهر وباطن، له تفسير وتأويل، والعالم بالكتاب عالم بذلك كلّه، تنزيله، تأويله، باطنه، ظاهره، كل شيء جاهز عنده. خبر ما كان، خبر ما يكون، عوالم الغيوب، عوالم الشهود كلّها مجتمعة بين يديه حضوراً فعلياً، غير محجوب عنه، ولا مُسدل عليه بشيء على الإطلاق، هذا كتاب الله تعالى يقول: {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٢) والكتاب عند من؟ يقول جل وعلا: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا كُلِّ الْعَالَمِ مَمْلُوكَةٌ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ الْغَنَى غَنَى عَنِ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّمَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ لِيَعْرِفَ مَقَامَ أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، وَفِي الْغُيُوبِ وَالشُّهُودِ، الْمَسْمُومِ عِنْدَهُ تَعَالَى بِأَحْمَدٍ، وَالنَّازِلِ بِالْمِيمِ فِي عَالَمِ الْإِمْكَانِ بِمُحَمَّدٍ، {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا...} (٣)

أنزلناه ليخرجكم من الظلمات إلى النور.

جعلنا الله وإياكم من المخرجين من الظلمات إلى النور ببركة نور محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) رواه عنه البحراني في البرهان: ٣٨٦/٦ - ٣٨٧. وقد أورد الصدوق «رحمه الله» قريباً من هذا النص في الأمالي: ٢٣٥ المجلس ٣٢ ح ٦٠.
(٢) يونس: ٦١.
(٣) الطلاق: ١٠ - ١١.

البحث العاشر

الأنبياء والنوالمي والدّرر الزواجر

في مقام الإمام «عليه السلام»

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا عَمُودُ الْإِسْلَامِ، أَنَا مُكْسَرُ الْأَصْنَامِ، أَنَا كَنْزُ أَسْرَارِ
النَّبُوءَةِ...

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«أَنَا عَمُودُ الْإِسْلَامِ، أَنَا مَكْسَرُ الْأَصْنَامِ، أَنَا كَنْزُ أَسْرَارِ النَّبُوءَةِ، أَنَا الْمُطَّلَعُ عَلَى أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ، أَنَا الْمُخْبِرُ عَنْ وَقَائِعِ الْآخِرِينَ، أَنَا قُطْبُ الْأَقْطَابِ، أَنَا حَبِيبُ الْأَحْبَابِ، أَنَا وَاللَّهِ وَجْهُ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَسَدُ اللَّهِ، أَنَا سَيِّدُ الْعَرَبِ، أَنَا الَّذِي قِيلَ فِي حَقِّهِ «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ» أَنَا الَّذِي قَالَ فِي شَأْنِهِ «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، أَنَا لَيْثُ بَنِي غَالِبٍ، أَنَا عَلِيُّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(١)

لا بدّ لمن أراد أن يتعرّف على تلك الحقائق والأسرار أن يمضي قدماً في هذا الكتاب، وقد توصلنا في بحثنا المتقدّم إلى أنّ حقيقة الكتاب موروثه لمن عنده علم الكتاب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ كلّ ما في الكتاب من خفايا وأسرار، من تنزيل وتأويل، من ظاهر وباطن، محكم ومتشابه، ناسخ ومنسوخ كلّ في متن الكتاب الناطق. ومن أجل أن نتوصّل إلى هذا السرّ لا بدّ من إزالة بعض الشبهات، ودفع بعض التوهّمات، إذ قد يتوهّم بعض من لا مسحة إيمانية له، ويقول:

(١) مقاطع من خطبة البيان، نقلاً عن القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٢٠٨/٣ باب ٦٨. وقد نقلها الحنفي عن كتاب الدر المنظم للشيخ كمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة الشافعي.

هذه مراتب خاصّة بالله تعالى، وحينئذ لا يعرف الغيب ولا الشهود، ولا ما فيهما من أسرار إلا الله تعالى! ويحصر الأمر بالله تعالى، فيخالف بذلك نصوص القرآن الصريحة الكاشفة لهويّة علم الغيب، وأنّه محفوظ، ومطلّع عليه من قبل أولياء الله، الذين ارتضاهم عزّ شأنه، قال تعالى:

{عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...} (١).

وهذا الرسول ينصّ الروايات المستفيضة، بل المتواترة عند الفرقة الناجية، ومنقول أيضاً بكثرة عند أبناء العامّة هو «محمد بن عبد الله» صلى الله عليه وآله» وورثته بالحقّ آل الله صلوات الله عليهم. والذي يؤلم حقاً وما يؤسف له أنّ بعضاً من الناس يتشبّث بمقطوعة، ويترك المقطوعة الثانية من النصّ الواحد، تحريفاً للمعنى، أنظر مثلا ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» في علم الغيب.

النصّ كما رواه الصفّار بإسناده إلى سدير، قال :

كنت أنا، وأبوصير، ويحيى البزار، وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله «عليه السلام» إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه، قال:

يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب! ما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي!

فلما أن قام من مجلسه، وصار في منزله، دخلت أنا وأبوصير وميسر على أبي عبد الله «عليه السلام» فقلنا له: جعلنا فداك! سمعناك تقول كذا وكذا في أمر خادمك، ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب!

قال: فقال: يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟

قال: قلت: بلى.

قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...)^(١)؟

قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته.

قال: فهل عرفت الرجل وعلمت ما كان عنده من علم الكتاب؟

قال: قلت: فأخبرني أفهم.

قال: قدر قطرة الثلج في البحر الأخضر ما يكون ذلك من علم الكتاب؟

قال: قلت: جعلت فداك! ما أقل هذا؟

قال: يا سدير، ما أكثر من هذا لمن ينسبه الله إلى العلم الذي أخبرك

به يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله:

{قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}{^(٢)؟

قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك.

قال: فمن عنده علم من الكتاب أفهم أم من عنده علم الكتاب؟

قال: لا، بل من عنده علم الكتاب كله.

قال: فأومأ بيده إلى صدره فقال: وعلم الكتاب كله عندنا علم الكتاب

والله كله عندنا^(٣).

هذا مؤيد من كتاب الله تعالى لما قدمنا، ولكن يحاول بعض المشككين

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٣٠ ح ٥.

أن يأخذ القطعة الأولى، فحسب، قائلًا: إنَّ الإمام «عليه السلام» يقول: إنَّنا نبرأ من قوم يزعمون أنَّنا نعلم الغيب! ويكتفون بهذه المقطوعة إرباكاً للحقيقة، وتشويشاً للمعنى.

والذي يظهر من هذه الواقعة أنَّ الإمام «عليه السلام» كان في محضر مجموعة بعضها لم يكن يستحمل الحقيقة، والإمام خيافة عليهم قال هذا؛ وذلك لأنَّ كلامهم، صلوات الله عليهم، ليس سهلاً، بل يحتاج إلى إيمان وعقيدة ثابتة، ولهذا ورد عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: **إنَّ حديث آل محمد صعب مستصعب، ثقيل، مقتنع، أجرد، نكوان لا يتحملة إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة، فإذا قام قائمنا نطق وصدق القرآن** (١).

ولعل أيضاً في المجموعة جماعة من المخالفين، وواضح في الرواية مورد التقيّة، فأراد الإمام «عليه السلام» أن لا يقول لهم: إنَّنا نعلم الغيب، لأنَّه لو قال ذلك لاتهموه وحاربوه، وقالوا: إنَّه يدعي الربوبية وما إلى ذلك.

قال الإمام عليّ صلوات الله عليه: **لو حدثتكم ما سمعت من فم أبي القاسم «صلى الله عليه وآله» لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إنَّ علياً من أكذب الكذابين، وأفسق الفاسقين، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِعِلْمِهِ...﴾** (٢). (٣)

ونقل عن الإمام زين العابدين صلوات الله عليه، أنَّه نظم معنى ذلك بقوله:

إنِّي لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا

(١) أورده الصفار في بصائر الدرجات: ٢١ باب ١١ ح ٣.

(٢) يونس: ٣٩.

(٣) ينابيع المودة: ٢٠٣/٣ باب ٦٨.

وقد تقدّم في هذا أبوحسن إلى الحسين ووصّى قبله الحسناً
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثناً
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أفبح ما يأتونه حسناً^(١)

قال تعالى: {فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...} ^(٢) فإذا كان الهدد عالماً
بالأسرار، وكان يعلم الماء من الهواء، وكان يعرف أن تحت الهواء ماء،
وكلّ هذا من المغيبات، وكان العفريت من الجن قادراً عالماً كما في قوله
تعالى:

{قَالَ عَفَرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي
عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} ^(٣).

فكلّ هذا يحيط به الهدد والعفريت، كما أخبر القرآن المجيد، ولا تجد
من يستغرب وينكر هذا، لا يفهم إنّنا نستغرب وننكر هذا! كيف وقد جاء ذلك
في القرآن المجيد وفسّره ووضّحه الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم؟!
ولكن ما يثير الاستغراب والإنكار أنّ الكلام عندما يصل إلى مقام أهل البيت
صلوات الله عليهم، ومدى علمهم وإحاطتهم بالأشياء، ترى بعضاً من
الناس ممن ختم الله تعالى على قلوبهم وجوههم مكفّهرة، يحاولون بكلّ ما
أمدّهم به سيّدهم ابليس وجنده من مكر وخديعة تضليل وتشويه الحقائق،
ويغرّرون بعضاً ممن لا مسحة ولائبة حقيقية له، ويزرعون الشبهات الواهية
في عقولهم، من أنّ هذا شرك، أو غلوّ أو على الأقل نتوقف في هذا الكلام،
أو في بعض الأحيان يأخذون مقطعاً من كلامهم صلوات الله عليهم، كما في
الرواية السابقة، والتي نقلناها عن الإمام

(١) أورده القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٢٠٣/٣ باب ٦٨.

(٢) النمل: ٢٢.

(٣) النمل: ٣٩.

الصادق «عليه السلام» ويقولون: أنظر، إنّ الإمام ينفي علمه بالغيب، والشيعه يثبتون ذلك، وما شاكل هذه الشبهات والأوهام والأضاليل والأباطيل، التي لم ينزل الله بها من سلطان.

قل لي شيئاً ممّا ورد في خطب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يخالف القرآن، أو يخالف خبراً صحيحاً بحيث لا يمكن علاجه، أو لا يمكن الصيرورة فيه إلى التأويل، هات واحدة من هذه الكلمات تخالف العقل، لقد أوردنا بعض هذه الخطب والكلمات النورانية لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، في بعض كتبنا، وانتهينا فيها إلى أنّ هذه الخطب العلوية النورانية المعروفة: بالتطنجية، وأخرى بالكاهلية، وثالثة بالافتخارية، ورابعة بالنورانية، وخامسة بالروحية، وسادسة بالبيان، على إطلاقها موجودة متونها وحقائقها في القرآن الكريم، ومبرهن عليها من العقل السليم، بل أضف إليك شيئاً، وهو أنّ هذه الخطب، وهذه الكلمات المصدّرة بـ «أنا» قد رواها القندوزي الحنفي، وروى أسرارها وعلّق عليها ابن طلحة الشافعي^(١)، ولم يرموها بالتهم المتعارفة فيما بين الأوساط المعروفة، ولم يردّوها، ولم يقولوا إنّها من صياغة الغلاة! وإنّها من سبك المغالين! بل أقرّوا بها.

أنظر إلى ما قاله ابن طلحة الشافعي – وهو من علماء الشافعية الكبار – قال في كتابه الدر المنظم في خصوص هذه الخطب ما نصّه: والغرض من هذا السرّ الباهر، والرمز الفاخر، إظهار لوائح لأرباب الذوق؛ لأنّه من العلوم الجسيمة، الفاتحة لأبواب المدينة، لا يمسه ناسوتي، ولا ينظر به إلا لاهوتي، وهذا هو العلم الذي خصّ

(١) راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ٢٠٣/٣ – ٢٢٠ باب ٦٨ في إيراد بعض ما في كتاب «الدر المنظم في السرّ الأعظم» للشيخ الإمام كمال الدين أبي سالم محمد أبي طلحة الحلبي الشافعي.

به آل محمد «صلى الله عليه وآله» والعلم الذي محمد النبي «صلى الله عليه وآله» مدينته وعلي بابها...

ثم قال: وقد ذكرت في هذا الكتاب الناطق بالصواب جفر الإمام عليّ بن أبي طالب «رضي الله عنه» وهو ألف وسبعمئة مصدر من مفاتيح العلوم، ومصاييح النجوم، المعروف عند علماء الحروف بالجفر الجامع، والنور اللامع، وهو عبارة عن لوح القضاء والقدر عند الصوفية؛ وقيل: مفتاح اللوح والقلم؛ وقيل: سر القضاء والقدر؛ وقيل: مفتاح العلم اللدني.

وهما كتابان جليلان، أحدهما ذكره الإمام عليّ (كرم الله وجهه) على المنبر، وهو قائم يخطب بالكوفة _ على ما سيأتي بيانه _ وهو المسمّى بخطبة البيان.

والآخر أسره رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا العلم المكنون، وهو المشار إليه بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وأمره بتدوينه، فكتبه الإمام عليّ «رضي الله عنه» حروفاً مفرقة على طريقة سفر آدم «عليه السلام» في جفر _ يعني في ورق _ قد صنع من جلد البعير، واشتهر بين الناس بالجفر الجامع والنور اللامع، وقيل: الجفر والجامعة، وفيه ما جرى للأولين وما يجري للآخرين ...

ثم قال: وقد ستر الله علمه عن أكثر العلماء، ولم يأذن الله للأكابر أن يعرفوا منه إلا ببعض أسرارهِ التي يشتمل عليها بتركيبها الخاصّ المنتج أنواع التسخيرات والتأثيرات من القهر والاستيلاء والعزل والإماتة والإحياء، وغير ذلك من الفوائد والجواهر. وفيه اسم الله الأعظم، وتاج آدم، وخاتم سليمان، وحجاب آصف بن برخيا «عليهم السلام».

وقد ازدحم على باب عليّ «كرم الله وجهه» الراسخون من العلماء، والحادقون من الحكماء، فاخترت من أسرارهِ ما سرّه أشمل، والعمل به أكمل... وقد ثبت عند علماء الطريقة ومشايخ الحقيقة بالنقل الصحيح والكشف الصريح أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «كرم الله وجهه» قام على

المنبر بالكوفة وهو يخطب، فقال: وساق خطبة البيان بكاملها^(١).
أنظر -أيها الموالي- إلى كلام هذا العالم والذي يعد من علماء أبناء
العامّة الكبار، وقارن بينه وبين تشكيكات بعض من يُنسب إلى التشيع
والولاء لعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم، فالبعض يقضي الكثير من وقته
في قراءة المجلّات والصحف ويريد أن يُقيّم أهل البيت!! المجلّات والصحف
شيء، وهذه الصحف الربّانية والمسحة الإلهية شيء آخر، قال جل وعلا:
{وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} ^(٢) لا يمكن حقاً لأيّ فرد أن
يصل إلى أعماق القرآن، ويسبر غوره وما فيه إلا إذا تنوّر بأنوارهم
صلوات الله عليهم، هذه هي الحقيقة، فإذا وصل الإنسان إلى هذا المطلب،
يفهم حينئذٍ المراد من الخطابات القرآنية، والربط الوثيق بينها وبين كلام
المولى صلوات الله عليه.

قال تعالى: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ^(٣).
و {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ^(٤).
و {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ^(٥).
و {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا...} ^(٦)

(١) أورده عنه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٢٠٣/٣ - ٢٠٩.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) النمل: ٧٥.

(٥) يونس: ٦١.

(٦) الكهف: ٤٩.

ففي الحقيقة هذا الخطاب ليس خاصاً بنا معاشر الإمامية، بل هو لمن يؤمن بالقبلة، ويتوجه إليها، ويعرف سرّ الكعبة وما فيها، ويعرف الركن اليماني وما يقابله من أسرار، من عرف ذلك عرف بأنّ القرآن الكريم كلّه مجموع بين يدي وليّ الله الأعظم، ينظر إليه نظرة فعلية شمولية، جامعة مستجمعة لكلّ ما فيها من أطراف وأكناف، يقول القرآن:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١).

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ...﴾^(٢) من هو الحق؟ ومع من؟ وما أصله

وفرعه، ومبدؤه ومنتهاه، ومعدنه وجوهره وحقيقته؟

أنظر كتاب مجمع الزوائد، للحافظ الهيثمي المعروف بعناده، حيث ينقل حديثاً مشهوراً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قائلاً:

«عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ حيث كان»^(٣).

إذن هو يعترف أنّ عليّاً مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، بمعنى أنّ كلّ ما في الحقّ هو في عليّ، وكلّ ما في عليّ هو الحقّ بذاته.

هناك من يقول: إنكم ادّعيتم أنّ العلم كلّه بيدهم، القدرة بيدهم، والغيب

بيدهم، إذن، ماذا تركتم لربّ العالمين؟

هذا الإنسان كم هو غافل، إذ هو لا يحكم آية من آيات الله قطعاً،

يعني، يحصر ممالك الله في هذا، ويقنصر على ملك الله في هذه الدنيا؟! فهو

يتصور إنّ الله خلق هذه العوالم وكأنّه عجز عن أن يخلق مثلها؟! أو لا يعلم

بأنّه جلّ جلاله قادر على أن يخلق ويكون مثلها بلايين بلايين المرّات؟!!

ترى فإذا آتاها كلّها أهل البيت فهل ينقص من خزائنه شيئاً يا أرباب

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) المؤمنون: ٦٢.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٣٦/٧، عنه الغدير للأميني: ١٧٧/٣.

العقول؟! لا، بل يزيده ذلك العطاء جوداً وكرماً^(١)، هذه حقائق يجب أن نعرفها، وعلى الإنسان أن لا يكتمها خوف الإتهام بالغلوّ وما أشبهه، فهذه كلمات النائمين الذين لا يكلفون أنفسهم أن يقرأوا ويتدبروا صفحة من كتاب الله.

وكأننا حينما نقول عند عليّ «عليه السلام» هذه القدرات وهذه الإمكانيات، نكون قد سلبناها عن الله، والعياذ بالله! والحال إنّ الله آتاهم ما لم يوتِ أحداً من العالمين، والله غنيّ عن العالمين.

لَمَّا تَقُول: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ، يَجِبُ أَنْ تَلْتَزِمَ بِمَدْلُولِ هَذِهِ الْمَفْرَدَةِ، مَا قِيَمَةُ هَذِهِ الْمَمَالِكِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمَطْلُوقِ؟! وَمَا يَضِيرُهُ تَعَالَى إِذَا مَلَكَهَا أَشْرَفُ الْخَلَائِقِ، وَأَعَزَّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنْبَلِ الْمَوْجُودَاتِ؟!

لَمَّا يَقُولُ الْمَوْلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ: «أَنَا قَائِدُ الْأَمْلَاقِ، أَنَا سَمْنَدُ الْأَفْلاكِ»^(٢) «أَنَا أَعْلَمُ هَمَاهِمَ الْبِهَائِمِ، وَمَنْطِقَ الطَّيْرِ إِلَى أَنْ يَقُولَ: أَنَا صَاحِبُ مَكْيَالٍ وَقَطْرَاتِ الْأَمْطَارِ وَرَمْلِ الْفَقَارِ»^(٣).
هَذِهِ كُلُّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} وَالْكِتَابِ هُمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(١) مقتبس من الدعاء المعروف بدعاء الافتتاح، الذي يُقرأ في كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، وفيه: ... الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجوود يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، إنه هو العزيز الوهاب...

(٢) مقطع من خطبة البيان، أنظر إلزام الناصب للحائري : ٢١٦/٢، وينابيع المودة للقندوزي: ٢٠٧/٣.

(٣) راجع مشارق أنوار اليقين: ١٧١.

روي عن الإمام المعصوم «عليه السلام» أنه قال في الزيارة الجامعة الشريفة: «إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم»^(١) فالخلق إبراهيم، الخلق نوح، موسى، عيسى، الخلق مئة وأربعة وعشرون ألف نبى على نبينا وآله و«عليهم السلام» ممالك السماوات خلق، ممالك الأرضين خلق، الغيوب خلق، الشهود خلق، ما فيها خلق، ما بينها خلق، وإياب هذا الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم.

فهذه المعاني ليس فيها غلوّ وخروج عن الجادة على الإطلاق، لأنك عندما تقبل أن القلم يفسر بالقلم المعدني والخشبي وما أشبهه، فلماذا تستصعب تفسيره بالحقيقة العلوية، وهو الأولى؟
قال تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}.^(٢)

الله يقسم بالنون، إشارة إلى أن كل شيء مشرأب نحو النقطة، والنقطة هي سرّ سورة الفاتحة، بل كل ما في القرآن في الحمد، وكل ما في الحمد في البسملة، وكل ما في البسملة في الباء، وكل ما في الباء في النقطة، فمن هو النقطة؟

عندما نكتب نبدأ بالنقطة وننتهي بالنقطة، فإذا كان التدوين يبتدىء بالنقطة وينتهي بالنقطة، فالتكوين على شأن التدوين، إبتدأه بالنقطة النورانية، وهو المولى أمير المؤمنين، وسرّ المصطفى صلوات الله عليه وآله أجمعين.

نقل محمد بن طلحة الشافعي في الدر المنظم قال: قال الإمام عليّ

(١) أنظر كتاب سماحة المحاضر _حفظه الله_ الصورم القاطعة في إثبات صحة الزيارة الجامعة.
(٢) القلم: ١.

«رضي الله عنه»: **أنا النقطة التي هي تحت الباء^(١)**. وليس هذا غريباً أو شيئاً مجهولاً، ولم يختص برواة الشيعة فقط كما لاحظت، بل نقله الكثير من أبناء العامة أيضاً، أنظر إلى قول محيي الدين بن عربي، وتأمل في قوله، سوف تجد أنّ كلّ ما قيل في حقّ الإمام عليّ فإنه قليل جداً. حيث قال _والكلام لابن عربي_: **والإمام عليّ «رضي الله عنه» ورث علم الحروف من سيّدنا محمد «صلى الله عليه وآله»، وإليه الإشارة بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فعليه بالباب.** وقد ورث عليّ كرم الله وجهه علم الأولين والآخرين، وما رأيت فيمن اجتمعت بهم أعلم منه. قال ابن عباس «رضي الله عنه»: **أعطي الإمام عليّ كرم الله وجهه، تسعة أعشار العلم، وإنّه لأعلمهم بالعشر الباقي... ثمّ سرد كلاماً طويلاً على علم عليّ «عليه السلام».**

نقول: ربّما يتبادر إلى ذهن البعض من أنّ هؤلاء _أمثال ابن عربي وغيره_ إذا كانوا يعرفون هذا فلماذا نجد في كتبهم بعض الأمور المخالفة لكلامهم هذا؟! وهناك بعض علامات الاستفهام في أذهان البعض أيضاً مؤداها أنّهم لو نقلوا هذا فهم إذن عارفون لمقامات أهل البيت صلوات الله عليهم، وعارفون لفضلهم، فهم _أي ابن عربي وأمثاله_ على بصيرة من أمرهم.

نقول إجابة للجميع: هيهات! فان معرفة الحقّ والفضل ليست هي الغاية بذاتها، وأنّما تحتاج إلى عناية، وهي تطبيق هذه المعرفة على أرض الواقع، فهناك فرق جوهري بين الأقوال المجردة وبين الأفعال الحاكية عنها فتأمل هذا أوّلاً.

وثانياً: إنّ ذكر مقامات أهل البيت صلوات الله عليهم، وفضلهم

(١) أورده عنه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٢١٢/٣ باب ٦٨.

أقرّ به الأعداء في وقت عدائهم، فهذا معاوية بن أبي سفيان العدوّ اللدود للمولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يقرّ للمولى بفضله.

ينقل بعض أهل العلم: أنّ معاوية عندما دخل إليه أحد المتزلفين وقال له جئتك من أعيان الناس ويقصد عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» - فكان جواب معاوية: أسكت ثكلتك أمك! وهل سنّ الفصاحة والبلاغة لقريش غيره. وأمثال هذا أكثر من أن تحصى، ونترك ذلك للبيب.

إنّ اعتراف ابن عربي وغيره بفضل عليّ «عليه السلام» ومقامه هو من باب أنّ الأمر بلغ مبلغاً لا يمكنهم إنكاره، أو نقول إنّ كلامهم هذا نابع من الفطرة التي فطر الله الناس عليها... وهناك أبحاث مهمّة سوف نتكلّم فيها في هذا المورد ان شاء الله تعالى في أبحاث لاحقة.

فالقلب إذا توجه للصرّاط المستقيم عرف حقيقة سرّ القرآن، لأنّ الله عزّ وجلّ ورسوله الكريم «صلى الله عليه وآله» أرشدا الخلق إلى هذا الباب، قال جلّ وعلا:

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١)

وقال النبيّ «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^(٢) فالذي يريد أن يصل إلى حقيقة الأسرار فهذا باب عليّ - الصراط المستقيم - مفتوح على مصراعيه، وهذه أسرار ه بين يدي جميعكم موجودة، مسطورة في سورة نون وغيرها.

فقيمومة العوالم العليا، وقيمومة العوالم السفلى، بل قيمومة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقيقة رسول الله، جوهر المصطفى، معدن المصطفى، رسالة النبيّ، حقيقة ما عند النبيّ «صلى الله عليه وآله» متوقفة على ولاية أمير المؤمنين عليّ «عليه السلام» قال

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) هذا الحديث مشهور، وفي كتب الفريقين مسطور بأسانيد شتى وألفاظ مختلفة وقد تقدّمت الإشارة إليه.

تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (١).

جعلنا الله وإياكم من المتمسكين بولاية الميامين صلوات الله عليهم
أجمعين، المصدقين بكلامهم النوراني.

(١) المائة: ٦٧. وبعد هذه الآية المباركة كانت واقعة يوم غدیر خم الخالدة، المروية
في كتب الخاصة والعامة بأسانيد عديدة، ويومها أعلن رسول الله «صلى الله عليه وآله»
للمسلمين خليفته ووصيه بقوله «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ...».

البحث الحادي عشر

منهج الشريعة الفراء ومنبع الطريقة السنيحاء

في باب علم مدينة رسول الله «صلى الله عليه وآله»

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنْ الْعِلْمِ يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ

بَابٍ...

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
وَمِمَّا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلِّ يَوْمٍ يُفْتَحُ أَلْفُ بَابٍ فَذَلِكَ أَلْفُ
أَلْفِ بَابٍ حَتَّى عَلِمْتُ الْمَنَائِمَ وَالْوَصَايَا وَفَصَّلَ الْخُطَابِ»^(١).

البحث في سيره الصعودي، وقد وصلنا إلى أنّ كلّ أسرار الكتاب
مكونة في سرّ الخطاب، بمعنى أنّ سرّ القول النازل، وسرّ الكلمة الهابطة
إنّما هي بيان المراد من الكتاب في إطلاقات القرآن الكريم.
نكرر النقطة الهامة في السير الخطابي، حيث انتهينا بأنّ كلّ ما في هذا
الوجود، كلّ شيء فيه من الذرّة إلى المجرّة، وفي كلّ تفاصيله، مأخوذ منهم
صلوات الله عليهم، وما نحن إلّا آلات وأدوات، وهذه ليست دعوى مجرّدة،
بل هي مؤيدة، قام عليها البرهان، ودلّ عليها البيان.
ينقل علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، كما يروي المتقي
الهندي في كنز العمال، أنّ عليّاً «عليه السلام» قال:

سلوني قبل أن تفقدوني، فأني لأسأل عن شيء دون العرش إلّا
أخبرت به^(٢)

وورد أيضاً عن المولى صلوات الله عليه، أنّه قال: سلوني عن كتاب
الله عزّ وجلّ، فوالله، ما نزلت آية منه في ليل أو نهار، ولا مسير ولا مقام إلّا

(١) أورده الصفار «رحمه الله» في بصائر الدرجات: ٣٠٥.

(٢) كنز العمال: ١٦٥/١٣ ح ٣٦٥٠٢ وقد تقدّم نقله.

وقد أقرّأنيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلمني تأويلها.

فقال ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟
قال: كان يحفظ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب، حتّى أقدم عليه فيقرئني، ويقول لي: يا عليّ، أنزل الله عليّ كذا وكذا، فيعلمني تنزيله وتأويله^(١).
ونقل عن القندوزي الحنفي، أنّه قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول «سلوني» إلاّ عليّ بن أبي طالب^(٢).

روى الطبري في الدلائل، عن عمارة بن زيد الواقدي، قال: حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حجّ في تلك السنة محمّد بن عليّ، الباقر، وابنه جعفر «عليهم السلام»، فقال جعفر في بعض كلامه:
الحمد لله الذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من اتبعنا، والشقيّ من عادانا وخالفنا، ومن الناس من يقول إنّه يتولّانا وهو يوالي أعداءنا، ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربّنا ولم يعمل به.

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: ... فلما دخل أبي وأنا خلفه، مازال هشام يستدنيّنا منه حتّى حاذيناه وجلسنا قليلا، فقال لأبي: يا أبا جعفر، لو رميت مع أشياخ قومك الغرض^(٣). وإنما أراد أن يهتّك بأبي ظنّاً منه أنّه يقصر

(١) أخرجه الطوسي «ك» في الأمالي: ٥٢٣ ح ١١٥٨، والطبري في بشارة المصطفى: ٢١٩، والطبرسي في الاحتجاج: ٣٨٨/١، وسليم بن قيس الهلالي في كتابه: ٨٠٢/٢.

(٢) أخرجه القندوزي في ينابيع المودّة: ٢٢٤/١ ح ٥٠ عن أحمد في مسنده والخوارزمي في المناقب بسنديهما عن سعيد بن المسيّب.

(٣) الغرض: هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه، والجمع أغراض. لسان العرب: ٩٣/١_ مادة غرض.

ويخطئ ولا يُصيب إذا رمى، فيشتفي منه بذلك، فقال له: إني قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني.

فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد صلى الله عليه وآله لا أعفيك. ثم أوما إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك.

فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ، ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس، ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم، بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر، وأنت أرمى العرب والعجم، هلاً زعمت أنك قد كبرت عن الرمي. ثم أدركته ندامة على ما قال.

وكان هشام لا يكتفي أحداً قبل أبي ولا بعده في خلافته، فهم به وأطرق إطراقة يرتأي فيه رأياً.

فلما طال وقوفنا بين يديه غضب أبي فهم به، وكان أبي إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يتبين للناظر الغضب في وجهه، فلما نظر هشام ذلك من أبي قال له: يا محمد، إصعد، فصعد أبي إلى سريره وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه فاعتنقه وأقعدته عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، ثم أقبل على أبي بوجهه فقال له: يا محمد: لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك، والله درك! من علمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلمته؟

فقال له أبي: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه، فتعاطيته أيام حدثتي، ثم تركته، فلما أراد أمير المؤمنين مني ذلك عدت إليه.

فقال له: ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت، وما ظننت أن في

الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي، أين رمي جعفر من رميك؟.
فقال: إنا نحن نتوارث الكمال والتمام، أنزلهما الله على نبيه «صلى الله عليه وآله» في قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...} (١) والأرض لا تخلو من يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا.

قال: فلما سمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولت وأحمر وجهه، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هنيئة، ثم رفع رأسه فقال لأبي: ألسنا بنو عبدمناف نسبنا ونسبكم واحد؟ فقال أبي: نحن كذلك، ولكن الله جل ثناؤه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه، بما لم يختص أحداً به غيرنا.

فقال: أليس الله بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» من شجرة عبدمناف إلى الناس كافة، أبيضها وأسودها وأحمرها، من أين ورثتم ما ليس لغيركم؟! ورسول الله مبعوث إلى الناس كافة وذلك قول الله تبارك وتعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...} (٢) إلى آخر الآية، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي ولا أنتم أنبياء؟!

فقال: من قوله تعالى لنبيه: {لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} (٣) الذي أبداه فهو للناس كافة، والذي لم يحرك به لسانه أمر الله تعالى أن يخصنا به من دون غيرنا.

فلذلك كان يناجي أخاه علياً من دون أصحابه، وأنزل الله بذلك قرآناً

(١) المائدة: ٣.

(٢) الأعراف: ١٥٨. عن صحيفة الأبرار، وفي المصدر: والله ميراث السماوات والأرض (آل عمران: ١٨٠، الحديد: ١).

(٣) القيامة: ١٦.

في قوله تعالى: {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} (١) فقال رسول الله لأصحابه: سألت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي، فذلك قال علي بن أبي طالب بالكوفة: علمني رسول الله «صلى الله عليه وآله» ألف باب من العلم يُفتح من كل باب ألف باب، خصّه به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكنون علمه ما خصّه الله به، فصار إلينا وتوارثناه من دون قومنا.

فقال له هشام: إن علياً كان يدعي علم الغيب، والله لم يُطلع على غيبه أحداً فمن أين ادعى ذلك؟

فقال أبي: إن الله جل ذكره أنزل على نبيه كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة في قوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} (٢).

وفي قوله: {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (٣)

وفي قوله: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (٤)

وفي قوله: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٥) وأوحى الله تعالى إلى نبيه «عليه السلام» أن لا يُبقي في غيبه سرّه ومكنون علمه شيئاً إلا يناجي به علياً، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده، ويتولّى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه، وقال لأصحابه: حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي،

(١) الحاقة : ١٢ .

(٢) النحل : ٨٩ .

(٣) سورة يس : ١٢ .

(٤) الأنعام : ٣٨ .

(٥) النمل : ٧٥ .

فإنه مني وأنا منه، له مالي وعليه ما عليّ، وهو قاضي ديني
ومنجز مواعيدي.

ثم قال لأصحابه: عليّ بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما
قاتلت على تنزيله.

ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتامه إلا عند عليّ «عليه السلام»
ولذلك قال رسول الله لأصحابه: أفضاكم عليّ، أي هو قاضيكم^(١).

وروى الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي، والشيخ ابن قولويه
القمي «رحمه الله» في كامل الزيارات، عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على
أبي عبد الله «عليه السلام» فقبل لي: أدخل، فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته
فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه ويقول: يا من خصنا
بالكرامة، وخصنا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وعلم
ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولاخواني ولزوار قبر
أبي عبد الله الحسين^(٢).

فعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم، هم الكتاب، وبين أيديهم سرّ
الخطاب، والقرآن الناطق يحلّ كلّ معضلة، ولا نحتاج للصّاح في الاستدلال
ولا للمسانيد، ما دام القرآن ينطق علينا بالحقّ، قائلًا: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}،

و {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا}^(٣)
و {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} وتبيان كلّ شيء أورثه الله تعالى

(١) دلائل الإمامة: ٢٣٣ - ٢٣٦، عنه صحيفة الأبرار: ١/٣٣٥

(٢) الكافي: ٤/٥٨٢، كامل الزيارات: ٢٢٨.

(٣) الكهف: ٤٩.

آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ولكن، مما يؤسف له أنّ مع هذا الكمّ الهائل من الدلائل والبيّنات في القرآن الكريم والسنة الشريفة على اختصاص وإصطفاء محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، من دون سائر المخلوقات، تلاحظ البعض من الناس ممن استزلهم الشيطان يضع علامات الاستفهام والتشكيك في ذلك جهلاً أو عناداً لله ورسوله!! أنظر كيف صرف البعض مثلاً تفسير قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١)

حيث ذهب البعض ممن يعتمد على بعض النصوص الموضوعية المخالفة لروح الإسلام ويستخدمها جهلاً أو عمداً كعمال لهدم الإسلام إلى أنّ الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» لا يعلم على أيّ ملة أو دين هو!! وبعضهم قال: إنه «صلى الله عليه وآله» كان على دين المشركين ويشهد مشاهدهم!!

نقل القرطبي: إنّ عثمان بن أبي شيبة قد روى حديثاً بسنده عن جابر: أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» كان يشهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه: اذهب حتى تقوم خلفه؛ فقال الآخر: كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام، فلم يشهدهم بعد؟! (٢).

أنظر أخى الفاضل - أيّدك الله تعالى ورعاك! إلى هذا اللغو والتهافت الذي لا ينم إلا عن قلة تدبير، بل يدلّ صراحةً على أنّ قائل ذلك ومعتقده هو من الهالكين، ألم يدرك قوله «صلى الله عليه وآله»: كنت نبياً وأدم بين الماء والطين (٣).

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن: ٥٨/١٦.

(٣) أورده السيوطي في الدرر المنتثرة: ١٢٦، ابن عراق في تنزيه الشريعة: ٣٤١/٢، العجلوني في كشف الخفا: ١٩١/٢، ملا علي القاري الهروي في الأسرار

وروى ابن أبي الحديد المعتزلي، عن مسند أحمد، وصاحب الفردوس حديثاً عظيماً، عن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» قال فيه: كنت أنا وعلّي نوراً بين يدي الله عزّوجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزئين، فجزء أنا وجزء عليّ (١).

وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى والمضمون يصعب حصرها، بل عدّ أغلبها، فكيف يسوغ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينسب الشرك وعبادة الأصنام إلى سيد الأنام، الذي خلق نوره ونور أوليائه قبل خلق الخلق بألاف السنين!؟

ولكن نقول: إنّ هذا التهافت واللغو هو نتيجة طبيعية لمن لا ينهل من العين الصافية العذبة التي من استقى منها لم يظمأ أبداً، أعني عين معارف وأسرار آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين. فهم العارفون بحقائق القرآن على ما هي.

نقل عن هشام بن حسان، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن عليّ «عليهما السلام» يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر، فقال: نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمته، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

→ ==
المرفوعة: ٢٧١، والقندوزي في ينابيع المودة: ٤٦/١ وغيرهم.
(١) شرح النهج: ١١٧/٩، عنه القندوزي في ينابيع المودة: ٤٩٠/٢ باب ٥٩ ح ٣٧٩.

فالمعول علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله، بل نتيقن حقايقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عزوجل ورسوله مقرونة ، قال عزوجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (١)، {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} (٢) وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: {لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} (٣) فتلقون إلى الرماح وزرأ، وإلى السيوف جزراً، وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً، ثم {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا} (٤)(٥)

إذن، القضية ليست آية وتفسير كلمة، وإنما تحتاج إلى حسن نية وسلامة طوية، وتحتاج إلى محل قابل لإفاضة النور، فهذا النور إذا لم يصطبغ بروح وقلب ونفس الإنسان يستحيل أن يفهم الإنسان المقصود من هذه الآية.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) الأنعام: ١٥٨.

(٥) أورده الشيخ المفيد في الأمالي: ٣٤٩، والشيخ الطوسي في الأمالي: ١٢١، ح ١٨٨، والطبري في بشارة المصطفى: ١٠٦، وذكر الطبرسي في الاحتجاج: ٩٤/٢، وابن شهر آشوب في المناقب: ٦٧/٤ كلاهما عن موسى بن عتبة، عن الإمام الحسين «عليه السلام» نحوه.

هذه الآية يستدلّ بها بعض المغفلين ممّن ينسف مراتب المصطفى وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، حيث يقول: ما عندهم من شيء سوى ما عليه من التعليم والعبادة والإرشاد ممّا يأتي به جبرائيل «عليه السلام» وما أشبهه! ما عندهم سوى هذا!!!

هذه المقولات كلّها ستتفتي وتتبخّر أمامك _أيّها الفاضل_، لأنّها دعوى بلا حجة وبرهان، ونسبة بلا دليل، بل الدليل على خلافها. فقط إنّته للمعنى الذي أذكره أولاً، والمعنى الذي ننتخبه ثانياً، وقد عثرت عليه بعناية صاحب العصر والزمان «عجل الله فرجه» وببركة محمّد وعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} (١) فإذا أخذنا بظاهر الآية فمعناها: إنك لا إيمان تعرف، ولا كتاب تعرف. حاشا صفوة الله وخيرة خلقه «صلى الله عليه وآله» من ذلك!!!

وهذه من الآيات التي فيها نوع من الإمتحان، إمتحان لمسكة أصحاب التفسير وأصحاب الحديث، وإمتحان لي ولك وللبشرية كافّة، لأنّ المفسّر مثلك ومثلي يجمع معنى للآية ويصبّه، أمّا إذا كان عندنا رواية في الموسوعات التفسيرية المعتمدة كتفسير البرهان، أو تفسير نور الثقلين، أو ما أشبهه، وفيها كلام أهل البيت «عليه السلام» فما المانع من الرجوع لكلام أهل البيت «عليه السلام» للوقوف على المعنى السليم والصحيح؟

قال بعضهم: العلم بالكتاب والإيمان على قسمين:

العلم والإيمان مرّة يكون تفصيلاً، ومرّة يكون إجمالاً.

العلم التفصيلي: يعني يعلم كل شيء من الصغيرة إلى الكبيرة، الكلّي

والجزئي من العلوم، ليس فقط الكليات والقواعد، بل حتى الجزئيات والتطبيقات.

الإيمان التفصيلي: يعني عنده إيمان بالأصول والفروع تماماً.

الكتاب التفصيلي: يعني يحتوي على كل واردة وشاردة.

وعندنا علم وكتاب وإيمان إجمالي: يعني يعلم الكليات فحسب، وليس

الجزئيات والمصايق والتفريعات من صلاة وصوم وزكاة...

يقول صاحب هذا التفسير:

وقوله: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} الآية مسوقة لبيان أن ما

عنده «صلى الله عليه وآله» الذي يدعو إليه إنما هو من عند الله سبحانه، لا من قبل نفسه، وإنما أوتي من ذلك بالوحي بعد النبوة، فالمراد بعدم درايته بالكتاب عدم علمه بما فيه من تفاصيل المعارف الاعتقادية والشرائع العملية، فإن ذلك هو الذي أوتي العلم به بعد النبوة والوحي، وبعدم درايته بالإيمان عدم تلبسه بالالتزام التفصيلي بالعقائد الحقّة، والأعمال الصالحة، وقد سمّي العمل إيماناً في قوله:

{...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ} (١).

فالمعنى: ما كان عندك قبل وحي الروح والكتاب، بما فيه من المعارف والشرائع، ولاكنت متلبساً بما أنت متلبس به بعد الوحي، من الالتزام الاعتقادي والعملي بمضامينه، وهذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وآله مؤمناً بالله، موحداً قبل البعثة، صالحاً في عمله، فإن الذي تنفيه الآية هو العلم بتفاصيل ما في الكتاب والالتزام بها اعتقاداً وعملاً، ونفي العلم والالتزام التفصيليين لا يلزم نفي العلم والالتزام الإجماليين بالإيمان بالله والخضوع للحق.

وبذلك يندفع ما استدل به بعضهم بالآية على أنه «صلى الله عليه وآله» كان غير متلبس بالإيمان قبل بعثته.

ويندفع أيضاً ما عن بعضهم أنه «صلى الله عليه وآله» لم يزل كاملاً في نفسه علماً وعملاً، وهو ينافي ظاهر الآية، أنه ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

ووجه الاندفاع أن من الضروري وجود فرق في حاله «صلى الله عليه وآله» قبل النبوة وبعدها، والآية تشير إلى هذا الفرق، وأن ما حصل له بعد النبوة لا صنع له فيه، وإنما هو من الله من طريق الوحي^(١).

نسأل هل هذا الرأي يمكن قبوله؟

لا يمكن قبوله على الإطلاق، حتى ولو قال به أعظم علماء الطائفة الحقّة؛ لأنّ هناك مبان وقواعد، فهذه ليست مسألة فقهية تقليدية، هذه مسألة بحثية موضوعية ينبغي فيها البحث والتدقيق، أنقل لك جواباً مروياً عن حبر هذه الأمة، أعني ابن عباس، تلميذ أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو العارف بالقرآن وبأسراره، حيث كان يجلس مع أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الفجر يملئ عليه من علومه ومن أسراره في أم الكتاب، كما نقل أهل السير والتواريخ.

يقول ابن عباس في تفسير هذه الآية {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} (٢).

أي كنت من قوم أميين، لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان حتى تكون قد أخذت ما جنتهم به عمّن كان يعلم ذلك منهم وهو قوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (٣) (٤).

(١) أنظر تفسير الميزان للطباطبائي: ٧٨/١٨، تفسير الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) العنكبوت: ٤٨.

(٤) أورده بمعناه عن ابن عباس القرطبي في تفسيره: ٦٠/١٦ مورد الآية.

وهناك فهم وتوجيه أقرب للآية الشريفة وهو: ليس المراد من الخطاب أنك من قوم لا يدرون ما الخطاب ولا الإيمان، بل المراد أن الإيمان بك صار إيماناً، وإن الكتاب على صدرك ومن صدرك انطلق إلى العالمين.

وهذا هو الحق، وهو بيان رائع جداً، ففي الحقيقة يريد في هذه الآية الشريفة إثبات فضيلة، فهذه ليست في مقام التنقيص والتنزيل، وإنما هي في مقام الرفعة والتعظيم.

وأما البيان الملكوتي فقد جاء على لسان مولانا الإمام الصادق «عليه السلام» حيث يقول في تفسير قوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (١) إنما هي: «أوما كنت بجانب الغربي» (٢) ففي هذه الآية الشريفة {مَا كُنْتَ تَدْرِي...} معناها: أو ما كنت تدري أي، إن الآية ليست في مقام نفي العلم بالكتاب والإيمان وإنما هي في مقام الاستفهام. وهذه كلها حقائق قرآنية، بمعنى أسئلة إستفهامية يبين من خلالها مقام المصطفى «صلى الله عليه وآله».

إذن، الكتاب منطوي في صدر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخطاب منضم تمام الإنضمام في قلب المرتضى علي «عليه السلام» هؤلاء الذين هم أورثهم الله الكتاب قبل الكاف والنون للخلائق كلها، وإذا أردت المعنى العميق والدقيق.

فتمعن فيما قاله الإمام الباقر صلوات الله عليه، في تفسير هذه الآية الشريفة وكما أورده القمي «رحمه الله» في تفسيره حين قال: عن أبي حمزة، عن أبي جعفر «عليه السلام» في قول الله لنبيه «صلى الله عليه وآله»: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا} (٣) يعني، علياً «عليه السلام» وعلي هو النور، فقال:

=====

(١) القصص: ٤٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٤١٠.

(٣) الشورى: ٥٢.

{تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} يعني، عَلِيًّا «عليه السلام» هدى به من هدى من خلقه. وقال لنبِيِّه «صلى الله عليه وآله»: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} يعني إِنَّكَ لتأمر بولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» وتدعو إليها، وَعَلِيٌّ هو الصِّرَاطُ المستقيم (صراط الله) يعني، عَلِيًّا «عليه السلام» (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يعني، عَلِيًّا «عليه السلام» أَنْ جعله خازنه على ما في السماوات وما في الأرض ، وائتمنه عليه (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)^(١).

ونُقل عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال، في بعض رسائله: ليس من موقف أوقف الله سبحانه نبيّه فيه ليشهده ويستشهده إلاّ ومعه أخوه وقرينه وابن عمّه ووصيّه، ويؤخذ ميثاقهما معاً^(٢).
اللهم صلّ على محمد وأخيه وذريتهما الطيبين الطاهرين.

(١) تفسير القمّي «رحمه الله»: ٢٥٢/٢ — مورد الآية — ، عنه البرهان: ١٠٣/٧.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٥٣٥.

البحث الثاني عشر

كلام المنير العالم تشييد أركان البيت الحرام

في ولاية الإمام «عليه السلام» على الأنام

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا الَّذِي لَا تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِوِلَايَتِي، وَلَا تَنْفَعُ الْحَسَنَاتُ إِلَّا

بِحُبِّي...

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
أَنَا خَازِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنَا الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، أَنَا
دَيَّانُ الدِّينِ، أَنَا الَّذِي لَا تَقْبَلُ الْأَعْمَالُ إِلَّا بَوْلَايَتِي، وَلَا تَنْفَعُ الْحَسَنَاتُ إِلَّا
بِحُبِّي... أَنَا مُحْصِي الْخَلَائِقِ وَإِنْ كَثُرُوا... أَنَا الشَّاهِدُ لِأَعْمَالِ الْخَلَائِقِ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ^(١).

تأمل أخي الموالي في هذه العبارات النورانية، والإشراقات العرفانية،
وتدبر في مضامينها ومعانيها، فهل تجد في فقرة منها رائحة الغلو، أو
الخروج عن المعتاد!؟

فعندما يقول المولى صلوات الله عليه: أَنَا خَازِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...
إلى آخره فهل في هذا غلو، وقد أثبت القرآن الكريم لمحمد وآل محمد
صلوات الله عليهم أكثر من ذلك بكثير!؟

كما يتضح من الآيات القرآنية الكريمة الدالة على ذلك، والتي نقلناها
في بحوثنا المتقدمة، وأيضاً سوف يأتيك إن شاء الله تعالى بعضاً منها في
بحثنا هذا والبحوث الآتية. فعندما يقول المولى صلوات الله عليه:

أَنَا الَّذِي لَا تَقْبَلُ الْأَعْمَالُ إِلَّا بَوْلَايَتِي، وَلَا تَنْفَعُ الْحَسَنَاتُ إِلَّا بِحُبِّي...
فهل كلامه صلوات الله عليه هذا إلا عين الحقيقة التي لا غبار عليها،
والتي يعجز القلم عن بيانها، ويكلّ اللسان عن حصرها؛ لكثرة ماورد عن

(١) أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١ - ١٧٢.

الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» في الحث على ولاية عليّ وأهل بيته صلوات الله عليهم، بل إنّ الدين متقوم بالولاية، فلا دين بمجموعه _ عبادات ومعاملات _ يعني لا صلاة لا صوم لا حج لا نكاح لا بيع لا شراء ... صحيح بدون ولاية المولى صلوات الله عليه، وهذه ليست دعوى بلا دليل، أو قولاً بلا برهان، بل كتاب الله يصرّح بهذه الحقيقة.

قال تعالى مخاطباً رسوله «صلى الله عليه وآله»:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (١)

قد أجمع العلماء من الطائفة الحقّة، وأغلب علماء العامّة بأنّ هذه الآية الكريمة نزلت في حجة الوداع، وفيها يأمر الله تعالى رسوله الكريم «صلى الله عليه وآله» بابلاغ ما أنزل إليه في ولاية المولى أمير المؤمنين «عليه السلام» وفعلاً في قصة مفصّلة وطويلة ذكرها أغلب أهل السير والتواريخ _ بلّغ الرسول «صلى الله عليه وآله» رسالة ربّه في ولاية المولى صلوات الله عليه، فنزلت الآية الكريمة: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...} (٢).

إذن إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله يتحقق كلّ ذلك بابلاغ ولاية المولى صلوات الله عليه.

ورد عن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال:

والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا (٣).

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) أخرجه الشيخ المفيد «رحمه الله» في الأمالي: ٤٤، والبرقي في المحاسن: ١٣٤/١، والشهيد التستري في إحقاق الحق: ٤٢٨/٩ والطبراني في الأوسط: ٢ / ٣٦٠ ح ٢٢٣٠، والقندوزي في ينابيع المودة: ٢٧٢/٢ ح ٧٧٥، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٧٢/٩ ح ١٥٠٠٧، وغيرهم.

فهل معرفة حقهم إلا ولايتهم صلوات الله عليهم، والبراءة من أعدائهم؟!

أورد الشيخ الكليني «رحمه الله» عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: **إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَسَأَلَهُمْ أَجْرَ الْمَوَدَّةِ، وَأَجْرَى لَهُمُ الْوَلَايَةَ، وَجَعَلَهُمْ أَوْصِيَاءَهُ وَأَحْبَاءَهُ...، فَاعْتَبِرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا قُلْتُمْ، حَيْثُ وَضَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَلايَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ وَاسْتِنْبَاطَ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ، فَيَأَيَّاهُ فَتَقَبَّلُوا، وَبِهِ فَاسْتَمْسِكُوا، تَنْجُوا بِهِ وَتَكُونُ لَكُمْ الْحِجَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَطَرِيقَ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَزَّ، وَلا تَصِلُ وَلايَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا بِهِمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْرِمَهُ وَلا يَعَذِّبَهُ، وَمَنْ يَأْتِ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَذَلَّهُ وَأَنْ يَعَذِّبَهُ^(١).**

وقد جاء عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: لو أن عبداً عبد الله مئة عام، ما بين الركن والمقام، يصوم النهار، ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه، وتلتقي تراقيه هرماً، جاهلاً لحقنا، لم يكن له ثواب^(٢) فهل بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله» وآل بيته صلوات الله عليهم، دليل أقوى، أو حجة أبلغ؟!

أنظر هداك الله إلى الصراط المستقيم إلى قوله تعالى: **﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ**

(١) روضة الكافي: ٨ / ١٢٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١٩٧، عنه بحار الأنوار: ١٧٧/٢٧.

ذَرَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(١).

قوله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ} بمعنى، أيّ شأن كنت فيه: شأن الدنيا وما يتعلّق بها، في حلّ، في علاج، في وضع قانون أو سنّة، أو ما أشبه ذلك في مجالات التوجّه والإنقطاع إلى الله تعالى، وما يترتب على ذلك من أحوال، إذ ليس يُدرك حالات المصطفى «صلى الله عليه وآله» إلاّ هو تبارك وتعالى.

ما تكون في هذه الشؤون، وما تتلو منه من القرآن، فالتلاوة لا تتحقّق إلاّ في مجال القرآن الكريم {وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} فأيّ عمل كان في أيّ مجال من مجالات الفكر، سواء كان مختصّاً بالجوارح، أو الجوانح في مجال العبادة، وغيرها من معاملات، سياسات، أفضية وما إلى ذلك، كلّها يقول عنها القرآن: {كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا}.

هذا التعبير بالجمع يقول عنه بعض المفسّرين:

إنّ المراد به يعني المشرفين، أي من يشرف على الخلائق تدبيراً وتنظيماً، وما إلى ذلك.

يشير القرآن إلى هذا فيقول: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا^(٢)، إشارة إلى الملائكة التي تدبّر أمور الممالك الكونيّة العلويّة والسفليّة، هذا إلى الآن كلام بعض المفسّرين، وحتى يتّضح في ختام المطاف مراد الآية، وأين يصب، وماذا يريد القرآن الكريم من طرح هذه الآية، وما هو الغرض الأعلى، والغاية القصوى من إنزال هذه الآية الكبرى؟ فيجب أن نعيش بكلّ ما نملك مع القرآن وتراجمة وحيه.

(١) يونس: ٦١.

(٢) النازعات: ٥.

لأريب، إِنَّ كَلَّ مَا عِنْدَنَا هُوَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (١).

من المؤمنين من يقرأ القرآن فينفذ إلى مجالات قلبه، ويرتكز في صميم وجدانه، وينبعث منه نور، ومنهم من يقرأ القرآن ولا يتجاوز تراقيه. قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (٢).

إذن، كل ما نحوم حوله، هو اكتشاف بعض تلك الأسرار، التي تشير إلى سرّ الخطاب في كلام المولى صلوات الله عليه، والمستنبطة من كلام الله المجيد، وسنة نبيه الحميد، وأهل بيته الطاهرين، فكلّ العوالم علوية كانت أو سفلية، عوالم الفوق أو عوالم الدون، عوالم إراءة الملكوت أو عوالم الكون في هذا الناسوت، كلّها منبسطة تمام الإنبساط، بين يدي المولى صلوات الله عليه، وسيتضح من خلال مطاوي هذه الأبحاث الموضوعية، المتسلسلة قرآناً، وما يرتبط بذلك من روايات، سواء أوردتها الخاصة أو العامة، كل ذلك بالبرهان والوجدان، ولكن مع ضرورة توفّر أمرين هامّين:

الأوّل: التسليم للقرآن، ولأخبار المعصومين الكرام صلوات الله عليهم.

الثاني: التأمل في كلّ ما يعرض من هذه الكلمات القرآنية من معاريض كلام الله، ومعاريض كلام أولياء الله ليصل الإنسان إلى المطلب والمقصد.

كلّنا خلقنا لغرض، وكلّنا يبحث عن ذلك الغرض، وكلّنا يتوجّه إليه طوعاً أو كرهاً {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (٣) ولكنّ قوماً رجعوا قبل الرجوع الأوّل، رجعوا إلى الله، والتصقوا بوليّ الله الأعظم، واندكّوا في حبه، وصاروا قطعة منه، فغدوا نوراً يمشي في الناس، قال تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ

(١) الأنعام : ٣٨.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) البقرة: ١٥٦.

مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي
الظُّلُمَاتِ...} (١)

هذا النور لا يبدؤ أن نتعرّف على حقيقته وجوهره، من خلال مطاوي لفظ
الكتاب في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب، حتّى نصل إلى بعض
المؤشرات، وإلى بعض الإشارات التي توجي إلى السرّ القدّوسي في
الأرضين، وذلك السرّ هو مولانا أمير المؤمنين عليّ «عليه السلام».

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ
تُقِضُونَ فِيهِ﴾ (٢) هنا يذكر الله تعالى «كنّا» ولم يقل «كان الله» إشارة إلى أنّ
المشرفين على أعمال الخلائق هم من الملائكة، وهذا مسلم بين المفسرين؛
باعتبار أنّ من الملائكة حفظة وكتبة وسائقاً وشهيداً ومتوفياً للنفوس، وما إلى
ذلك من أحوالات، ومن وظائف، ومن شؤونات موكلة إليهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (٣) أي جعل الله
وكيلاً عنه في التوفي، مع أنّ الله عزّ وجلّ لا يحتاج إلى وكيل، ولا يحتاج
إلى تخويل، ولا إلى تفويض، ولكن من باب الأسباب والمسببات، ومن باب
أبي الله أن تجري الأمور إلاّ بأسبابها، ولذا قال جلّ جلاله: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ
أَمْرًا﴾ (٤).

وقال عزّ وجلّ: ﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) فإله سبحانه وتعالى بيّن لنا،

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) يونس: ٦١.

(٣) السجدة: ١١.

(٤) النازعات: ٥.

(٥) الذاريات: ٤.

وأوحى إلينا بأن هذه الممالك يباشرها ملائكة الله. فإذا تمّ هذا المطلب واعتقدناه، وهو مسلم ولا ينكره نبيه، حينئذ نتساءل: إذا كان للملك هذا المقام في التوفّي، وفي الشهود والمحاسبة، والمراقبة، وما إلى ذلك، كما نصّ القرآن في قوله تعالى: {كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا} أي يشهد الله عبر شهادة الملائكة، وقوله {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} (١) فإذا كان مقام التوفّي منسوباً بنصّ القرآن إلى الملك، وإذا كان مقام الشهادة موصوفاً به الملك، وإذا كانت منزلة التوكيل والتفويض والتحويل يصحّ نسبتها إلى الملك، فكيف بمن هم سادة الأملاك وقادة الأفلاك محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين؟! بمحمّد وآل محمّد تلالأت ظلم الليالي واستبانّت صفحات الأيام فهم «عليهم السلام» أنوار قدرته القاهرة وآثار سلطته الباهرة.

قال تعالى: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.

إذن، الكتاب المبين فيه من الذرة وما دونها، وما هو أعظم من الذرة إلى الدرّة والمجرّة، يعني، كلّ ما يفترض في عوالم الإمكان من كبير أو صغير، من خطير أو حقير، كلّ شيء في هذه العوالم بنصّ القرآن الكريم {فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.

تري أين هذا الكتاب المبين؟

قال جلّ وعلا: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (٢).

وقال: {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (٣).

(١) سورة ق: ٢١.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) سورة يس: ١٢.

القرآن الكريم وضع لنا قاعدة، وهي أنّ كلّ ما تعملون من عمل إنّما هو منكشف «للكتاب المبين». ولهذا يقول الحقّ تأييداً لهذا بآية تقطع الجدل، قال تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}** (١).

فقد ورد في روايات مستفيضة، إنّ المراد من المؤمنين في هذه الآية الكريمة، هم آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

أورد الصفار «رحمه الله» عن الهيثم النهدي، عن محمّد بن عليّ بن سعيد الزيّات، عن عبد الله بن أبان، قال: قلت للرّضا «عليه السلام»: إنّ قوماً من مواليك سألونني أن تدعو الله لهم؟ فقال: **والله، إنّني لتعرض عليّ في كلّ يوم أعمالكم** (٢).

وعن أبي عبد الله «عليه السلام» في قوله: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}** قال: المؤمنون هنا الأئمّة الطاهرون «عليهم السلام» (٣).

وأورد الصدوق «رحمه الله» في الأمالي، بإسناده عن إبراهيم الأحمري، عن محمّد بن الحسين، ويعقوب بن يزيد، وعبد الله بن الصّلت، والعبّاس ابن معروف، ومنصور، وأيوب، والقاسم، ومحمّد بن عيسى، ومحمّد بن خالد، وغيرهم، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، قال: كنت عند أبي عبد الله «عليه السلام» فقلت له: جعلت فداك! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}**، قال: **إيّانا عنى** (٤).

إنّ كلّ ما يراه الله يراه رسوله، وكلّ ما يراه رسوله يراه أوصياؤه، قال تعالى: **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}**

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٩٩.

(٣) أورده القميّ «رحمه الله» في تفسيره: ٣٠٤/١_مورد الآية_.

(٤) الأمالي: ٢٣/٢.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^(١)، وهذه نصوص قطعية ليس في معتقدنا نحن الإمامية فقط، بل تعد الفارق الأساسي بين الصدق والمين^(٢)، ولا مجال للترديد فيها، ومن يشكك فليشكك في كلام الله تعالى.

ولكن مما يؤسف له أن هناك ممن ينسب إلى الإمامية بالظاهر، ويدعي بأنه عارف بحقوق الإمام «عليه السلام» ومنقاد للإمام «عليه السلام» لكنه يكون أبعد مما يكون عن الإمام «عليه السلام» في حقوقه، وفي مراتبه، وفي مقاماته، وفي منازلها، وهؤلاء ليسوا شيعة الإمام «عليه السلام» ما لم يذعنوا بما نزل من الخطاب، فإذا آمنوا واتبعوا كانوا أنواراً حقاً، وكانوا شيعة حقاً؛ لأن التشيع ليس باللفظ السهل كما يعتقد البسطاء، قال سبحانه وتعالى: **﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِأَبْرَاهِيمَ﴾**^(٣) فعنوان التشيع ليس سهلاً، وإنما ناله من كان قد نال الثريا أمثال: سلمان والمقداد وأبو ذر، هؤلاء الذين هم مصاديق الشيعة، ومصاديق التشيع للأئمة «عليهم السلام».

يدخل رجل على الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» ويسأل بعض الأسئلة، فيقول له الإمام: **وأسفاه! يبلغ الواحد منكم الأربعين والخمسين وهو لا يعرف معارض كلامنا!!**

و هناك رواية عن الإمام الباقر «عليه السلام» يرويها الشيخ الكليني «رحمه الله» في كتابه الكافي الشريف، عن ضريس الكناسي قال: سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول -وعنده أناس من أصحابه-: **عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم يكسرون حجّتهم، ويخصمون أنفسهم ضعف قلوبهم فينقصونا حقناً، ويعيبون**

(١) المائة: ٥٥.

(٢) المين: الكذب. أنظر لسان العرب: ٢٣٦/١٢_ مادة مين.

(٣) الصافات: ٨٣.

ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا، والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عليهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم، مما فيه قوام دينهم؟!

فقال له حمران: جعلت فداك! رأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين «عليهم السلام» وخروجهم وقيامهم بدين الله عز ذكره، وما أصيبوا به من قتل الطواغيت إياهم، والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: يا حمران، إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثم أجراه، فبتقدم علم إليهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قام علي والحسن والحسين «عليهم السلام» ويعلم صمت من صمت منا؛ ولوأنهم يا حمران، حيث نزل بهم ما نزل من ذلك، سألوا الله أن يدفع عنهم، ألحوا عليه في إزالة ملك الطواغيت، وذهاب ملكهم لزال أسرع من سلك منظوم إنقطع فتبدد، وما كان الذي أصابهم لذنوب اقترفوه، ولالعقوبة معصية خالفوا فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغهم إياها، فلاتذهبن بك المذاهب فيهم. (١)

إذن، ينبغي للإنسان العارف بهم أن يسلم لهم مقاماتهم، ولا يعيب على من يقول بأن لهم ملكوت السماوات، وملكوت الأرضين. بعض يعترض على هذا ويقول: ما الذي بقي لله تعالى؟ وكأن الله عز وجل ملكه محصور بهذه المملكة، وحاشا لله تعالى أن يحدّ بحدّ! وحاشا لله تعالى أن تنقص

(١) الكافي: ٢٦١/١ ح ٤، بصائر الدرجات: ١٢٤، الخرائج والجرائح للراوندي: ٧٨٠/٢ ح ٧٨، عنه البحار: ١٤٩/٢٦ ح ٣٥.

خزائنه! جلّ جلاله لا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً، وهو عزّ شأنه غنيّ عن العالمين.

الله تعالى وضع كلّ شيء في مملكتهم، فهم «عليهم السلام» يتصرفون بالذرة والمجرة وفق الحكمة، هناك من يقول: إنّنا لم نر إلاّ معجزات معدودات؟ في الحقيقة لو أرادوا صلوات الله عليهم، أن يتعاملوا بالمعجزات فسوف لن يبقى شيء، أبا الله إلاّ أن تجري الأمور بأسبابها، ولكنهم لا يعجزون إذا أرادوا أيّ شيء في هذا الكون .
لذلك يقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«أنا خازن السماوات والأرض بأمر ربّ العالمين، أنا محصي الخلاق وإن كثروا... أنا الشاهد لأعمال الخلاق في المشارق والمغرب»^(١).

الرسول «صلى الله عليه وآله» أشرف خلق في هذا الكون، فهل يتقدّم عليه شيء؟ وما قيمة اللوح قبال مرتبة الرسول؟! اللوح ما هو إلاّ مخلوق ممكن محدث، ما شرافته في قبال شرافة محمّد وعليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم؟!!

فإنّنا عندما نقول: إنّ عليّاً صلوات الله عليه، هو الشاهد لكلّ الأعمال، ماذا نكون قد انتزعنا من قدرة الله؟!!

الجواب: لا شيء، يعني إنّ هذا هو عين الاعتراف بالقدرة، لا إنتزاع للقدرة، الله قدرته غير محدودة، عطاءه وملكه غير محدود، الله تعالى هو الخلاق العليم، ولو خلق بليارات من الأكوان والممالك وملّكها لأحد، فهل ياترى ينقص من قدرة الله تبارك وتعالى شيء؟! لا، هل ينقص من خزائنه شيء؟! أيصير فقيراً؟!!

(١) أنظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١ - ١٧٢.

قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} (١) صدقني، المسألة عند الأغلب ليس مسألة تحديد القدرة، ولكن لأن القضية صارت في علي وآل علي صلوات الله عليهم، تجدهم يضعون علامات الاستغراب والاستفهام؛ لمرض في قلوبهم.

ورد عن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» أنه قال: ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمد «صلى الله عليه وآله» اشمأزت قلوبهم؟! والذي نفس محمد بيده، لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايته وولاية أهل بيته (٢).
رأيت اليوم نصاً بليغاً في قوته ولفظه، يخاطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه المولى صلوات الله عليه:

«لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي» (٣)!

رسول الله يحبط عمله!!

قال سبحانه وتعالى: {طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (٤)، فمن هو طه؟ أليس هو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، والذي خلق الوجود لأجله؟ فإنه لو كان الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء، ومن كان في الركب الأول والآخر من الخلائق من المتقدمين، من المتأخرين، كروبيين، ملائكة

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) أورده الطوسي «رحمه الله» في الأمالي: ٢٢٩/١٤٠، ومحب الدين الطبري في بشارة المصطفى «صلى الله عليه وآله»: ٨١، وذكره أيضاً في ص ١٣٣ عن يونس بن الحباب، عن الإمام علي بن الحسين «عليه السلام»، والأربلي في كشف الغمّة: ١٠/٢ عن الإمام السجّاد «عليه السلام» وراجع أمالي المفيد: ٨/١١٥ عن مرزم عن الإمام الصادق «عليه السلام».

(٣) أخرجه المجلسي «رحمه الله» في البحار: ٦٥/٢٤ ضمن ح ٤٩.

(٤) طه: ٢-١.

مفوضين، ملائكة مدبرين، كلهم في كفة، لا يمكن أن يساواوا في فضلهم فضل المصطفى وعمل المصطفى «صلى الله عليه وآله» ومع هذا كله يصرح الرسول «صلى الله عليه وآله» بقوله: لو لم أعترف بهذا، ولا أقر لهذا لحبط عملي، والشاهد من القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}. هذا الخطاب هو مراد رب العالمين.

وهذه الآية تحسم النزاع مع الشيطان، لأنه هو الذي يوسوس للبعض، ويغالطهم ويوهمهم بأن هذا غلو. والله، اتعجب كل العجب! يريدوننا أن نكون سطحيين، وقشريين، ويريدوننا أن نمشي وراء ركب هذا وذاك، ولا يريدوننا أن نكون من أتباع وشيعة علي وآل علي صلوات الله عليهم.

تباً لهم وتب! فهل يُعقل أن نمشي وراء عوائهم ونباحهم بعد أن أشرب حبّ علي وآل علي صلوات الله عليهم في أعماقنا، وأخذ يجري مجرى الدم في العروق!؟

جعلنا الله تعالى وإياكم من الشيعة المخلصين لعلي وآل علي، صلوات الله عليهم.

البحث الثالث عشر

إسلام القدرة القاهرة على أنوار الولاية الباهرة

في معنى الشاهد

من خلال قول المولى «عليه السلام» :

فَرَسَوِلَ اللّٰهُ «صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» عَلَى بَيْتَةِ مَنْ رَبِّهِ، وَأَنَا الشَّاهِدُ مِنْهُ
أَتْلُوهُ.

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَوْ كُسِرَتْ لِي وَسَادَةٌ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا
لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ
الزَّبُورِ بِزُبُورِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ. وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ
النَّسْمَةَ مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ لَهُ آيَةَ
تَسْوُفِهِ إِلَى جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ... ثُمَّ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} (١) فَرَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ،
وَأَنَا الشَّاهِدُ مِنْهُ أَتْلُوهُ (٢)

إعلم، هُناك الله إلى حقِّ اليقين، وجعلك من المتقين، ودون اسمك في
زمره الصادقين محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين، إنَّ الدلائل والآيات
الربانية على أنوار وأسرار الولاية العلوية مما يعجز عن ذكرها اللسان،
ويكفل عن معرفتها الجنان. وهل يُعرف أو يوصف أو يعلم أو يفهم أو يدرك
أو يملك شأن من هو نقطة الكائنات وقطب الدائرات وسرِّ الممكنات!؟

(١) هود: ١٧.

(٢) أخرجه الحموي في فرائد السمطين: ٣٣٨/١ - ٣٣٩ باب ٦٣ ح ٢٦١، وقد
أخرج هذا القول جمع غفير من علماء الخاصة والعامة، عن الإمام أمير المؤمنين صلوات
الله عليه، بالفاظ قريبة من الذي نقلناه، منهم: القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٢٢٥/١
باب ١٤ ح ٥٢، ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٤٤٢/٢٠، الحاكم الحسكاني في شواهد
التنزيل: ٣٦٦/١. وقد أجاد السيد هاشم البحراني «رحمه الله» في كتابه غاية المرام: ٣٥٩،
الباب ٦١ و ٦٢ حيث نقل أحاديثاً من الخاصة والعامة في شأن نزول هذه الآية في الإمام
أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

لا وألف لا! فكلما إِنْ، من باب التقريب والإشارة لفضائل ومناقب وحقيقة المولى صلوات الله عليه، لا من باب الإحاطة والمعرفة التامة، وكل ما نقل يحمل على ذلك.

روى الطبرسي «رحمه الله» بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي «رحمه الله» أنه قال: سأل رجل علي بن أبي طالب «عليه السلام» فقال — وأنا أسمع: أخبرني بأفضل منقبة لك؟

قال: ما أنزل الله في كتابه.

قال: وما أنزل الله فيك؟ قال: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} (١) أنا الشاهد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (٢) إياي عنى بمن عنده علم الكتاب، فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره... (٣).

تمعن جيداً في مدلول هذه الآية الشريفة، وكيف أن الله عزّ شأنه يأمر رسوله الكريم «صلى الله عليه وآله» بهذه الآية أن يقول للكافرين، بأن الله تعالى وعلي بن أبي طالب «عليه السلام» هو الشهيد بيني وبينكم، أنظر كيف قرن الله تعالى اسمه الشريف باسم وليّ الله المطلق في هذه الآية المباركة— مع حفظ المقام فالله خالق والإمام عليّ مخلوق— وهذا سرّ الأسرار وغاية الأنوار، وكشف الحجاب عن سرّ هذه الآية المباركة يحتاج إلى مسيرة طويلة، نخرج فيها إلى هدايته، وإلى نقطته، وإلى سرّه، وإلى ملكوته من خلال هذه الآية، فهي رحلة عروجية بالأرواح

(١) هود: ١٧.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) أنظر الاحتجاج للطبرسي: ١/٢٣١.

والعقول والأفئدة التي مالت إلى السرّ، وعرفت أنّ النقطة هي السرّ،
وتنحصر المعرفة التامة بمعرفة النقطة، وأنها هي المعلم الذي بدأ به
التكوين ويختتم به، كيف ؟

هذا ما نريد برهانه وبيانه، فإنّ القرآن قد تصدّى لذلك، بقوله تعالى:
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١).

لاحظوا أولاً قوله تعالى «قل» نداء الله، وخطاب السماء للمصطفى
عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وماذا بعد «قل» وماذا يوجد من أسرار
هناك؟

هذا الذي سنتوصل إليه، ونتمتع بزداد الهداية، ونعمة الولاية إن شاء
الله، قال تعالى: {...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ...} ^(٢) عندما ينزل الماء إلى الأرض الجزر
فإنّ الأرض تهتز وينبت فيها ما ينبت، والقلب أفضل ما ينبت فيه أسرارهم
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فعندما يعبر القرآن الكريم بكلمة «كفى»
فبأي شيء يكتفي الخلق ؟

يكتفي بمن عنده علم الكتاب. الكفاية والهداية كلّها في أسرار صاحب
الولاية «عليه السلام» الكفاية حينما يقف الإنسان عند تلك النقطة.

قال خاتم الأنبياء «صلى الله عليه وآله» في ولاية المولى صلوات الله عليه -
كما تقدّم - لو لم أبلغ ولايته، ولم أقرّ له بالولاية لحبط عني عملي! عمل
المصطفى «صلى الله عليه وآله» لا يوازن به عمل، فكلّ شيء لا يمكن أن يساوي
أهة من أهات المصطفى، ولا تكبيرة من تكبيراته، ولا ركعة من ركعاته «صلى
الله عليه وآله» كيف وقد نزل القرآن في بيان عظمته حيث قال: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٣). ذلك أنّه

(١) القيامة: ١٩.

(٢) الحج: ٥.

(٣) طه: ١ - ٢.

قد تورّمت قدماء من القيام والوقوف بين يدي الله، كان لا ينام ليله، كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه، على الرغم من كل هذا كان يقول: كل ما عندي وكل أعمالِي_ التي هي فوق أعمال الخلق جميعاً من أنبياء مرسلين وملائكة مقربين وغيرهم_ متوقّفة على ولاية عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» والإقرار له، والقرينة على ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ...}.^(١)

هذه آيات قرآنية وليست كلمات جرائد، عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً، ومن لا نصيب ولا حظّ له في القرآن فما له من نصيب، ولا حظّ له في الحياة أبداً، وما ينالها إلا ذو حظّ عظيم.

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ...}. فرسالة الله، وكل ما فيها من أسرار، وكل ما فيها من أخبار، وكل ما فيها من مضامين، كلّها لم تبلغ، ولم تكن شيئاً إلاّ بإبلاغ ولاية عليّ «عليه السلام».

المولى صلوات الله عليه، يقول: «أنا النقطة تحت الباء»^(٢)

وبالنقطة ظهر العابد من المعبود، وامتاز كل شيء بالنقطة، والنقطة

هي الولاية، والولاية بانّت منزلتها في قوله جلّ جلاله:

{وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ...}.^(٣) وقال تعالى في آية أخرى: {قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} فالذي عنده علم الكتاب، هو الذي يشهد شهادته مع شهادة الله، هذه الكلمة كم

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) راجع جامع الأسرار للسيد حيدر الأملي: ٤١١، ٥٦٣، ٦٩٥، وينابيع المودة للقندوزي: ٢١٢/٣.

(٣) المائدة: ٦٧.

يراد لها من تعقل وتأمل؟ هذه الكلمة فيها معنى عميق، ذلك أن الله عز وجل أتى بمن عنده علم الكتاب شاهداً معه؟ فالشهادة المراد بها البرهان القاطع، والنور الساطع على إثبات نبوة محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله» الشهادة هي البرهان، والبرهان يساوق آيات القرآن، والقرآن في حقيقته وجوهره بيان مراتب الولاية، وهو مرآة انعكست فيها تلك الصفات العلوية، وتلك الحقائق النورانية للمولى أمير المؤمنين «عليه السلام».

فالله عز شأنه عندما يقرن في القرآن المجيد شهادته بشهادة ولي الله المطلق فكيف تكون تلك الشهادة؟ الله تعالى شهادته بلا إشكال قطعية وليست ظنية، وبالتالي فإن من عنده علم الكتاب شهادته قطعية أيضاً؛ لأنه حاشا لله! أن يضم إلى جنب القطع الظن، وإنما هي قطع في قطع، ويقين في يقين.

فإذا كانت شهادته يقين، فماذا تعتبر مسألة الخلافة والولاية وما أشبهه؟ هذه كلها مظاهر، وأما حقيقة المولى علي بن أبي طالب «عليه السلام» فهي فوق كل هذه المراتب، فوق كل هذه الحقائق والكلمات، وحقاً ما نطق به المولى، صلوات الله عليه: «والله لو ثبت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الفرقان بفرقاتهم»^(١)

لم يقل المولى «عليه السلام» شيئاً زائداً على القرآن، وإنما كل ما قاله فهو من القرآن، ومبرهن عليه منه، فالذي عنده علم الكتاب ينبغي أن يكون عارفاً بالتوراة والإنجيل والزيور، والصحف والكتب، وما كان وما يكون وما هو كائن فعلاً. حتى تكون شهادته كشهادة الله، وحتى يكون قوله كقول الله عز

(١) أخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٣٣٨/٢ ضمن ح ٩٨٢.

وجلّ، قطع في قطع، لو كان عنده أدنى زلّة ما يمكن أن يتّخذهُ الله شهيداً.

إذن، شهادته صلوات الله عليه، قولاً وفعلاً مطابقة للواقع، وأمّا أفعاله فإقامة المعجزات في عوالم التكوين والتشريع، فكلّ ما يريده أمير المؤمنين «عليه السلام» يتحقق، وهنا نضرب الأمثال للتقريب و ليس للتحديد، ونستغفر عن تحديد مقامات أمير المؤمنين «عليه السلام»؛ لأنّ الذي يحده أنزله عن المرتبة التي رتبّه الله فيها، وهذا خروج عن الدين.

روي أنّ أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: مررت بعمّار بن ياسر، وقد لازمه بعض اليهود في ثلاثين درهماً كانت له عليه، فقال عمّار: يا أخا رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا يلزمني ولا يريد إلاّ أداي وإذلاي لمحبتّي لكم أهل البيت، فخلصني منه بجاهك.

فأردت أن أكلم له اليهودي، فقال: يا أخا رسول الله، أنا أجلك في قلبي وعيني من أن أبذل لك لهذا الكافر، ولكن إشفع لي إلى من لا يردك عن طلبه، فلو أردت جميع جوانب العالم أن يصيرها كأطراف السفرة لفعل، فاسأله أن يعينني على أداء دينه، ويغنيني عن الاستدانة. فقلت: اللهم! إفعل ذلك به، ثمّ قلت له: إضرب إلى ما بين يديك من شيء حجر أو مدر، فإنّ الله يقبّله لك ذهباً ابريزاً. فضرب يده، فتناول حجراً فيه أمان، فتحوّل في يده ذهباً، ثمّ أقبل على اليهودي، فقال: وكم دينك؟ قال: ثلاثون درهماً. قال: فكم قيمتها من الذهب؟ قال: ثلاثة دنائير. فقال عمّار: اللهم! بجاه من بجاهه قبّلت هذا الحجر ذهباً، لين لي هذا الذهب لأفصل قدر حقّه. فألانه الله عزّ وجلّ له، ففصل ثلاثة مثاقيل وأعطاه، ثمّ جعل ينظر إليه، وقال: اللهم! إنّي سمعتك

تقول: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ * أَنْ رَعَاهُ اسْتَعْتَفَى} (١) ولا أريد غنى يطغيني، اللهم! فأعد هذا الذهب حجراً بجاه من بجاهه جعلته ذهباً بعد أن كان حجراً فعاد حجراً، فرماه من يده، وقال: حسبي من الدنيا والآخرة موالاتي لك يا أبا رسول الله (٢).

لو يتأمل الإنسان في كتاب الله، وفي خطبة المولى الروحية، أو التنجية، أو الكاهلية، أو الافتخارية، أو النورانية، لما قضى عجباً، ولقال، هذا أدون مراتبه.

روى الحضرمي وهو من علماء العامة حكاية، عن ميمون بن مهران رضي الله عنه، قال: كان بالكوفة رجل يكنى أبا جعفر، كان حسن المعاملة، وكان إذا أتاه أحد من العلوية يطلب ما عنده لا يمنعه، فإن كان معه ثمنه أخذه وإلا قال لغلامه: اكتب ثمن ما أخذه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فعاش كذلك زماناً، ثم افتقر وجلس في بيته، وكان ينظر إلى دفتره، فإن وجد فيهم شيئاً بعث من يقبضه منه، وإن وجد شيئاً ضرب على اسمه. فبينما هو ذات يوم جالس على باب داره ينظر في ذلك الدفتر، إذ مر به رجل، فقال له: **كالمستهزىء به** ما فعل غريمك الكبير؟ يعني علياً رضي الله عنه، فاغتم الرجل لذلك ودخل منزله.

فلما كان الليل رأى النبي «صلى الله عليه وآله» وكأن الحسن والحسين يمشيان بين يديه، فقال لهما: ما فعل أبوكما، فأجابه علي كرم الله وجهه من ورائه، فقال: **ها أنا ذا يا رسول الله، فقال: مالك لا تدفع إلي هذا الرجل حقّه، فقال: يا رسول الله، هذا حقّه قد جئت به. قال فأعطه. قال: فناولني كيساً من صوف،**

(١) العلق: ٦ - ٧.

(٢) أخرجه المجلسي «رحمه الله» في البحار: ٣٣٣/٢٢ ح ٤٨ عن تفسير الإمام العسكري «عليه السلام».

وقال هذا حقك. فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: خذه ولا تمنع من جاءك من ولده يطلب ما عندك، فامض لا فقر عليك بعد اليوم. قال: فانتبهت والكيس بيدي، فناديت امرأتي: أنائم أنا أم يقظان؟ فقالت: بل يقظان. قال: فاسرجت فناولتها الكيس، فإذا فيه ألف دينار. فقالت: يا رجل، اتق الله! لا يكون الفقر حملك على أن خدعت بعض هؤلاء التجار، فأخذت ماله. قلت: لا والله، ولكن القصة كيت وكيت. قالت: فان كنت صادقاً فأنظر في حساب علي بن أبي طالب، فدعا بالدفتر فلم يجد به لا قليلاً ولا كثيراً من ما كتب علي بن أبي طالب (١).

و هذا عين الحقيقة، لأنه وجه الله، ونور الله... آتاه الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، هل يعجز الله، وهو الخالق العظيم أن يعطي الكون علياً وآل علي صلوات الله عليهم؟

قال تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ} (٢)
وقال جل جلاله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} (٣)
فالحقيقة هي أن تسلّم أن سرّ التكوين، وسرّ التدوين منطوق في المولى أمير المؤمنين «عليه السلام».

جعلنا الله تعالى من المسلمّين لهذه الحقيقة ومن العاملين بها بحق محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) أخرجه الحضرمي في رشفة الصادي: ٢٥٢، وقد أوردها كذلك الزرندي في جواهر العقدين: ٣٦١ باب ١٢.
(٢) آل عمران: ١٨١.
(٣) المائدة: ٦٤.

البحث الرابع عشر

منهج الفضائل والكرامات ومصدر العجائب والآيات

في المراد من وجه الله تعالى

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا وَاللَّهِ وَجْهُ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَسَدُ اللَّهِ...

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
أنا سرُّ الأسرار، أنا شجرةُ الأنوار، أنا دليلُ السمّوات... أنا سمندلُ
الأفلاك، أنا سريرُ الصّراح، أنا حفيظُ الألواح، أنا قطبُ الدّيجور، أنا البيتُ
المعمور... أنا والله وجهُ الله، أنا والله أسدُ الله، أنا سيدُ العرب، أنا كاشفُ
الكرب، أنا الذي قيلَ في حقّه «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ» أنا الذي قالَ في شأنه «أنتَ
مني بمنزلةِ هارونَ من موسى» أنا لئبُ بني غالب، أنا عليُّ بنَ أبي
طالب... (١)

إعلم، أيها الموالى لساتته المنتجبين، والسالك طريقهم المستبين، إن
هذه الأنوار الملكوتية الطافحة علينا، من وجه الله المبين، المولى أمير
المؤمنين صلوات الله عليه، لم ينفرد بنقلها علماء الطائفة الحقة، وإن كان في
تفردهم تمام الحجة، بل تسالم على نقل هذه النفحات النورانية جمع
غير من علماء العامة أيضاً.

أنظر _هداك الله إلى حقّ اليقين، وجعلك سائراً في سلك المتقين_ إلى
ما نقله القندوزي الحنفي _وهو من علماء العامة المشهورين_ عن الإمام
عند أبناء العامة كمال الدين، محمد بن طلحة الشافعي، الذي نقل خطبة
البيان كاملة في كتابه «الدر المنظم» وصدّرها بكلام بليغ كمقدمة لهذه

(١) مقطع من خطبة البيان للمولى صلوات الله عليه، أوردها كاملة القندوزي الحنفي
في ينابيع المودة: ٢٠٣/٣ - ٢٠٩ باب ٦٨، نقلا عن محمد بن طلحة الشافعي في كتابه
«الدر المنظم».

الخطبة العظيمة. حيث قال: ... وقد ازدحم على باب عليّ، كرّم الله وجهه، الراسخون من العلماء، والحاذقون من الحكماء، فاخترت من أسرارهِ ما سرّه أشمل، والعمل به أكمل...

وقد ثبت عند علماء الطريقة، ومشايخ الحقيقة، بالنقل الصحيح، والكشف الصريح، أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، قام على المنبر بالكوفة وهو يخطب، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله بديع السموات والأرض وفاطرها، وساطح المدحيات ووازرها...

أحمده على آلائه وتوفرها، وأشكره على نعمائه وتواترها، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، شهادة تؤدّي إلى السلامة ذاكرها، وتؤمّن من العذاب ذاخرها، وأشهد أنّ محمّداً صلوات الله عليه، الخاتم لما سبق من الرسل وفاخرها، ورسوله الفاتح لما استقبل من الدعوة وناشرها، أرسله إلى أمة قد شعر بعبادة الأوثان شاعرها، فأبلغ «صلى الله عليه وآله» في النصيحة وافرها، وأثار منار أعلام الهداية ومنابرها، ومحا بمعجز القرآن دعوة الشيطان ومكائرها، وأرغم معاطيس غواية العرب وكافرها، حتّى أصبحت دعوته الحقّ بأولّ زائرها، وشريعته المطهرة إلى المعاد يفخر فاخرها (صلى الله عليه وعلى آله الدوحة العليا وطيب عناصرها).

أيّها الناس، سار المثل، وحقّق العمل، وتسلّمت الخصيان، وحكمت النسوان... وقام الأعدياء، ونال الأشقياء، وتقدّمت السفهاء، وتأخرت الصلحاء، وازورّ القران، واحمرّ الدبران، وكملت الفترة، وسدست الهجرة، وظهرت الأفاطس، فحسّمت الملابس، يملكون

السراير، ويهتكون الحرائر، ويجيئون كيسان، ويخربون خراسان،
فيهدمون الحصون، ويظهرون المصون، ويفتحون العراق بدم يراق، فأه
آه، ثم آه آه ، لعريض الأفواه، وذبول الشفاه.

ثم، التفت يميناً وشمالاً، وتنفّس الصعداء ملالاً ، وتأوّه خشوعاً، وتغيّر
خضوعاً، فقام إليه سويد بن نوفل الهلالي، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت
حاضر بما ذكرت وعالم به!

فالتفت إليه بعين الغضب، وقال له: ثكلتك الثواكل، ونزلت بك
النوازل، يا ابن الجبان الخبائث، والمكذب الناكث، سيقصر بك الطول،
ويغلبك الغول، أنا سرّ الأسرار ، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السموات، أنا
أنيس المسبحات، أنا خليل جبرائيل، أنا صفي ميكائيل، أنا قائد الأملاك، أنا
سمندل الأفلاك، أنا سرير الصراح، أنا حفيظ الألواح، أنا قطب الديجور، أنا
البيت المعمور، أنا مزن السحاب، أنا نور الغياهب، أنا فك الحجاج، أنا
حجة الحجج، أنا مسدد الخلائق، أنا محقق الحقائق، أنا مأول التأويل، أنا
مفسر الإنجيل، أنا خامس الكساء، أنا تبيان النساء، أنا إفة الإيلاف، أنا
رجال الأعراف، أنا سرّ إبراهيم، أنا ثعبان الكليم، أنا وليّ الأولياء، أنا ورثة
الأنبياء، أنا أوريا الزبور، أنا حجاب الغفور، أنا صفوة الجليل، أنا إيليا
الإنجيل، أنا شديد القوى، أنا حامل اللواء، أنا إمام المحشر، أنا ساقى
الكوثر، أنا قسيم الجنان، أنا مشاطر النيران، أنا يعسوب الدين، أنا إمام
المتقين، أنا وارث المختار، أنا ظهير الأظهار، أنا مبيد الكفرة، أنا أبوالأئمة
البررة، أنا قالع الباب، أنا مفرق الأحزاب ، أنا الجوهرة الثمينة، أنا باب
المدينة، أنا مفسر البيّات، أنا مبين المشكلات، أنا النون والقلم،

أنا مصباح الظلم، أنا سؤال متى، أنا ممدوح هل أتى، أنا النبأ العظيم،
أنا الصراط المستقيم، أنا لؤلؤ الأصداف، أنا جبل قاف، أنا سرّ الحروف، أنا
نور الظروف، أنا الجبل الراسخ، أنا العلم الشامخ، أنا مفتاح الغيوب، أنا
مصباح القلوب، أنا نور الأرواح، أنا روح الأشباح، أنا الفارس الكرار، أنا
نصرة الأنصار، أنا السيف المسلول، أنا الشهيد المقتول، أنا جامع القرآن،
أنا بنيان البيان، أنا شقيق الرسول، أنا بعل البتول، أنا عمود الإسلام، أنا
مكسر الأصنام، أنا صاحب الأذن، أنا قاتل الجن، أنا صالح المؤمنين، أنا
إمام المفلحين، أنا إمام أرباب الفتوة، أنا كنز أسرار النبوة، أنا المطلع على
أخبار الأوّلين، أنا المخبر عن وقائع الآخرين، أنا قطب الأقطاب، أنا حبيب
الأحباب، أنا مهديّ الأوان، أنا عيسى الزمان، أنا والله وجه الله، أنا والله
أسد الله، أنا سيد العرب، أنا كاشف الكرب، أنا الذي قيل في حقّه «لا فتى
إلاّ عليّ» أنا الذي قال في شأنه «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» ، أنا
ليث بني غالب، أنا عليّ بن أبي طالب.

قال: فصاح السائل صيحة عظيمة وخرّ ميتاً^(١).

وقد نقلنا الخطبة كاملة؛ حتى يقف القارئ العزيز على ما ينقله أبناء
العامّة من كلام المولى صلوات الله عليه، ويقرّون به، ومع ذلك تجد من
يُنسب إلى التشيع يشكّك في كلام الإمام ويصف ناقله أو قائله بالغلوّ؟!
فإياك، ثمّ إياك! أن تتبع وتصدّق من أغفل الله تعالى قلبه، وشكّك في
كلام المولى صلوات الله عليه، فإنّ في ذلك الخسران والخلود في النيران،
أعادنا الله تعالى وإياكم منها.

(١) ينابيع المودة: ٢٠٣/٣ - ٢٠٩.

فهل بعد هذا كله، يحق لمسلم آمن بالله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» أن ينكر ولاية المولى وولده المعصومين صلوات الله عليهم؟! نقل الصدوق «رحمه الله» عن عبدالسلام بن صالح الهروي، عن عليّ ابن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب «عليهم السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني. قال عليّ «عليه السلام»: فقلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال «صلى الله عليه وآله»: «يا عليّ، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللائمة من بعدك، وأنّ الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا. يا عليّ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم «عليه السلام» ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟! وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيبحة وتهليله وتقديسه، لأنّ أول ما خلق الله عزّوجلّ أرواحنا فانطقها بتوحيده وتمجيده، ثمّ خلق الملائكة ... ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّوجلّ عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة؛ لكوننا في صلبه،... فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرائيل: تقدّم يا محمد، وتخلّف عني، فقلت له: يا جبرائيل، في مثل هذا الموضع تفارقتي؟! فقال: يا محمد، إنّ انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّوجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي؛ بتعدي حدود ربّي جلّ جلاله، فزخّ بي النور زخّة، حتى انتهيت إلى ما شاء الله عزّوجلّ من علو مكانة، فنوديت: فقلت: لبيك ربّي

وسعديك، تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمد، أنت عبد وأنا ربك،
 فإياي فاعبد وعلي فتوكل، فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي،
 وحجتي على بريتي، لك ولمن تبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري،
 ولأوصيانك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي، فقلت: يا رب، ومن
 أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد، أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي،
 فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر
 نوراً، في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي، أولهم علي
 ابن أبي طالب «عليه السلام» وآخرهم مهدي أممي، فقلت: يا رب، هؤلاء
 أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمد، هؤلاء أوصيائي وأحبائي وأصفيائي،
 وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك،
 وعزتي وجلالي، لأظهرن بهم ديني، ولأعلنن بهم كلمتي، ولأظهرن الأرض
 بآخريهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاريها، ولأسخرن له
 الرياح، ولأدللن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب، ولأصرنه
 بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدني،
 ثم لأدينن ملكه، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة^(١).

وقد علق على هذا الحديث أحد العرفاء الكمل^(٢)، من شيعة المولى
 صلوات الله عليه، بعد أن نقل الحديث كاملاً، قال: أعلم، جعلك الله وإيانا من
 أمة الرسول المختار، وسلطنا سبيل الشيعة الأبرار، أن قوله «صلى الله عليه وآله»:
 ما خلق الله خلقاً أفضل مني إشارة إلى أفضليته «صلى الله عليه وآله» في مقام
 تعيينه الخلق، فإنه في النشأة الخلقية أول التعيينات وأقربها إلى الاسم الأعظم،
 إمام أئمة الأسماء

(١) عيون أخبار الرضا «عليه السلام»: ٢٣٧/١ - ٢٣٨.

(٢) السيد الإمام الخميني «رحمه الله».

والصفات؛ وإلا فهو بمقام ولايته الكلية العظمى، وبرزخيته الكبرى، والهيولوية الأولى، المعبر عنها بـ **«دنا فتدلى»** و**«الوجود الإنبساطي الإطلاقي»** و**«الوجه الدائم الباقي»** المستهلك فيه كل الوجودات والعيّنات، ويضمحل لديه جميع الرسوم والسمات، لانسبة بينه وبين شيء؛ لإحاطته القيومية بكل ضوء وفيء. فلا يستصح الأكرمية والأفضلية، ولا يتصور الأولية والآخريّة؛ بل هو الأوّل في عين الآخريّة؛ والآخر في عين الأوليّة؛ ظاهر بالوجه الذي هو باطن؛ وبالوجه الذي هو ظاهر كامن. كما قال : **{تَحَنُّ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ}**.

فسؤال الإمام عليّ «عليه السلام» للرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»: **فأنت**

أفضل أم جبرئيل؟

إعلم، أنّ هذا السؤال، وغيره من المقال، من مولانا، أمير المؤمنين وإمام أصحاب الكشف واليقين، عليه صلوات ربّ العالمين، لمصلحة كشف الحقائق بالنسبة إلى سائر الخلائق؛ وإلا فهو، عليه الصلاة والسلام، يستفيد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقائق العلوم وغيّبات السرائر، بمقامه العقلي وثأنه الغيبي، قبل الوصول إلى النشأة المثالية الخيالية، فضلا عن نزولها إلى الهيآت اللفظية والكلامية. فإنّ منزلته «عليه السلام» منه «صلى الله عليه وآله» بعد اتحاد نورهما بحسب الولاية الكلية المطلقة، منزلة اللطيفة العقلية، بل الروحية السريّة، من النفس الناطقة الإلهية؛ ومنزلة سائر الخلائق منه «صلى الله عليه وآله» منزلة سائر القوى الباطنة والظاهرة منها...

وقوله «صلى الله عليه وآله»: **والفضل بعدي لك وللائمة من بعدك.** إشارة إلى

ما ذكرنا من أنّ مرتبة وجوده «عليه السلام» ووجود سائر الأئمة «عليهم السلام» بالنسبة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مرتبة الروح من النفس الناطقة الإنسانية؛ ورتبة سائر الأنبياء والأولياء رتبة سائر القوى النازلة منه... ولذلك قال عليّ «عليه السلام»: **كُنْتُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ سِرًّا وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ جَهْرًا...**

وقوله «صلى الله عليه وآله»: **وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخَدَامَنَا وَخَدَامَ مُحِبِّينَا**. شاهد على ما ذكرنا من أن العالم بجميع أجزائه وجزئياته ، من القوى العالمة والعمالة، للولي الكامل. فبعض الملائكة من قواه العالمة كجبرئيل «عليه السلام» ومن في طبقتة؛ وبعضهم من العمالة، كعزرائيل ومن في درجته، وكالملائكة السماوية والأرضية المدبرة، وخدمة الملائكة لمحبيهم أيضاً بتصريفهم «عليهم السلام» كخدمة بعض الأجزاء الإنسانية لبعض بتصريف النفس.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: **وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ... إِلَى آخِرِهِ**. لـ «العرش» اطلاقات. والمراد، ههنا، جملة الخلق؛ أو الجسم المحيط. وحملته أربعة من الأملاك. وهي أرباب أنواع أربعة لا الحضرة العلمية. فإن حامل العلم نفسه «صلى الله عليه وآله» وشؤونه، كما ورد في الكافي الشريف عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: **حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالْعَرْشُ الْعِلْمُ ثَمَانِيَةٌ: أَرْبَعَةٌ مِنَّا ، وَأَرْبَعَةٌ مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ^(١)**.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: **لَوْلَا نَحْنُ ، مَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ... إِلَى آخِرِهِ**. لأنهم وسائط بين الحق والخلق ، وروابط بين الحضرة الوحدة المحضة والكثرة التفصيلية. وفي هذه الفقرة بيان وساطتهم بحسب أصل الوجود، وكونهم مظهر الرحمة الرحمانية التي هي مفيض أصل الوجود، بل بحسب مقام الولاية هم الرحمة الرحمانية، بل هم الاسم الأعظم الذي كان (الرحمن الرحيم) تابعين له^(٢).

أنظر، أيها الشيعي الموالي، إلى مقامات آل محمد صلوات الله عليهم، الذين رتبهم الله، عزّ شأنه بهذه الرتب، وشرقهم على الخلائق أجمعين ، ملائكة مقربين، وأنبياء مرسلين.

تمعن _فتح الله بصيرتك_ في قول الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، عندما يقول: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرَ مَلَائِكَتِهِ**

(١) الأصول من الكافي: ١/١٣٢، كتاب التوحيد باب العرش ح ٦.

(٢) مصباح الهداية للسيد الإمام الخميني «رحمه الله»: ٧٢ - ٨٠.

بالسجود لآدم تعظيماً وإكراماً لنا، وكان سجودهم لله عزّوجلّ عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه.

فهل يحقّ لأيّ شخص مهما كان أن يعترض على حكم الله واختياره؟!
فقول المولى صلوات الله عليه: أنا وجه الله، عين الحقيقة، فهم صلوات الله عليهم، وجه الله، ويد الله، وعين الله حقيقة. وهذا مصرّح به في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (١).

وقال تعالى في آية أخرى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين في الدعاء المعروف الذي علّمه كميل بن زياد «رضي الله عنه»: وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء.

أنظر، أيها السالك سبيل الحقّ، المقتفي أثر أوليائه الصادقين، صلوات الله عليهم، إلى لسان القرآن الصامت عندما يعبر في الآيتين المتقدمتين، وكذا أنظر إلى كلام القرآن الناطق صلوات الله عليه، في قوله الآنف الذكر فعندما يقول: وجهك الباقي بعد فناء كل شيء. ما هو المراد الحقيقي من «وجه الله»؟

فإنّ الله تعالى شأنه عن الأجسام ومجانستها، فلا يحده ولا يعده ولا يشابهه ولا يشاكله شيء. فإذا فهم البعض من وجه الله في الآية الشريفة مثلاً أنّ الله وجهاً ولكن هذا الوجه لا نفهمه، أو لا نحيط به، أو كما يعبر البعض: وجه بلا كيف، ويقولون: نعبر عنه مجازاً بثواب الله، أو قدرة الله، أو جمال

(١) الرحمن: ٢٧.

(٢) - القصص: ٨٨.

الله، أو كماله... فإنّ هذا أيضاً يؤول إلى التجسيم، بلحاظ أو بآخر، إنّما المراد الحقيقي من وجه الله لا يفهم منه هذه التصورات مطلقاً، وإنّما وجهه الحقيقي هم الأئمة صلوات الله عليهم، ولذا ورد عن صادق العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، أنّه قال _ عندما سأله رجل عن قول الله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (١) _:

يهلك كل شيء إلا وجهه الذي يؤتى منه، ونحن وجه الله الذي يؤتى منه (٢).

وعن سلام بن المستنير، قال: سألت أبا جعفر «عليه السلام» عن قول الله تعالى: قال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} نحن والله وجه الله الذي قال، ولن يهلك يوم القيامة من أتى الله بما أمر به من طاعتنا وموالاتنا ذلك الوجه الذي كل شيء هالك إلا وجهه، ليس منّا ميت يموت إلا خلفه عقبه منه إلى يوم القيامة (٣).

ونقل الشيخ البحراني «رحمه الله»، عن الشيخ الكليني «رحمه الله» بإسناده عن مروان بن الصباح قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»:

إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرفقة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدلّ عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبّد الله،

(١) القصص: ٨٨.

(٢) أورده الصفار في بصائر الدرجات: ٦٦.

(٣) بصائر الدرجات: ٦٥.

ولولا نحن ما عبد الله^(١).

إذن، عندما يقول المولى صلوات الله عليه: أنا والله وجه الله، أنا والله، أسد الله، أنا سيّد العرب، أنا كاشف الكرب، أنا الذي قيل في حقّه «لافتى إلاّ عليّ» أنا الذي قيل في شأنه «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» أنا ليث بني غالب، أنا عليّ بن أبي طالب. فهذا عين الحقيقة التي يدعمها القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ وذلك لأنّ كلّ أسرار الوجود والموجود مودعة في القرآن المجيد، وسرّ القرآن مودع في سورة الفاتحة، وسرّ الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم، وسرّ بسم الله الرحمن الرحيم مودع في النقطة، فلو لم تكن النقطة، وسرّ النقطة، ما قلتم: باسم الله، وما عرفتم الله، فبالنقطة تحركتم إلى باسم الله، وكلّ شيء قائم بالنقطة لأنها هي المنطلق، ولأنّها هي الأساس، وهذا معنى كلّ شيء قام بالباء، وما في الباء هو النقطة، والنقطة، كما يقول المولى أمير المؤمنين عليّ «عليه السلام»: «أنا النقطة التي تحت الباء»^(٢).

هذا هو مولانا وليّ الله الأعظم، المولى أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجلين صلوات الله عليه وعلى أولاده المعصومين، ما أحاط به علمه عزّ شأنه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بهم صلوات الله عليهم.

(١) البرهان: ١٠٣/٦.

(٢) تقدّم تخريجه.

البحث الخامس عشر

الإشراف العلوقة الفاطمية في هذه الليلة الرمضانية

بولادة الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام»

قال الإمام الحسن «عليه السلام»:

نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ الْأَوَّلُونَ، وَنَحْنُ الْأَمْرُونَ... الْآخِرُ
مِنَّا كَالأَوَّلِ، وَالأَوَّلُ مِنَّا كَالْآخِرِ.

قال الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام»:

نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ الْأَوَّلُونَ، وَنَحْنُ الْأَمْرُونَ، وَنَحْنُ النُّورُ، نُنُورُ
الرُّوحَانِيِّينَ بِنُورِ اللَّهِ، وَنُرْوِحَهُمْ بِرُوحِهِ، فِينَا مَسْكَنُهُ، وَإِينَا مَعْدَنُهُ، الْآخِرُ
مِنَّا كَالأَوَّلِ، وَالأَوَّلُ مِنَّا كَالْآخِرِ.

نقل محب الدين الطبري «رحمه الله» في الدلائل، عن سفيان، عن أبيه، عن
الأعمش، عن أبي بريدة، عن محمد بن حجارة، قال: رأيت الحسن بن
علي «عليه السلام» وقد مرّت به صريمة من الظباء، فصاح بهنّ، فأجابته كلّها
بالتلبية، حتّى أنت بين يديه.

فقلنا: يابن رسول الله، هذا وحش، فأرنا آية من أمر السماء، فأوماً نحو
السماء، ففتحت الأبواب، ونزل نور حتّى أحاط بدور المدينة، وتزلزلت الدور
حتّى كادت أن تخرب، فقلنا: يابن رسول الله، ردّها.

فقال: نحن الآخرون، ونحن الأوّلون، ونحن الأمرون، ونحن النور
نُور الرُّوحَانِيِّينَ بِنُورِ اللَّهِ، وَنُرْوِحَهُمْ بِرُوحِهِ، فِينَا مَسْكَنُهُ وَإِينَا مَعْدَنُهُ،
الْآخِرُ مِنَّا كَالأَوَّلِ، وَالأَوَّلُ مِنَّا كَالْآخِرِ^(١).

إعلم، هداك الله إلى جبروته، وأراك بلطفه طرق ملكوته، ببركة ولاية
الميامين صلوات الله عليهم أجمعين. إنّ في هذه الليلة أشرق

(١) الدلائل: ١٦٨ ح ٨٢، عنه مدينة المعاجز: ٢٣٦/٣ ح ٨٥٧، إثبات الهداة: ٥٦٢/٢

النور العلوي، وذلك بظهور النور الحسني في عوالم الإمكان، تلك الإشرافة الفاطمية في هذه الليلة الرمضانية، ثبتنا الله وإياكم على القول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، بالعترة الطيبة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

في ليلة ميلاد المجتبي الإمام الحسن بن عليّ عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات، ينبغي أن يكون المجلس ذا بهجة وسرور، كيف لا، وقد حلّ السرور والفرح في قلب المصطفى والمرضى والبتول صلوات الله عليهم أجمعين؟

فلنتحدّث عن بعض شؤونات الإمام المجتبي «عليه السلام» وقد اقتطفت من ثمار شجرة طوبى، ومن أنوارها مجموعة من أنوار حياة مولانا المجتبي «صلوات الله وسلامه عليه».

أورد الشيخ الطوسي «رحمه الله» في مصباح الأنوار، عن أنس بن مالك قال: صلّى بنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بعض الأيام صلاة الفجر، ثمّ أقبل علينا بوجهه الكريم، فقلت له: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسر لنا قول الله عزّوجلّ: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. (١)

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أما النبيون فأنا، وأما الصديقون فأخي عليّ «عليه السلام» وأما الشهداء فعمي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين.

قال: وكان العباس حاضراً، فوثب فجلس بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: ألسنا أنا وأنت وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة؟!«

قال: وكيف ذلك يا عمّ؟

قال العباس: لأنك تعرّف بعليّ وفاطمة والحسن والحسين دوننا. فتبسّم النبيّ «صلى الله عليه وآله» وقال: أمّا قولك يا عمّ، ألسنا من نبيّة واحدة فصدقت، ولكن يا عمّ، إنّ الله تعالى خلقتي وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الله تعالى آدم، حيث لاسماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا جنة ولا نار، ولا شمس ولا قمر.

قال العباس: وكيف كان بدؤ خلقكم يا رسول الله؟

فقال: يا عمّ، لما أراد الله تعالى أن يخلقتنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلم بكلمة فخلق منها روحاً، فمزج النور بالروح فخلقتي وأخي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام» فكانا نسبّه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس.

فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري خير من نور العرش.

ثمّ فتق نور أخي عليّ بن أبي طالب «عليهم السلام» فخلق منه نور الملائكة، فنور عليّ أفضل من الملائكة.

ثمّ فتق نور ابنتي فاطمة، فخلق منه نور السماوات والأرض، فنور ابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض.

ثمّ فتق نور ولدي الحسن، فخلق منه الشمس والقمر، فنور ولدي الحسن أفضل من الشمس والقمر.

ثمّ فتق نور ولدي الحسين، فخلق منه الجنة والحدور العين، فنور ولدي الحسين أفضل من الجنة والحدور العين.

ثمّ أمر الله الظلمات أن تمرّ على السماوات، فأظلمت على

الملائكة، فضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس، وقالت: إلهنا وسيدنا! منذ خلقتنا وعرفتنا هذه الأشباح لم نر بؤساً، فبحق هذه الأشباح إلا كشفت عنا هذه الظلمة، فأخرج الله من نور ابنتي فاطمة قناديل معلقة في بطنان العرش، فأزهرت السماوات والأرض، ثم أشرقت بنورها فلأجل ذلك سميت الزهراء.

فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا! لمن هذا النور الزاهر، الذي قد أزهرت منه السماوات والأرض؟

فأوحى الله إليهم: هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة، ابنة حبيبي، وزوجة وليي، وأخي نبوي، وأبي حججي على عبادي، أشهدكم ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم لهذه المرأة وشيعتها، ثم لمحبيها إلى يوم القيامة.

فلما سمع العباس من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، وثب قائماً وقيل بين عيني علي «عليه السلام» وقال: والله، يا علي، أنت الحجّة البالغة لمن آمن بالله تعالى واليوم الآخر^(١).

في حياة الإمام الحسن «عليه السلام» أسرار ربّانية وأبحاث نورانية نتطرق إلى بعضها بايجاز، نبدأ أولاً في معنى الحسن.

ماذا تعني هذه التسمية؟ وهل كان هذا الاسم مشهوراً في العرب أم لا؟ نقول: لم يسم أحد من العرب والعجم بهذا الاسم على الإطلاق، المعروف عند العرب لفظة الحسن يفتح الحاء وكسر السين أو الحسّن بضم الحاء وسكون السين أما كلمة أو لفظ أو اسم «الحسن» بالفتح

(١) مصباح الأنوار: ٦٩ (مخطوط)، عنه تأويل الآيات: ١٤٣، البرهان: ٢٧٥/٢ (مورد الآية) مدينة المعاجز: ٢٢١/٣ معاجز إمامنا الحسن «عليه السلام» حلية الأبرار: ٩٧/٣، ح ١.

فإنّه لم يسمّ به أحد على الإطلاق.

نقل ابن حجر في صواعقه، عن عمران بن سليمان، قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما سمّيت العرب فيهما في الجاهلية^(١). وروي عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: إنّ الله حبّب اسمي الحسن والحسين عن الخلق، حتى سمّي بهما النبيّ «صلى الله عليه وآله» ابنيه: الحسن والحسين، قال: قلت فالذين في اليمن؟ قال: هما: حسنٌ يفتح الحاء وسكون السين_ و حسنٌ يفتح الحاء وكسر السين_ ولا يعرف قبلهما إلا اسم رملة في بلاد ضبّة، وعندها قُتل بسطام بن قيس الشيباني^(٢). أنظر وتفكّر، أيدك الله تعالى ونور بصرك وبصيرتك، لماذا يحجب الله تعالى هذا الاسم عن الخلق؟!...

فالحسن اسم مشتق من الإحسان، وهو اسم من أسماء الله عزّوجلّ، فبالإحسان وبالحسن قامت السماوات والأرضون، ولهذا اشتقّ هذا اللفظ، وهذا الاسم لمن هو العلامة والدليل على الله، وهو الذات المسماة باسم الله الحسن.

فسمّي بالحسن، وهو اسم الله، وقد سمّاه الله به فحسب، ولم يسمّه به أحد حتّى رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث قال: «ما كنت لأسبق ربّي بتسميته».

نقل الصدوق «رحمه الله» في الأمالي، بإسناده عن الإمام زين العابدين «عليه السلام» أنّه قال:

لما ولدت فاطمة الحسن «عليه السلام» قالت لعليّ «عليه السلام»: سمّه، فقال:

ما كنت

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٢.

(٢) أورده ابن الأثير في أسد الغابة: ٩/٢، وأورده كذلك الطريحي في مجمع البحرين: ٤٠٨/١ مادة حسن.

لأسبق باسمه رسول الله، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء؟! ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلغف فيها، ثم قال لعلي «عليه السلام»: هل سميتَه؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وما كنت لأسبق باسمه ربي عزوجل. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل، أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط فاقراه السلام، وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل «عليه السلام» فهناه من الله عزوجل، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر، قال: لسانى عربى، قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن^(١) فالتسمية ملكوتية نورانية، من ذي العرش، وهي من أسماء الله تعالى، وهذه قضية لا يمكن أن تدرك كاملة بالعقول، أو أن تصفها على حقيقتها الألسن مهما كانت فصيحة وبليغة وعارفة، وفي الحديث أنه «صلى الله عليه وآله» قال للحسن والحسين «عليهما السلام»: «إنكما من ريحان الله»^(٢).

ونقل ابن الصباغ المالكي، عن عمار بن ياسر، أنه قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول _للحسن والحسين «عليهما السلام»_: هما ريحانتاي من الدنيا^(٣)

ولمّا سأله قوم: أتحبهما يا رسول الله؟

(١) الأمالى: ١٩٧، عنه منتهى الآمال للشيخ عباس القمي «رحمه الله»: ٤١٩/١، علل الشرائع: ١٣٧ ح ٥، عنه الشيخ المجلسي في بحار الأنوار: ٢٨١/٤٣.
(٢) أورده المجلسي «رحمه الله» في البحار: ٢٨١/٤٣ ضمن ح ٤٩.
(٣) الفصول المهمة: ١٥٤.

قال «صلى الله عليه وآله»: «مالي لا أحبّ ريحاتي من الدنيا»^(١).

ترى فما معنى: من ريحان الله؟

قال ابن منظور في لسان العرب: الريحان يطلق على الرحمة والرزق والراحة؛ وبالرزق سمّي الولد ريحاناً، وفي الحديث: إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعليّ «عليه السلام»: أوصيك بريحاتي خيراً، قيل أن ينهدّ ركنك، فلما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: هذا أحد الركنين، فلما ماتت فاطمة، قال: هذا الركن الآخر. وأراد بريحانتيه الحسن والحسين رضي الله عنهما^(٢).

قال الشريف الرضي «رحمه الله»: شبّه بالريحان لأنّ الولد يشمّ ويضمّ كما يشمّ الريحان، وأصل الريحان مأخوذ من الشيء الذي يتروّح إليه، ويتنفس من الكرب به^(٣).

فمرّة يكون الريحان من ريحان الدنيا، ومرّة يكون الريحان من ريحان الأنبياء، من ريحان الأوصياء، من ريحان الملائكة الكروبين، وما إلى ذلك من مقامات عليا، إلاّ أنّه ليس كذلك في هذا المقام، وإنّما هو من ريحان الله عزّ شأنه.

فما معنى الحسن من ريحان الله، والإضافة هنا إلى الله لا إلى شيء ممّا سواه «ريحان الله» والله عزّ وجلّ ليس له ريحان بالمعنى الذي نفهمه من معاني الحسّ واللمس وما أشبهه؟

المعنى هو: إنّ الله ما ينفّس كرباً من كرب الدنيا العظام، لا على أيوب النبي «عليه السلام» ولا على غيره من العظام إلاّ بريحانته المجتبي الحسن وأخيه الحسين «صلى الله عليه وآله».

(١) أورده المجلسي «رحمه الله» في البحار: ٢٨١/٤٣ ضمن ح ٤٩.

(٢) لسان العرب: ٣٥٨/٥ - مادة روح - .

(٣) أخرجه عنه المجلسي «رحمه الله» في البحار: ٢٨٢/٤٣ ضمن ح ٤٩.

ريحان الله، أي ما ينفّس الله به الكرب العظام عن العظام من الأولياء، ولذلك لمّا بكى أيوب «عليه السلام» وطال ابتلاؤه وبلاؤه، كان ورده ذكر الخمسة أهل الكساء صلوات الله عليهم، حيث كان يقول: «أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين» عليهم السلام» لأنّهم ريحان الله، أي بهم تنفّس الكرب العظام عن وجه الأولياء الكرام.

في الخبر أنّ الإمام الحسن «عليه السلام» يأتي، والرسول «صلى الله عليه وآله» فوق المنبر يخطب، وإذا بالرسول يقطع الخطاب، وينفلت، ويهوي بنفسه؛ وذلك على أثر صوت سمعه «بكاء الحسن والحسين» عليهما السلام» ذهب إليهما واعتقهما وأتى بهما، وقال:

«قمت إليهما وما معي عقلي»^(١)!! ما معنى: وما معي عقلي؟

ليتأمل كل واحد منا معنى هذا الكلام، هل يمكن أن يفقد المصطفى «صلى الله عليه وآله» عقله في أيّ حال من الأحوال؟! فالرسول «صلى الله عليه وآله» حسب مبدأ العصمة كامل ومنزه في جميع شؤونه وأحواله ففي حالة الرخاء والشدة هو هو، في الرضا والغضب هو هو، في السرور والغم هو هو، في الليل والنهار هو هو، إذا حمي الوطيس، أو ألقت الحرب أوزارها هو هو، مع ذلك يقول: نظرت إليهما، سمعت صوتيهما، قمت إليهما وما معي عقلي!!

إذا قلنا: هو فقدان العقل، فنستجير بالله من ذلك!

إذن، ما هو تفسيرها؟

تفسيرها هو: إنّ كلّ قوى التكوين وأجزائه بما فيها العقل، القائد لهذه العوالم التكوينية والتشريعية، كلّها توقفت على أثر بكاء الحسن بن علي «صلى الله عليه وآله» والأمر سهل، الله أوقف الشمس لأمير المؤمنين «عليه السلام» وعطل التكوين كما نقله أغلب أهل السير والتواريخ ونقطة الأحاديث، بل أنّ التكوين يتوقف

(١) أورده الشيخ القمي «رحمه الله» في منتهى الآمال: ٤٢٢/١ عن أبي هريرة.

كرامة لأحد موالى أهل البيت صلوات الله عليهم.

نقل الحضرمي في رشفة الصادي، قصة ردّ الشمس لمادح أهل البيت «عليهم السلام» ، حيث قال: إنّ بعض الوعاظ أطنب في مدح آل البيت الشريف، وذكر فضائلهم، حتى كادت الشمس أن تغرب، فالتفت إلى الشمس، وقال مخاطباً لها:

لا تغربي يا شمس حتى ينقضي مدحي لآل محمد ولنسله
واثني عنانك ان أردت ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لفرعه ولنجله

فطلعت الشمس وحصل في ذلك المجلس أنس كثير وسرور عظيم^(١) إذن، إياك! ثمّ إياك! أن تشكك في مقامات آل محمد صلوات الله عليهم، كيف يجوز للإنسان كائن من كان أن يشكك في مقاماتهم «عليهم السلام»؟! لأن أصل الوجود لأجلهم ولهم. وأعجب! لمن يشكك في هذا، ويجوز أو على الأقل يسكت عمّا ورد في كتب العامّة من كرامات خياليّة ينسبونها لأفراد عاديين، لا يعادل جمعهم تراب أقدام الموالى عليّاً وآل عليّ صلوات الله عليهم؟!!

أنظر في جامع كرامات الأولياء للنبهاني، كيف ينسب الكرامات لأشخاص عاديين، حيث قال:

وحكي وقوف الشمس له _يعني إسماعيل الحضرمي_

(١) رشفة الصادي: ٢٢٠ وأورد هذه القصة أيضاً الزرندي في جواهر العقدين: ٤٧٥ ذيل الكتاب، والشبلنجي في نور الأبصار: ٢٣٣ ط. قم ، مناقب الحسين، وابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٥٣ - ٥٤، ذيل الباب الثاني. وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٢٩، ط. مصر، الفصل الرابع من الباب التاسع.

وممّا حكى من كراماته واستفاض، أنّه قال لخادمه وهو في سفر: تقول للشمس تقف حتى نصل إلى المنزل! وكان في مكان بعيد، وقد قرب غروبها، فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل قف! فوقفت حتى بلغ مكانه، ثمّ قال للخادم: ما تطلق ذلك المحبوس! فأمرها الخادم بالغروب، فغربت، وأظلم الليل في الحال^(١).

إذا كان هذا مدوّناً لإسماعيل الحضرمي، أفلا تقف عقول الخلائق، ويعبّر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «**ما معي عقلي**»! _ ليس المراد عقل النبي _ والعياذ بالله _ وإنما العقول المضافة إليه _ لصرخة الحسن «عليه السلام» فإذا كان العرش يهتزّ ويقف من فيه ومن يطوف حوله لصرخة يتيم، فكيف بصرخة ريحانة الله المجتبي صلوات الله عليه؟!!

وتعبير الرسول «صلى الله عليه وآله» هذا يريد أن يبين مدى عظمة الحسن المجتبي «عليه السلام» وحرمته، كيف لا، وهو وأخوه الحسين صلوات الله عليهما شنفا العرش، كما قال «صلى الله عليه وآله»:

«**إنّ الحسن والحسين شنفا العرش**»^(٢) الشنف بمعنى: الحليّ الذي تضعه المرأة في أعلى أذنيها^(٣)، فالحسن والحسين حليّ العرش، يأتیان يوم القيامة، حيث يقف الخلائق أنبياء، أولياء، أوصياء، وأمّ أولئك الأنبياء، ومن الخلق ما لا يعدّ ولا يحصى، وإذا بالعرش يهبط، ويزين عرش الله تعالى على اليمين الحسن، وعلى اليسار الحسين، وبينهما منبر من نور طوله مئة ميل يقفان عليه، لا يزين العرش إلاّ بهما.

من عجيب ما صادفت أثناء مطالعاتي، لأحوال الإمام الحسن «عليه السلام»

كلمة

(١) أنظر جامع كرامات الأولياء: ٤٧٩/١ (ط. دار الكتب العلمية. بيروت).

(٢) أورده الشيخ عباس القمي «رحمه الله» في منتهى الآمال: ٤٢٢/١.

(٣) أنظر لسان العرب: ٢١٤/٧ _ مادة شنف _.

للزمخشري جاد الله، في تفسير سورة المباهلة يقول:
لماذا قدّم الأبناء على الأنفس في تفسير الآية {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ} (١)؟
يقول: الأبناء مقدّمون على الأنفس ليؤدّن بأنهم مقدّمون على الأنفس،
مفدون بها، وفيه دليل قوي لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء
محمد وآله آل العباء (٢). هذا المصدر موجود في المكتبات، المفروض أنّ
الإنسان عندما يكتب يعرف حدود ما كتب، لأنه مسؤول عن كل حركة
وسكنة، قال تعالى: {وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} (٣) فالزمخشري وغيره كابن
حجر والرازي والنيسابوري وغيرهم، عندما يقرّون ويعترفون بفضل
محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فإنّ ذلك من باب إنّ الله تعالى أطلق
لسانهم ببعض الحقّ، حجّة الله تعالى على خلقه، تمنع هداك الله للطريق
المستبين في الحديث المروي عن صادق العترة الطاهرة صلوات الله عليهم
أجمعين، الذي رواه الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف، تنكشف لك
الحقيقة جليّة ناصعة، حيث قال: عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير، قال:
قال أبو عبد الله «عليه السلام»: **يا أبا محمد، إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله،
وعلماً من علم الله، والله، ما يحتمله ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا مؤمن
امتحن الله قلبه للإيمان، والله، ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك
أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا الله
بتبليغه، فبلّغنا عن الله عزّ وجلّ ما أمرنا بتبليغه، فلم**

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) راجع تفسير الكشاف للزمخشري _مورد الآية: ٦١ من سورة آل عمران_.

(٣) الصافات: ٢٤.

نجدله موضعاً، ولا أهلاً، ولا حمالةً يحتملونه، حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته «عليهم السلام» ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته، التي صنع منها محمداً وذريته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلو لا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله، ما احتملوه، ثم قال: إن الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبليغهم كما بلغناهم واشمأزوا من ذلك، ونفرت قلوبهم، وردوه علينا ولم يحتملوه، وكذبوا به، وقالوا ساحر كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنسأهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به وقلوبهم منكورة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه، وأهل طاعته، ولو لا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا ممن أمر الله بالكف عنه، واستروا ممن أمر الله بالستر والكتمان عنه، قال: ثم رفع يده وبكى، وقال: اللهم! إن هؤلاء لشرذمة قليلون، فاجعل حياتنا محياهم ومماتنا مماتهم ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم، فاتك إن أفجعنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً^(١).

ونقل: إن أباحنيفة كان جالساً عند الإمام الصادق «عليه السلام» فسأله: أخبرني جعلت فداك! عن قول الله عز وجل: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} ^(٢)

قال: فما هو عندك يا أبا حنيفة؟ قال: الأمن في السرب، وصحة

(١) الكافي: ٤٠٢/١ كتاب الحجّة ح.٥.

(٢) التكاثر: ٨.

البدن، والقوت الحاضر. فقال : ياأبا حنيفة، لئن وقَّفك الله وأوقفك يوم القيامة حتى يسألك عن كلِّ أكلة أكلتها، وشربة شربتها ليطولنَّ وقوفك! قال: فما النِّعيم جعلت فداك؟ قال : النِّعيم نحن، الذين أنقذ الله الناس بنا من الضلالة، وبصرهم بنا من العمى، وعلمهم بنا من الجهل.^(١)

الله عظم قدر آل محمدٍ بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين، حيث قال لخلقه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}^(٢). والصلاة بدون ذكر آل محمد صلوات الله عليهم، صلاة منهي عنها، وقد عبّر عنها بلسان الرواية بـ «الصلاة البتراء».

نقل ابن حجر في صواعقه ، قال: صح عن كعب بن عجرة، قال : لما نزلت هذه الآية، قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك. فكيف نصلي عليك؟

فقال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد. إلى آخره فسؤالهم والكلام لابن حجر بعد نزول الآية، واجابتهم باللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد إلى آخره دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته، وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله، عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر. فلما أجيبوا به دلَّ على أن الصلاة عليهم من جملة الأمور به، وأنه صلى الله عليه وسلم أقامهم في ذلك مقام نفسه ؛ لأنَّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم، ومن ثمَّ لما أدخل من مر في الكساء، قال : اللهم إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم.

(١) أورده الاسترآبادي في تأويل الآيات الظاهرة: ٨١٧_مورد الآية_ .
(٢) الأحزاب: ٥٦.

وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صَلَّى عليهم معه، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه، ويروى : لا تصلوا علي الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد.^(١)

أنظر أيها الموالي، أيها الشيعي الغيور _إلى ما نقل لك في هذا الحديث، ولم يتفرد بنقله ابن حجر، فهم_ أي أغلب علماء العامة _ يروون في كتبهم ومصنفاتهم أن الصلاة على محمد «صلى الله عليه وآله» بدون ذكر آله صلوات الله عليهم، منهي عنها ومع هذا فهم عندما يذكرون محمداً «صلى الله عليه وآله» ويصلون عليه يقولون: صلى الله عليه وسلم فيبترون آل محمد صلوات الله عليهم أنظر أيها المنصف الواعي إلى الكلام الذي نقله ابن حجر وتصريحه بالنهي عن الصلاة البتراء على لسان سيد المرسلين «صلى الله عليه وآله» ومع هذا فإن ابن حجر عندما يصلي على الرسول «صلى الله عليه وآله» يصلي الصلاة البتراء، أليس هذا عناداً لله تعالى ولرسوله «صلى الله عليه وآله»؟!...

هذا غيظ من فيض شؤونات مولانا الإمام الحسن «عليه السلام» فكرامات ومعجزات وأسرار مولانا الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام» لا يمكن أن يحيط بها عقل أو يدونها نقل، فهو صلوات الله عليه حبيب المصطفى «صلى الله عليه وآله» وبهجة قلب المرتضى والبتول صلوات الله عليهم، وهو سيد شباب أهل الجنة...، ولولاه لم يخلق الله الخلق، [لولا لما خلق الله الخلق] هذا ليس قولِي أو قولك وإنما هذا قول سيد الكائنات وفخر الموجودات «صلى الله عليه وآله» ولكن مع هذا كله أنظر إلى أمة محمد «صلى الله عليه وآله» كيف تعاملت مع هذا السبط، مع ريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فبعد أن جرّته الغصّة بعد الغصّة في حياته، ودست أيدي الإثم

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٦.

والغدر والعدوان السمّ له ، وأخذ يتلفظ كبده الشريف، ورحل عن هذه الدنيا، وعند رحيله لم تسمح له أن يدفن قرب جدّه رسول الله «صلى الله عليه وآله». نقل الشيخ المفيد «رحمه الله» في الإرشاد، عن عبد الله بن إبراهيم، عن زياد المخارقي، قال: لما حضرت الحسن «عليه السلام» الوفاة استدعى الحسين بن علي «عليهما السلام» فقال: يا أخي، إني مفارقك ولاحق بربي جلّ وعزّ، وقد سقيت السمّ، ورميت بكبدي في الطست، وإني لعارف بمن سقاني السمّ، ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله تعالى، فبحقّي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله عزّ ذكره فيّ، فإذا قضيت فغمّضني وغسّلي وكفّني واحمّلي على سريري إلى قبر جدّي رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأجدّد به عهداً، ثمّ ردتني إلى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك.

وستعلم يا ابن أمّ، أنّ القوم يظنون أنّكم تريدون دفني عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيجلبون في منعكم عن ذلك، وبالله أقسم عليك، أن لا تهريق في أمري محجمة دم.

ثمّ وصّى «عليه السلام» إليه بأهله وولده وتركاته، وما كان وصّى به إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» حين استخلفه وأهله لمقامه، ودلّ شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده. فلما مضى «عليه السلام» لسبيله غسله الحسين «عليه السلام» وكفّنه، وحمله على سريره، ولم يشكّ مروان ومن معه من بني أمية أنّهم سيدفنوناه عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتجمعوا له ولبسوا السلاح فلما توجه به الحسين بن علي «صلى الله عليه وآله» إلى قبر جدّه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليجدّد به عهداً، أقبلوا إليهم في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب وجعل مروان يقول:

يا ربّ هيجا هي خير من دعة.

أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن مع النبي؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف. وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية، فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت، فإننا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكننا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته، ثم نردّه إلى جدّته فاطمة «عليها السلام» فندفنه عندها بوصيّة بذلك، ولو كان وصّى بدفنه مع النبي «صلى الله عليه وآله» لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك، لكنّه «عليه السلام» كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه.

ثمّ أقبل على عائشة فقال لها: **وا سواتاه! يوماً على بغل ويوماً على جمل، تريدان أن تطفئي نور الله، وتقاتلين أولياء الله، ارجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين، والله تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين.**

وقال الحسين «عليه السلام»: والله، لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء، وأن لا أهرق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا. ومضوا بالحسن «عليه السلام» فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف رضي الله عنها، وأسكنها جنّات النعيم.^(١)
لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

(١) الإرشاد: ١٧/٢ - ١٩، وقد ورد نحو هذا الخبر في كتب الخاصّة والعامّة أنظر: دلائل الإمامة للطبري: ٦١، مقاتل الطالبين للأصفهاني: ٧٤، شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦ - ٤٩ و ٥١، الخرائج والجرائح للراوندي: ٢٤٢/١، بحار الأنوار للمجلسي: ١٥٦/٤٤ وغيرهم.

البحث السادس عشر

أسرار معجز عن بيانها الجنان، ويكل عن ذكرها اللسان

في حياة الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام»

من خلال سؤال المولى أمير المؤمنين لابنه الإمام الحسن «عليه السلام»:

يَا بُنَيَّ ، مَا السَّدَادُ؟ فَقَالَ: يَا أَبَتَ ، السَّدَادُ دَفْعُ الْمُنْكَرِ
بِالْمَعْرُوفِ... قَالَ: فَمَا الْغِنَى؟ قَالَ: رِضَا النَّفْسِ بِمَا قَسَمَ
اللَّهُ تَعَالَى لَهَا وَإِنْ قَلَّ...

سَأَلَ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ابْنَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فَقَالَ:
يَا بُنَيَّ، مَا السَّدَادُ؟ فَقَالَ: يَا أَبَتَ، السَّدَادُ دَفْعُ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ،
وَقَالَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: مَا السَّرْفُ؟ قَالَ: إِصْطِنَاعُ الْعَشِيرَةِ، وَحَمَلَةُ الْجَرِيرَةِ.
وَقَالَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: فَمَا السَّمَّاحُ؟ قَالَ: الْبَدْلُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ. قَالَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»:
فَمَا اللُّؤْمُ؟ قَالَ: إِحْرَازُ الْمَرْءِ مَالَهُ وَبِذْلُهُ عَرَضَهُ. قَالَ: فَمَا الْجُبْنُ؟ قَالَ:
الْجُرْءُ عَلَى الصَّدِيقِ وَالنُّكُولُ عَلَى الْعَدُوِّ. قَالَ: فَمَا الْغِنَى؟ قَالَ: رِضَا النَّفْسِ
بِمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا وَإِنْ قَلَّ. قَالَ: فَمَا الْحَلْمُ؟ قَالَ: كَظْمُ الْغَيْظِ وَمَلَكَ
النَّفْسِ. قَالَ: فَمَا الْمَنَعَةُ؟ قَالَ: شِدَّةُ الْبَأْسِ وَمُنَازَعَةُ أَشَدِّ النَّاسِ. قَالَ: فَمَا
الذُّلُّ؟ قَالَ: الْفِرْعُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ. قَالَ: فَمَا الْكُفَّةُ؟ قَالَ: كَلَامُكَ فِيمَا لَا يَعْتَبُكَ .
قَالَ: فَمَا الْمَجْدُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْطِيَ فِي الْعِزْمِ وَتَعْفُو فِي الْجُرْمِ. قَالَ: فَمَا
السُّودْدُ؟ قَالَ: إِتْيَانُ الْجَمِيلِ وَتَرْكُ الْقَبِيحِ. قَالَ: فَمَا السَّقَةُ؟ قَالَ: إِتْبَاعُ الدُّنَاةِ
وَصُحْبَةُ الْعَوَاةِ. قَالَ: فَمَا الْغَفْلَةُ؟ قَالَ: تَرْكُ الْمَسْجِدِ وَطَاعَةُ الْمُفْسِدِ (١)

الحمد لله حمداً نسعد به في السعداء، ونصير به في زمرة الشهداء،
والصلاة والسلام على النبي محمد وآله الأولياء، صلاة تامّة تشحن الهواء،
وتملأ الأرض والسماء. واللجنة الدائمة المؤتلفة غير المختلطة على أعدائهم

(١) أورده ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ١٥٩.

الأشقياء، لعناً بلا عدّ ولا إحصاء ولا حدّ.

بحثنا لهذا اليوم _أخوتي الموالين_ هو إستمرار لبحث سرّ الدوحة النبويّة ، والشجرة العلويّة، والإشراقّة الفاطميّة، مولانا ومقتدانا الإمام الحسن المجتبي صلوات الله عليه.

فيا شيعة المولى، صلوات الله عليه، أعيروني سمعكم، وتوجهوا إلى ما أقول بكلّ ما تملكون من حواس، واستعينوا بالله عزّ شأنه، ببركة محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم، فسوف ترون ربّكم حقيقة، ولا يلتبس الأمر، فإنّ حقيقة الرؤية إنّما هي رؤية وجه الله في العالمين المتمثل بولي الله المطلق وآل بيته الميامين صلوات الله عليهم، ما أحاط به علمه عزّ شأنه.

قال تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} (١).

في كلّ ربوع هذه الدنيا، في كلّ أصقاعها ونواحيها وأكنافها، في أطرافها وشقوقها، في علوّها ودنوّها، في أعاليها وأسافلها، أسرار سابلعكم عنها قدر المستطاع إن شاء الله، وببركة ذكر آل الله صلوات الله عليهم.

الاسم: الحسن، وهو كما بيّنا في البحث السابق اسم مختص بالإمام صلوات الله عليه، ولم يشاركه أحد غيره ، وأنّ التسمية سمّاه بها ذو الجلال والإكرام عزّ شأنه، والزمان: رمضان شهر الله ، فما هو وجه الارتباط بين الاسمين؟

الحسن: اسم من أسماء الله، كما نصّ على ذلك الغوّاص في البحار الأنوارية بأنّ الحسن: اسم الله، ورمضان: اسم الله، فارتبط الاسم مع الموقع ليولد منهما ولادة نورانية علويّة فاطميّة وهي الولادة الحسنيّة.

إنّ كلّ من ارتبط بالاسم الإلهي، وبهذا الشهر الربّاني الذي يعني فيما

يعني أنّ الرمضانية: هي عبارة عن رمض الذنوب ونسفها، ومحوها، ولا يمكن نسف هذه الذنوب ومحوها محواً تاماً، إلا ببركة ميلاد مولانا اسم الله «الحسن» عليه السلام؛ لأنّ هذا الاسم يرمض الذنوب رمضاً، وينسفها نسفاً فتشكّل من هذين الاسمين الإلهيين _الحسن ورمضان_ سرّ الولاية العظمى والمحجّة الكبرى ببركة مولانا الإمام الحسن صلوات الله عليه.

أخي الموالي، أثار الله طريقك، وجعلنا وإياكم، والخلق أجمعين من المتمسكين بحبل الله المتين، حبل الولاية المبين، ببركة السرّ العلويّ المستودع في العالمين، مولانا الإمام المجتبي صلوات الله عليه، ففي هذا البحث نحاول أن ننقل لكم سرّاً حسنيّاً يظهره الله تعالى على لسان معاوية اللعين، ففيه إن شاء الله تعالى تُشرق وجوه الموالين، وتتدحر حصون المعاندين بفضل سبط سيّد المرسلين «صلى الله عليه وآله» وابن أميرالموحدين «عليه السلام» مولانا معزّ المؤمنين الإمام الحسن المجتبي صلوات الله عليه.

ينقل الزبير بن بكار _وهو من المعاندين_ في كتابه المفخرات، محاولة جرت بين إمامنا الحسن صلوات الله عليه، ومعاوية اللعين، وبعض جلاوزته المجرمين ، بيّت لها معاوية وجلاوزته لكي يتفكها بالطعن بالإمام الحسن وأبيه صلوات الله عليهما، وخيلت لهم أنفسهم المريضة، وزين لهم سيّدهم الشيطان أنّهم إن أحضروه أفضحوه وكسروا حجّته، ولكن انبرى سبط المصطفى ونجل المرتضى صلوات الله عليهم، وحولّ نهارهم ليلاً، وانقلب مكرهم وسحرهم عليهم {وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (١)

حيث قال: اجتمع عند معاوية، عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة ابن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي «صلى الله عليه وآله» قوارص^(١)، وبلغه عنهم مثل ذلك. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصدق، وأمر فأطيع وخفقت له النعال، والله، أن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوعنا. قال معاوية: فما تريدون؟ قالوا: ابعث إليه فليحضر لنسبه ونسب أباه، ونعيه ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان، ونقره بذلك ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك. قال معاوية: إنني لا أرى ذلك ولا أفعله. قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن. فقال: ويحكم! لا تفعلوا فوالله، ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفت مقامه وعييه لي، قالوا: ابعث إليه على كل حال. قال: إن بعثت إليه لأنصفه منكم. فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا، أو يربي قوله على قولنا؟ قال معاوية: أما إنني إن بعثت إليه لأمرنه أن يتكلم بلسانه كله. قال: مره بذلك. قال: أما إذا عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقدفوه بحجر تقولون له إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله. فبعث إليه معاوية، فجاءه رسوله، فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك، قال: من عنده؟ فسماهم: فقال الحسن «عليه السلام»: ما لهم خرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون؛ ثم قال: يا جارية، ابغيني ثيابي، اللهم! إنني أعوذ بك من شرورهم، وأدراك من فجورهم، واستعين

(١) القوارص: الكلمات المؤنديات. لسان العرب: ١٠٩/١١ - مادة قرص - .

بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت، وأنتى شئت، بحول منك وقوة يا أرحم

الراحمين. ثم قال: فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه، وقد ارتاد القوم فخطرُوا خطران الفحول بغياً في أنفسهم وعلواً، ثم قال: يا أبا محمد، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني. فقال الحسن «عليه السلام»: سبحان الله! الدار دارك؛ والإذن فيها إليك، والله، إن كنت أحببتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على أمرك إني لأستحيي لك من الضعف، فأيهما تقر وأيهما تنكر؟ أما إني لو علمت بمكانهم لجئت معي بمثلهم من بني عبدالمطلب، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم، إن وليي الله وهو يتولّى الصالحين.

فقال معاوية: يا هذا، إني كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإن لك منهم النصف ومني، وإنما دعونك لنقرر أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن أباك قتله. فاستمع منهم ثم أجبه، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسان. فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم ذكر علياً «عليه السلام» فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته، وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرهاً، وشارك في دم عمر، وقتل عثمان ظلماً وادعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيره بها، وأضاف إليه مساوئ، وقال: إنكم يا بني عبدالمطلب، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل. ثم إنك يا حسن، تحدثت نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبيته. كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك وتركك أحق قريش، يُسخر منك ويُهزأ بك وذلك لسوء علمك؛ وإنما دعونك لنسبك وأباك. فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا، نختر فيك الخصال، ولو

قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس. فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا؟ فإن كنت ترى إنا كذبنا في شيء فاردد علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم، أنك وأباك ظالمان.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال:

يا بني هاشم، إنكم كنتم أحوال عثمان، فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم، يكرمكم فكانتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجة. فكيف ترون الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم؟! والله، إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية. وإن معاوية خير لك من نفسك.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فقال:

يا حسن، كان أبوك شرّ قريش لقريش؛ لسفكه لدمائها، وقطعه لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويغيّب الميت، وإنك ممن قتل عثمان، ونحن قاتلوك به. وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً، ولا في ميراثها راجحاً، وإنكم يا بني هاشم، قتلتم عثمان وإن في الحق أن نقتلك وأحاك به. فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه، وأما أنت فوالله، ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتّم علياً وقال: والله، ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان. ثم سكتوا.

ثم تكلم الحسن «عليه السلام» فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله «صلى الله عليه وآله» ثم قال:

أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشاً ألفتة وسوء رأي عرفت به، وخلقاً سيئاً ثبت عليه، وبغياً علينا وعداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية، واسمعوا فلاقولن فيك وفيهم ما هو

دون ما فيكم . أنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما، وأنت يا معاوية بهما كافر، تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية؟! وأنشدكم الله، هل تعلمون أنه بايعه البيعتين كليهما: بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث. وأنشدكم الله، هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً وأنت يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر وتظهرون الإسلام، وتستمالون بالأموال. وأنشدكم الله، أستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط، وأنشدك الله يا معاوية، أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبه هذا يقوده، فرآكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: اللهم! العن الراكب والقائد والسائق. أتتسى يا معاوية الشعر الذي كتبتة إلى أبيك لما هم أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلن يوماً فتفضحنا	بعد الذين بيدر أصبحوا مزقنا
خالى وعمي وعم الأم ثالثمهم	وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقنا
لا تركزنن إلى أمر تكلفنا	والراقصات به في مكة الخرقنا
فالموت أهون من قول العداة لقد	حاد ابن حرب عن العزى إذ فرقنا

والله، لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت. وأنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن علياً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

فأنزل فيه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ** (١) وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم، فهزموا، فبعث علياً بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها.

ثم قال: يا معاوية، أظنك لا تعلم أنني أعلم ما دعا به عليك رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمة.

وأنتم أيها الرهط، نشدتكم الله، ألا تعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها. أولها يوم كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» خارجاً من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعده وهم أن يبطش به، فلغنه الله ورسوله وصرف عنه. والثانية يوم العير، إذ عرض لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان وساحل بها، فلم يظفر بها المسلمون، ولغنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها. والثالثة يوم أحد، حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في أعلاه وهو ينادي: «أعل هبل» مراراً فلغنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشر مرات ولغنه المسلمون. والرابعة يوم جاء بالأحزاب وخطبان واليهود، فلغنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش، فصدوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، ذلك يوم الحديدية، فلغن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبى سفيان ولعن القادة والأتباع، وقال: «ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن» فقليل يا رسول الله، أفما يرحب الإسلام لأحد منهم. فكيف باللغنة؟ فقال: «لا تصيب اللغنة أحداً من الأتباع وأما القادة فلا يفلح منهم أحد».

والسادسة

يوم الجمل الأحمر. والسابعة يوم وقفوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم أبو سفيان. فهذا لك يا معاوية.

وأما أنت يا ابن العاص، فإنّ أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً عن عهر وسفاح. فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزّارها. الأهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شانيء محمد الأبتّر، فأنزل الله فيه ما أنزل. وقاتلت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جميع المشاهد، وهجوته وأذيته بمكة وكدته كيدك كلّه، وكنت من أشدّ الناس له تكذيباً، وعداوة، ثمّ خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى مكة. فلما أخطأك ما رجوت، ورجّعت الله خائباً، وأكذبتك واشياً. جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي حسداً، لما ارتكب من حليلته، ففضحك الله وفضح أصحابك، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثمّ إنك تعلم، وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون أنّك هجوت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين بيتاً من الشعر. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم إغنه بكلّ حرف ألف لعنة». فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن. وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً، ثمّ لحقت بفلسطين. فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبدالله، إذا نكأت قرحة أدميتها، ثمّ حبست نفسك إلى معاوية، وبعث دينك بدنياه. فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود. وباللّٰه، ما نصرت عثمان حياً، ولا غضبت له مقتولاً. ويحك يا ابن العاص! ألسنت القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل وما السير مني بمستنكر

فقلت ذريني فإني امرؤ
لأكويه عنده كـيـة
وشانيء أحمد من بينهم
وأجر إلى عتبه جاهدا
ولا أنتهي عن بني هاشم
فإن قبل العتب مني له
أريد النجاشي في جعفر
أقيم بهانخوة الأصغر
وأقوالهم فيه بالمنكر
ولو كانت كالذهب الأحمر
وما استطعت في الغيب والمحضر
وإلا لسويت له مشفري

فهذا جوابك هل سمعته؟

وأما أنت يا وليد، فوالله، ما ألومك على بغض عليّ وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنت الذي سماه الله فاسقاً وسمى علياً المؤمن، حيث تفاخرتما فقلت له: اسكت يا عليّ، فأنا أشجع منك جناناً، وأطول لساناً. فقال لك عليّ: اسكت يا وليد، فأنا مؤمن وأنت فاسق. فأنزل الله تعالى في موافقته قوله: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} (١) ثم أنزل فيك على موافقته قوله أيضاً {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} (٢) ويحك يا وليد! مهما نسيت قريش فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أنزل الله والكتاب عزيز
فتبوا الوليد إذ ذاك فاسقاً
ليس من كان مؤمناً - عمرك الله -
ففي عليّ وفي الوليد قرانا
وعليّ مـبـوأ إيماناً
كمن كان فاسقاً خواناً

(١) السجدة: ١٨.

(٢) الحجرات: ٦.

سوف يدعى الوليد بعد قليل وعليّ إلى الحساب عياناً
فعلّيّ يجزى بذلك جناناً ووليد يجزى بذاك هواناً
رب جد لعقبة بن أبان لابس في بلادنا تباتا

وما أنت وقريش، إنّما أنت عالج من أهل صفورية، وأقسم بالله، لأنت أكبر في الميلاد ممن تدعى إليه.
وأما أنت يا عتبة، فوالله، ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك، وما عندي خير يرجى ولا شر يتقى، وما عقلك وعقل أمتك إلاّ سواء، وما يضرّ علياً لو سببته على رؤوس الأشهاد. وأما وعيدك إياي بالقتل؛ فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك؟! أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك:

يا للرجال وحادث الأزمان ولسببة تخزي أبا سفيان
نبئت عتبة خاته في عرسه جنس لنيم الأصل من لحيان

وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه، فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل فاضحك؟! وكيف ألومك على بغض عليّ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، وشارك حمزة في قتل جدك عتبة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد.

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي فإني طائرة عنك، فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة عليّ فأعلم بك طائرة عنّي، والله، ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتمنا إذ علمنا بها، ولا يشق علينا كلامك، وإنّ حد

الله في الزنا لثابت عليك. ولقد درأ عمر عنك حقاً، الله سائله عنه. ولقد سألت رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فأجابك: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا؛ لعلمه بأنك زان. وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا}.^(١) ثم قام الحسن، فنفض ثوبه فانصرف . فتعلق عمرو بن العاص بثوبه، وقال: يا أمير المؤمنين! قد شهدت قوله في، وقذفه أمي بالزنا، وأنا مطالب له بحدّ القذف. فقال معاوية: خلّ عنه لا جزاك الله خيراً! فتركه. فقال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني. والله، ما قام حتى أظلم عليّ البيت. قوموا عني فلقد فضحك الله وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق . والله المستعان.^(٢)

نقول: أف لابن هند _ آكلة الأكباد _ وتف! ما أغباه وأغبي زبانيته! ألا يعلم إن هذا شبل حيدر، فكلمهم صلوات الله عليهم، زقوا العلم زقاً لا بتعليم أو تفهيم وأنما قذف وإلهام من الواحد العلام.

هذا هو مولانا الإمام الحسن صلوات الله عليه، فابن الصباغ المالكي _ وهو من علماء العامة الكبار _ عندما نقل أجوبة الإمام الحسن لأبيه المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، والتي صدرنا البحث بها _ قال: فهذه الأجوبة الحاضرة شاهدة ببصيرة ناصرة، ومادة فضل وافرة، وفكرة على استخراج الغوامض قادرة.

ونقول نحن: كيف لا يكون مولانا الحسن صلوات الله عليه، على

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) نقله عنه محمد رشيد رضا في كتابه الحسن والحسين «عليهما السلام»: ٣٣ - ٤٠.

هذه الكيفية؟! بل إنَّ ما ظهر من علمهم وفضلهم للعالم هو نقطة من البحر المحيط، فهم ورثة علم الأولين والآخرين ، بل الاوّلون والآخرون هم تبع لهم صلوات الله عليهم. وهذه قضية بديهية أولية قياساتها معها_ كما يعبر المنطقة_ فإذا كانت قضية ما، دليل صدقها القرآن أفلا تكون من أبده البديهيات عند من يؤمن بالله ورسوله ويكون دستور القرآن؟! وهذا هو الحقّ المبين، وبه ندين الله، وعليه نحيا وعليه نموت، ونباهل أهل الأرض وأهل السماء كلّهم أجمعين بلا إستثناء في أيّ وقت، وفي أيّ مكان.

إنّه الحقّ الذي تمنى أن يقتل على جوانبه «حبيب بن مظاهر»«رحمه الله» إنه الحقّ الذي أراق من أجله أصحاب الإمام الحسين في يوم الطف الخالد دماهم حيث قالوا لمولاهم سيد الشهداء صلوات الله عليه: سر بنا معافاً راشداً مشرقاً إن شئت أم مغرباً، فوالله، ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء الله، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

هذا هو الخطاب في ذكرى ميلاد الإمام الحسن صلوات الله عليه، والذي أشرقت به الأرض بنور ربّها، ووضع الكتاب، وانتهى الخطاب، خذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، وقل الحمد لله ربّ العالمين.

البحث السابع عشر

تتبع الغفاريين إلى حق الرشاد وحسن السداد

في علوم آل محمد صلوات الله عليهم

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

فَلَيْسَ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ إِمَامٌ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِجَمِيعِ أَهْلِ
وَلَايَتِهِ...

قَالَ الْمَوْلَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَغَايَةُ السَّابِقِينَ، وَلِسَانُ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمُ
الْوَصِيِّينَ، وَوَارِثُ النَّبِيِّينَ، وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنَا قَسِيمُ النَّارِ، وَخَازِنُ
الْجَنَانِ، وَصَاحِبُ الْحَوْضِ؛ فَلَيْسَ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ إِمَامٌ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِجَمِيعِ
أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}.^(١)

بَحَثْنَا هَذَا _إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى_ يَدُورُ حَوْلَ رَدِّ بَعْضِ التَّوَهُّمَاتِ الَّتِي
يُطَلِّقُهَا هُنَا وَهَنَاكَ بَعْضُ الْمَغْفَلِينَ أَوْ الْمَغْرُضِينَ وَذَلِكَ لِفَهْمِهِمُ السَّقِيمِ وَلِجَاجِهِمُ
الْعَقِيمِ، وَلاِبْتِعَادِهِمْ عَنِ جَادَةِ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَيَتَشَبِّهُونَ بِبَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ
الْكَرِيمَةِ وَالَّتِي ظَاهِرُهَا عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَأَهْلَ بَيْتِهِ
الْمَعْصُومِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْغَيْبِ، فَيَتَمَسَّكُونَ
بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَيَجْهَلُونَ أَوْ يَتَجَاهَلُونَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةَ الدَّالَّةَ عَلَى
أَنَّ لَالَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، عِلْمًا مُطْلَقًا لَا بِالْغَيْبِ فَقَطْ، بَلْ يَشْمَلُ كُلَّ
شَيْءٍ، صَغِيرٍ أَمْ كَبِيرٍ، كَانَ هَذَا الشَّيْءُ فِي الْمَاضِي أَوْ الْحَاضِرِ أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ
كُلِّ ذَلِكَ يَعْلَمُونَهُ عِلْمًا يَقِينِيًّا حَاضِرًا، وَلَكِي نَطْلُعُ الْأُخُوَّةَ الْمَوَالِينَ عَلَى رِكَائِكَ
وَهَشَاشَةِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ الْمَعَارِضُونَ، نَطْرَحُ أَوَّلًا بَعْضَ الْآيَاتِ الَّتِي تَمَسَّكُوا
بِهَا،

(١) مَقْطَعٌ مِنْ خُطْبَتِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلَتِي تَسْمَى «الْمَخْزُونِ». أوردتها الشيخ
الحسن بن سليمان الحلبي «رحمه الله» في مختصر بصائر الدرجات: ١٩٨.

ونبيّن معناها من خلال الآيات القرآنية الأخرى المفسّرة والمبيّنة لها، وكذا نصوص الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» والأئمة الميامين صلوات الله عليهم، وكذا نقول علمائنا في هذا المجال ونستمدّ العون من الواحد المتعال.

قال تعالى:

قُلْ لَأْمَلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ...^(١)

الفهم السطحي لهذه الآية، وعدم التمعن في معانيها ومرادها الحقيقي ربّما يوهم البعض وينفي الغيب عن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» فلا بدّ من إيجاد العلاج، لأننا انتهينا إلى أنّ كلّ ما في هذا الوجود، وكلّ ما في هذا الموجود منطوق في كتاب. يعني، أصله، فرعه، أوله، آخره، مبدأه، ومنتهاه كنه على الإطلاق في الكتاب.

قال تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}^(٢).

وقال تعالى: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}^(٣).

وقال تعالى أيضاً: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}^(٤).

وانتهينا إلى أنّ الكتاب أورثه الله تعالى المصطفين من عباده.

قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}^(٥)

فإذا قلنا بأنّ المراتب الغيبية، والمراتب الشهودية هذه محجوبة عن

النبيّ

(١) الأعراف: ١٨٨.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) النمل: ٧٥.

(٥) فاطر: ٣٢.

وآل النبي صلوات الله عليهم أجمعين، كان كلُّ بنائنا في الست عشرة ليلة الماضية قد تهادى وتصدّع!

لكن اطمئنوا إنّ بناءً قام على البرهان العلويّ والنور الفاطميّ، لا يمكن أن ينسف بمجموعة من التوهّمات، فالتوهّم شيء، ومعنى الآية شيء آخر، فتدبر.

فالآية عندما تقول: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} ثمّ تستثني {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} وسوف نقف عند {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}. {وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْتَرْتُمِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} وهناك آيات ظاهرها كذلك نحو:

قوله تعالى: {لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا} ^(١) وقوله عزّ شأنه: {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} ^(٢).

وقوله تعالى: {وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} ^(٣).

هناك من يتحدّج بظاهر هذه الآيات إلى معنى أبعد، ممّا يستفيد منها النافي لعلوم الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، فيقول: إنكم تقولون: إنّ آل محمّد عندهم علم الغيب، وعندهم علم ما ينفع وما يضرّ، وعندهم علم المنايا والبلايا وأسماء الخلائق، كيف ذلك، والآية تقول :

{وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}؟
هناك آية أخرى شبيهة بهذا المعنى حيث يقول سبحانه وتعالى :

(١) الجن: ٢١.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) التوبة: ١٠١.

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَنْ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١).

فإذا وقفنا عند ظاهر هذه الآية فإن ذلك يوهم إن فيه دلالة على أن النبي لا يعلم أسماء المنافقين، حيث يقول جل جلاله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾!

وأيضاً آية أخرى تؤكد المعنى السابق، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) قوله «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» ليس فقط للنبي «صلى الله عليه وآله» وإنما للغير أيضاً، إذن، ما هو المائز؟ حتى نبين حقيقة المعنى الظاهر، ولحل الإشكال وقطع المسبح الذي نظمه وأبرم سلكه المشككون، الذين يأخذون القرآن عسرين، وبيعضون في آيات الله الكريم، ويحرقون المعاني، لأن اللفظ محفوظ، وإنما يحرقون المعنى بالتمسك ببعض الآيات، وترك البعض الآخر، فينكرون على علي وآل علي مراتبهم، ويستعظمون ما آتاهم الله تعالى من الملك، متبجحين بحجج واهية. ولردع هؤلاء، نقول:

ينبغي التأمل في الآيات، من حيث الدلالة والمضمون.
فقوله تعالى: ﴿مَرَدُّوْا عَلَيَّ النَّفَاقَ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ ما معنى لا تعلمهم.
فالعلم عندنا على قسمين:

أولاً: العلم الاستقلالي، الذاتي، الأصلي.

ثانياً: العلم العرضي، غير الأصلي، وغير الاستقلالي.

يعني مرّة نقول: إن العلوم ذاتية لهم، ومستقلة في نفوسهم، ومتأصلة في جوهرهم، بمعنى أن الله لا مدخلية له على الإطلاق، هم كانوا وما زالوا ذاتاً،

(١) الأنفال: ٦٠.
(٢) الأعراف: ١٨٨.

وإستقلالاً، وصفةً، وعرضاً، وجوهراً عالمين، يعني، إنّ الله تعالى لم يعطهم ذلك، وإنّما علمهم ذاتي! وهذا هو المحال الباطل. ولن نجد شيعياً من عصر الصادقين صلوات الله عليهما، بل من عصر المولى أمير المؤمنين «عليه السلام» وحتى هذه الساعة من يقول بأنّ الأئمة «عليهم السلام» لهم علم إستقلالي ذاتي، بحيث ليس لله تعالى مدخلة فيه، هذا الكلام لا يعتد به أحد أبداً.

قال الميرزا موسى الاحقائي^(١) في كتابه «رسالة في التفويض»: لا تجد شيعياً يقول: إنّ الأئمة «عليهم السلام» عندهم علم ذاتي، هذا المعنى لم يقله أحد على الإطلاق^(٢).

فتارة عندنا علم ذاتي إستقلالي، وتارة أخرى عندنا علم غير إستقلالي. تبعي. يملكه الأئمة صلوات الله عليهم، والذي هو من الله بالله، يعني من الله وبالله آتاهم كل شيء.

فهم صلوات الله عليهم، أخذوا العلم من الله تعالى، لا إنّ الأمر ذاتي وإستقلالي عن الله، وعلى هذا ثبت لنا أنه لا يوجد عالم قادر بالذات إلا الله، وإنّما العلم والقدرة منحتنا إطلافاً لهم صلوات الله عليهم، من الله سبحانه وتعالى.

هذا المعنى الثاني لا إشكال عليه، ولا يشكل عليه إلا غبي لا يعرف أي طرفيه أطول، ويقول: إنّ هذا المعنى غير موجود. نحن معاشر الإمامية نقول: كل شيء من الله، وإنّ الله آتاهم ما لم يؤت

(١) هو العلامة الحاج ميرزا موسى بن ميرزا محمّد باقر الاحقائي الأسكوثي الحائري أعلى الله مقامهم. وقد حقق سماحة المحاضر حفظه الله رسالته الموسومة وصدر ضمن منشورات مؤسستنا مؤسسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله» لإحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام».

(٢) رسالة في التفويض: ٢.

أحداً من العالمين، القرآن عندما يقول: {لَا تَعْلَمُهُمْ} و{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً} يعني، استقلالاً وذاتاً، وأما بالتبع فإنه يعلم دبيب النمل، والسموات والأرضين والأفلاك كلها منطوية في يمينه كأنطواء كل شيء في الكتاب المبين، لكن من الله العلي القدير، وأي إشكال في هذا؟! يعني لما يقول: {لَا تَعْلَمُهُمْ} يعني علماً استقلالياً.

وقوله {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً} يعني استقلالاً، يعني لا أنسب لنفسي أنني في عرض الله تعالى، الله يفعل وأنا أفعل!

يعني العلم الذاتي، والنفع الذاتي، والضرر الذاتي لا يمكن أن يكون ثابتاً للنبي «صلى الله عليه وآله» لأنه إن لم يعطه الله تعالى فإنه فقير إليه، ولذلك في كل أن يحتاج كل مخلوق دون الخالق إلى المدد، فإذا انقطع المدد في آن واحد، انتهى كل شيء.

إذن، نحن نقول كل شيء يعلمونه بإذن الله، يعني، يحيون، يميتون، يسقمون، يشفون، لم يقل أحد أنهم صلوات الله عليهم، يفعلون ذلك بالاستقلال عن الله عزّ شأنه.

هناك من يقول: ما هذه المبالغة في علم أهل البيت؟! كيف يعرفون عدد الرمل والحصى!؟

روي عن عمر بن الفرج الرخجي قال: قلت لأبي جعفر «عليه السلام»: إن شيعتك تدّعي أنك تعلم كل ماء في دجلة ووزنه ووكنا على شاطئ دجلة. فقال «عليه السلام»:

يقدر الله تعالى على أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه، أم

لا؟!!

قلت: نعم، يقدر.

فقال: أنا أكرم على الله من بعوضته، ومن أكثر خلقه^(١).

نقول: هل أوحى الله تعالى لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، كلَّ

شيء أم لا ؟

نحن هنا نفترق مع البعض الغارق في الظلمات، هؤلاء يقولون: أوحى بعض الشيء! ونحن نقول: كذبت، بل أوحى كل شيء إليهم، بدليل قوله تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ^(٢) وقوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} ^(٣) هذا آصف بن برخيا خرق الأرض من الشام إلى اليمن في أقل من طرفة عين، ووضع العرش أمام النبي سليمان «عليه السلام» {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِهَا} ^(٤)

{فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} ^(٥).

أما قارون فقد قال: {إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} ^(٦) هذا هو العلم الاستقلالي، ادعى الاستقلالية في العلم، فماذا فعل به رب العالمين؟ {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} ^(٧).

إذن، فالجواب الأول: إن الله عزَّ شأنه عندما ينفي العلم والضرر والنفعة عن الرسول «صلى الله عليه وآله» وغيره فإنه إنما ينفيه بلحاظ الإستقلال، يعني لا يوجد عند

=====

(١) أورده الشيخ حسين بن عبدالوهاب «رحمه الله» في عيون المعجزات: ١١٣، عنه بحار الأنوار: ١٠٠/٥٠.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) النمل: ٣٨.

(٥) النمل: ٤٠.

(٦) القصص: ٧٨.

(٧) القصص: ٨١.

النبي «صلى الله عليه وآله» شيء استقلالي، فما المانع أن يعطيهم الله كل شيء؟

البعض عندما يستشهدون بالآيات التي تنفي علم الغيب عن غير الله، كأنه يتمسك بـ «لا إله» ولا يلتفت إلى أداة الاستثناء وما بعدها «إلا الله» فهنا نفي بعده إثبات.

فالبعض يتمسك بالنفي ولم يلحظ الإثبات المقام في نفس منطوق الآيات أو في آيات أخرى.

أنظر، قوله تعالى: {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (١) بعض يتوقف على هذا ويعمم نفي الغيب عن سوى الله تعالى ولم يلحظ الآية كاملة، فالآية الكريمة عندما تقول: {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} تقول أيضاً: {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى}.

ففي مقام الجواب نقول: إن الآيات التي تصدر البحث بها، والتي استند البعض عليها في نفي الغيب عن الرسول «صلى الله عليه وآله» وبالتالي عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، تنفي العلم الاستقلالي عن الخلق، وإنما علم الرسول «صلى الله عليه وآله» والأئمة صلوات الله عليهم، وجميع الخلق علمهم بإذن الله تعالى، فإذا ثبت هذا المعنى بأن كل شيء بالله، فحينئذ أين موقع الشرك؟ وأين الغلو؟ وأين الكفر؟

أراد الله جلّ جلاله أن يقول له: لو لم نعلمك، ما كنت تعلم أسماءهم، وهذا يسمّى نفي يستبطن الإثبات.

إذن. وما كان الله ليطلعكم على الغيب، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء بإرادته واختياره.

قال سبحانه: {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ

ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...^(١).

نقل الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف، عن سدير الصيرفي، قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر «عليه السلام»: رأيت قوله جل ذكره: {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}.

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} وكان والله محمد مَنَّ ارتضاه، وأما قوله: {عَالَمُ الْغَيْبِ} فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عَالَمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِيمَا يَقْدَرُ مِنْ شَيْءٍ، وَيَقْضِيهِ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَفْضِيَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، فَذَلِكَ يَا حَمْرَانَ، عِلْمٌ مَوْقُوفٌ عِنْدَهُ، إِلَيْهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ، فَيَقْضِيهِ إِذَا أَرَادَ، وَيَبْدُولُهُ فِيهِ فَلَا يَمْضِيهِ، فَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يَقْدَرُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَيَقْضِيهِ وَيَمْضِيهِ فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» ثُمَّ إِلَيْنَا^(٢).

قال تعالى {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}^(٣) يعني غير بخيل، يعني إن الله لا يبخل على عبده أن يعطيه علوم الغيب.

قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى * أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى}^(٤).

وقال في آية أخرى: {أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى} هناك ينفي الغيب عن

(١) الجن: ٢٦ - ٢٧.

(٢) الكافي: ٢٥٦/١ كتاب الحجة باب نادر في ذكر الغيب، ح ٢، عنه البرهان:

١٤٤/٨.

(٣) التكوير: ٢٣ - ٢٤.

(٤) النجم: ٣٣ - ٣٥.

الإنسان الكافر، يقول: هل أنت عندك علم الغيب حتى تخبر؟
وفي هذه الآية يقول للنبي «صلى الله عليه وآله»: {أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى}.
فإذا كان القرآن ينطق بحقهم، ويقول: بأن كل شيء عندهم، فحينئذ
ما في أسرار الوجود والوجود، وما تميّز به العابد من المعبود، وما كان
من عوالم الغيوب والشهود، كلّها بقلب القرآن الناطق أمير المؤمنين
وأبنائه الميامين المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، خذ هذا واغتنم
وكن من الشاكرين الحامدين.
ورد عن صادق العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين، أنه قال:
ما يمنعكم إذا كلمكم الناس أن تقولوا لهم: ذهبنا من حيث ذهب الله،
واختارنا من حيث اختار الله. إن الله سبحانه اختار محمداً «صلى الله عليه وآله»
واختار لنا آل محمد، فنحن متمسكون بالخيرة من الله عز وجل^(١).
اللهم! إنا اختارنا محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم،
لاختيارك لهم فاجعلنا من شيعتهم المخلصين وصلى الله على محمد وآل
بيته الطيبين الطاهرين.

(١) أورده الشيخ الطوسي في الأمالي: ٣٩٧، محب الدين الطبري في بشارة
المصطفى: ١١١.

البحث الثامن عشر

رزيق غطت الرزايا كلها وأحرق قلوب المؤمنين

في جرح المولى صلوات الله عليه

من خلال قول الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»:

كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي لِرَبِّكَ، وَقَدْ أَنْبَعَثَ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ... فَضْرَبَكَ ضَرْبَةً عَلَى قَرْنِكَ فَخَضَّبَ مِنْهَا

لِحَيْتِكَ.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

يَا عَلِيَّ، أَبْكِي لِمَا يُسْتَحَلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي
لِرَبِّكَ وَقَدْ أَنْبَعْتَ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، شَقِيقُ عَاقِرٍ نَاقَةٌ ثَمُودٌ، فَضْرَبَكَ
ضَرْبَةً عَلَى قَرْنِكَ، فَخَضَبَ مِنْهَا لِحْيَتَكَ، فَقُلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَذَلِكَ فِي
سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟ فَقَالَ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيَّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ
قَتَلَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي، لِأَنَّكَ مِنِّْي كَنَفْسِي،
رُوحَكَ مِنْ رُوحِي وَطِينَتَكَ مِنْ طِينَتِي، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ،
وَاصْطَفَانِي وَإِيَّاكَ، وَإِخْتَارَنِي لِلنَّبُوءَةِ وَإِخْتَارَكَ لِلْإِمَامَةِ، فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ
أَنْكَرَ نُبُوتِي، يَا عَلِيَّ، أَنْتَ وَصِيِّ وَأَبُو وَلَدِي وَزَوْجُ ابْنَتِي وَخَلِيفَتِي عَلَى
أُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي، أَمْرُكَ أَمْرِي وَنَهْيُكَ نَهْيِي، أَقْسَمُ بِالَّذِي بَعَثَنِي
بِالنَّبُوءَةِ، وَجَعَلَنِي خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، إِنَّكَ لِحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى سِرِّهِ
وَخَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ^(١).

السلام عليك يا خليل الله ما دجى الليل وغسق، وأضاء النهار
وأشرق.

السلام عليك ما صمت صامت، ونطق ناطق، وذرّ شارق ورحمة الله
وبركاته.

(١) عيون أخبار الرضا «عليه السلام»: ١/٢٦٥ - ٢٦٧ ح ٥٣.

السلام على اسم الله الرضيّ، ووجه المضيّ، وجنبه العليّ ورحمة الله وبركاته.

عظّم الله تعالى لك الأجر يا ابن الحسن، ترى أيّ أرض تقلّك أم ترى؟
سيّدي يا صاحب الزمان، أيّها المفجوع بجده الإمام أمير المؤمنين،
أين أنت في هذه الليلة؟

في مثل هذه الليالي من شهر رمضان، نزلت النازلة الكبرى، وحلت الرزية العظمى، وذلك بتأمر جماعة من أهل الشرك والضلال على إخماد النور الإلهي.

أخرج القتال النيسابوري في الروضة: إنّ نفرًا من الخوارج اجتمعوا بمكة، فتذكروا الأمراء فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم، وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم... فقال عبدالرحمن بن ملجم «لعنه الله»: أنا أكفيكم عليًا، واتعدوا لشهر رمضان في ليلة التاسع عشرة، ثمّ تفرّقوا، فاقتل ابن ملجم، وكان عداؤه في كندة، حتى قدم الكوفة فلقى أصحابه، وكتّمهم أمره مخافة أن ينتشر منهم شيء، فهو في ذلك إذ رأى رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب، فصادف عنده قطام بنت الأخضر التميمية، وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» قتل أباه وأخاه بالنهروان، وكانت من أجمل نساء زمانها، فلمّا رآها ابن ملجم «لعنه الله» شغف بها، واشتد إعجابه، فسأل في نكاحها وخطبها، فقالت له: ما الذي تسمّي لي من الصداق، فقال لها: أحكمي ما بدا لك، قالت: أنا محكمة عليك بثلاثة آلاف درهم، ووصيفاً وخادماً وقتل عليّ بن أبي طالب، فقال لها: جميع ما سألت، وأمّا قتل عليّ بن أبي طالب فأنى لي بذلك؟! فقالت: تلتمس غرته، فإن أنت قتلتته شفيت نفسي، وهناك العيش

معي، فقال: وايم الله! ما أقدمني هذا المصر إلا هذا، فلك ما سألت، قالت: فانا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك، ويقويك، ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فأخبرته الخبر، وسألته معونة ابن ملجم، فتحمل ذلك لها، وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع الناس، يقال له: شبيب بن بجرة، فقال له: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني على قتل عليّ. وكان شبيب على رأي الخوارج، فقال له: يا ابن ملجم، هبلتك الهبول! لقد جئت شيئاً إداً! وكيف تقدر على ذلك؟! فقال له ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر قتلناه، فان نحن قتلناه شفيناً انفسنا، وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فاقبل معه حتى دخل المسجد على قطام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم، قد ضربت عليها قبة، فقال لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل، قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقوني في هذا الموضع، فانصرفا من عندها، فلبثا أياماً ثم أتياها ومعهما الآخر، ليلة الأربعاء، لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة، فدعت لهما بحريز، فعصبت به صدورهم، وتقلدوا أسياقهم، ومضوا؛ فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الصلاة، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في قلوبهم من العزيمة، على قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» وواطأهم عليه، وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم، على ما أجمعوا عليه، وكان حجر بن عدي «رحمه الله» بائناً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجا النجا لحاجتك! فقد ضحك الصبح، فأحسّ الرجل بما أراد الأشعث، فقال له: قتلته يا أعور، وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين، فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم، فضربه بالسيف، وأقبل حجر، والناس يقولون: قُتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وذكر عبد الله بن محمد الأزدي قال: إني لأصلي في تلك

الليلة في المسجد الأعظم، مع رجال من أهل مصر كانوا يصلّون في ذلك الشهر، من أوله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلّون في تلك الليلة في المسجد، قريباً من السدة، وخرج عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» لصلاة الفجر، فاقبل ينادي: الصلاة الصلاة. فما أدري أنادي أم رأيت يريق السيف وسمعت قائلاً يقول: الله الحكم يا عليّ لا لك ولا لأصحابك! وسمعت عليّاً يقول: لا يفوتكم الرجل، فإذا عليّ «عليه السلام» مضروب، وقد ضربه شبيب بن بجرة فأخطأه، ووقعت ضربته في الطاق، وهرب القوم نحو أبواب المسجد، وبادر الناس لأخذهم، فأما شبيب بن بجرة، فأخذ رجل فصرعه، وجلس على صدره، وأخذ السيف من يده ليقتله به فرأى الناس يقصدون نحوه، فخشى أن يعجلوا عليه، ولا يسمعوا منه، فوثب عن صدره وخلاه، وطرح السيف من يده، ومضى شبيب هارباً، حتى دخل منزله، ودخل عليه ابن عمّ له، فرآه يحل الحرير عن صدره، فقال له: ما هذا! لعلك قتلت أمير المؤمنين؟! فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم. فمضى ابن عمّه، فاشتغل على سيفه، ثمّ دخل عليه فضربه به حتى قتله؛ وأما ابن ملجم فإنّ رجلاً من همدان لحقه، وطرح عليه قطيفة كانت في يده، ثمّ صرعه، وأخذ السيف من يده، وجاء به إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأفلت الثالث، فانسَلَّ بين الناس، فلمّا دخل ابن ملجم على أمير المؤمنين «عليه السلام» نظر إليه، ثمّ قال: **النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي**، فقال ابن ملجم لعنه الله: والله، لقد ابتعته بألف، وسممته بألف؟!...، فأخرج من بين يدي أمير المؤمنين «عليه السلام» وانّ الناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، وهم يقولون: يا عدو الله، ماذا فعلت؟! أهلكت أمة محمد «صلى الله عليه وآله» وقتلت خير الناس. وانه لصامت ما ينطق، فذهب به إلى الحبس، وجاء الناس إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقالوا له:

يا أمير المؤمنين، أمرنا بأمرك في عدو الله فقد أهلك الأمة، وأفسد الملة، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: ان عشت رأيت فيه رأيي، وان هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبي صلى الله عليه وآله» إقتلوه، ثم احرقوه بالنار بعد ذلك. قال: فلما قضى أمير المؤمنين «عليه السلام» نحيبه، وفرغ أهله من دفنه، جلس الحسن «عليه السلام» وأمر أن يؤتى بابن ملجم لعنه الله، فجيء به؛ فلما وقف بين يده، قال له: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين، وأعظمت الفساد في الدين، ثم أمر به فضرب عنقه، واستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته، لتتولى احراقها، فوهبها لها، فأحرقتها بالنار... (١)

وكان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه يعلم بقاتله، والساعة التي يُقتل بها، كيف لا، وهو يعلم بكل صغيرة وكبيرة، بل ما من غائبة في السماء أو في الأرض إلا وهو يعلمها بنص القرآن كما قدّمنا ألا يعلم ساعة شهادته، ومن يقتله؟!

نقل الصفار «رحمه الله» في بصائر الدرجات، عن بعض أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: دخل عبدالرحمن بن ملجم «لعنه الله» على أمير المؤمنين «عليه السلام» في وفد مصر، الذي أوفدهم محمد بن أبي بكر، ومعه كتاب الوفد، قال: فلما مرّ باسم عبدالرحمن بن ملجم «لعنه الله» قال: أنت عبدالرحمن؟ لعن الله عبدالرحمن، قال: نعم يا أمير المؤمنين. أما والله، يا أمير المؤمنين، إنني لأحبك، قال: كذبت والله ما تحبني ثلاثاً قال: يا أمير المؤمنين، أحلف ثلاثة أيمان إنني أحبك، وتحلف ثلاثة أيمان إنني لا أحبك؟ قال: ويلك! أو ويحك. إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فأسكنها الهواء، فما تعارف منها هنالك ائتلف في الدنيا، وما تناكر

منها هنا اختلف في الدنيا، وإنّ رُوحِي لا تعرف رُوحك، قال: فلَمَّا ولى قال: إذا سرّكم أن تنظروا إلى قاتلي فانظروا إلى هذا، قال بعض القوم: أولاً تقتله؟ _ أو قال أقتله _ فقال: ما أعجب من هذا، تأمروني أن أقتل قاتلي لعنه الله^(١)

وأورد المجلسي «رحمه الله» عن حنان بن سدير، عن رجل من مزينة، قال: كنت جالساً عند عليّ «عليه السلام» فأقبل إليه قوم من مراد، ومعهم ابن ملجم، قالوا: يا أمير المؤمنين، طراً علينا، ولا والله ما جاءنا زائراً ولا منتجعاً وإنا لنخافه عليك فاشدد يدك به، فقال له عليّ «عليه السلام»: اجلس. فنظر في وجهه طويلاً، ثمّ قال: رأيتك إن سألتك عن شيءٍ وعندك منه علم هل أنت مخبري عنه؟ قال: نعم، وحلفه عليه، فقال: أكنت تراضع الغلمان، وتقوم عليهم، فكنت إذا جئت فرأوك من بعيد قالوا: قد جاءنا ابن راعية الكلاب؟ قال: اللهم نعم. فقال له: مررت برجل وقد أيفعت، فنظر إليك وأحدّ النظر، فقال: أشقى من عافر ناقة ثمود؟ قال: نعم، قال: قد أخبرتك أمك أنّها حملت بك في بعض حيضها، فتعتع هنيئة، ثمّ قال: نعم. قد حدتنتي بذلك، ولو كنت كاتباً شيئاً لكتمتك هذه المنزلة، فقال له عليّ «عليه السلام»: قم. فقام، ثمّ قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إنّ قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي^(٢).

وعن حبيب بن عمرو قال: دخلت على أمير المؤمنين «عليه السلام» في مرضه الذي قبض فيه، فحلّ عن جراحه، فقلت يا أمير المؤمنين: ما جرحك هذا بشيءٍ وما بك من بأس؟ فقال: يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة؛ قال: فبكيت عند ذلك وبكيت أم كلثوم، وكانت قاعدة عنده، فقال لها: ما يبكيك

(١) أورده عنه المجلسي «رحمه الله» في بحار الأنوار: ١٩٦/٤٢ ح ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٩٧/٤٢ - ١٩٨.

يا بنية؟ فقالت: ذكرت يا أبت أنك تفارقنا الساعة فبكيت، فقال لها: يا بنية، لا تبكين فوالله، لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت، قال حبيب: فقلت له: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين، قال: يا حبيب، أرى ملائكة السماوات والنبیین بعضهم في أثر بعض وقوفاً إليّ يتلقوني، وهذا أخي محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس عندي يقول: أقدم فإن أمامك خير لك مما أنت فيه^(١).

وروي في حديث آخر، إن أمير المؤمنين «عليه السلام» سهر في تلك الليلة، وأكثر الخروج والنظر إلى السماء، وهو يقول: والله، ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت بها. ثم يعاود مضجعه، فلما طلع الفجر شدّ أزاره، وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لأقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

فلما خرج إلى صحن الدار استقبلته الأوز فصحن في وجهه، فجعلوا يطردوهن، فقال: دعوهن فإنهن صوايح تتبعها نوايح. ثم خرج فاصيب «عليه السلام»^(٢).

أقول: هذه مسألة مبرهن عليها من القرآن الكريم، قال تعالى:
﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) لا يخفى على أمير المؤمنين «عليه السلام» خافية بنص هذه الآية وغيرها، مضافاً إلى أن شهادتهم لكل شيء أمر مفروغ منه قرآناً، فهم يشهدون الأرواح والأجساد،

=====

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١/١٣٧.

(٢) روضة الواعظين: ١/١٣٥.

(٣) التوبة: ١٠٥.

ويحضرون عندها لقول الله سبحانه وتعالى:
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١) فإذا كان الشهيد من الناس حياً عند ربه يرزق، فكيف بالإمام
المولى أمير المؤمنين عليّ «عليه السلام»؟!
أقبل شهر رمضان المبارك على أمير المؤمنين «عليه السلام» وكان أمير
المؤمنين «عليه السلام» يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وثالثة عند عبد
الله بن جعفر، كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يفطر، ولا يزيد على اللقمتين أو
الثلاث.

ف قيل له: لماذا لا تأكل من هذا الطعام يا أمير المؤمنين ؟
قال «عليه السلام»: **إِنَّمَا هِيَ لِيَالٍ قَلِيلٍ، حَتَّى أَلْقَى رَبِّي وَأَنَا خَمِيصُ
الْبَطْنِ**^(٢).

حقّ على الشيعة أن ينادوا في هذه الليلة: وا عليّاه! واعليّاه!
فعندما ضربه اللعين في المسجد حمله الإمام الحسن والإمام
الحسين «عليهم السلام» على كتفيهما إلى داره، وزينب «عليها السلام» كانت واقفة عند
الباب، رأت الإمام محمولاً، صاح أمير المؤمنين «عليه السلام»:
**بَنِي حَسَنٍ! بَنِي حَسِينٍ! لَا تَحْمَلَانِي وَأَعْيِنَانِي عَلَى الْمَشْيِ حَتَّى لَا
تُرَانِي زَيْنَبُ.**
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

(١) آل عمران: ١٦٩.
(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ١١٢/١٩.

البحث التاسع عشر

نظم
وأسرار ما أسماها ونبل وأخلاق ما أغناها

في منازعة المولى صلوات الله عليه

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَىٰ مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ.

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ^(١).

في مثل هذه الأيام الحزينة الثقيلة، والتي قضى فيها شيعة المولى صلوات الله عليه، ساعات ثقيلة صعبة مع إمامهم مولى المتقين وإمام الثقلين، بعد أن امتدت إليه أيادي الغدر والعدوان، وضربه اللعين ابن ملجم بسيف مسموم، سمّه اللعين بألف درهم وحده بألف، وبعبارة لعنه الله: قد اشتريت هذا السيف بألف درهم، وسممته بألف أخرى، ثم أصلحته وضربته ضربة لو قُسمت على أهل الأرض لهلكوا كلهم. وأخذ المولى صلوات الله عليه، من أثر هذه الضربة وجود بنفسه الشريفة، ويتغيّر لونه من الإصفرار تارة إلى الإحمرار أخرى.

نقل الشيخ القمي في منتهى الآمال إنّ اللعين ابن ملجم عندما ضرب المولى صلوات الله عليه، وقعت ضربته على موضع ضربة عمرو ابن عبد ود العامري، ثم وصلت الضربة من مفرق رأسه الشريف إلى موضع السجود، وعند ذلك قال الإمام صلوات الله عليه:

باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله فزت ورب الكعبة، ثم صاح

وقال: قتلني ابن ملجم قتلني ابن اليهودية، أيها الناس لا يفوتكم ابن

(١) منتهى الآمال: ٣٤٦/١.

ملجم. فنثار جميع من في المسجد في طلب الملعون، ثم أحاطوا بأمر المؤمنين صلوات الله عليه، وهو في محرابه يشد موضع الضربة ويأخذ التراب ويضعه عليها، ثم تلا قوله تعالى:

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (١).

ثم قال صلوات الله عليه وهو ملطخ بدمائه:

جاء أمر الله وصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا ما وعدنا الله

ورسوله.

ثم أنه لما ضرب به الملعون ارتجت الأرض وماجت البحار والسموات واصطفقت أبواب الجامع، وضجت الملائكة ونادى جبرئيل «عليه السلام» بين السماء والأرض بصوت سمعه كل أحد: **تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل الوصي المجتبي، قتل علي المرتضى، قتله أشقى الأتقياء. فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت وجهها وصاحت:**

وا أبتاه! وا علياه! وا محمداه!

فخرج الحسنان «عليهما السلام» إلى المسجد، فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جمع من الناس، وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس فلم يطق النهوض فتقدم الإمام الحسن «عليه السلام» فصلّى بالناس وأمير المؤمنين «عليه السلام» يصلي إيماء من جلوس، يميل تارة ويسكن أخرى. فلما فرغ الإمام الحسن «عليه السلام» من الصلاة جاء إلى أبيه وأخذ برأسه الشريف، وقال: **وا انقطاع ظهراه! يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا.**

ففتح الإمام صلوات الله عليه عينه، وقال:

يا بني، لا جزع على أبيك بعد اليوم، هذا جدك محمد المصطفى،

وجدتك خديجة الكبرى، وأمك فاطمة الزهراء، والخور العين
محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقر عيناً وكف عن البكاء، فإن
الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء.

ثم شدوا الجرح بردائه وجاءوا به إلى المسجد، وشاع الخبر في جوانب
الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرن
إلى الإمام عليّ صلوات الله عليه، ودخل الناس فوجدوا الإمام الحسن عليه
السلام ورأس أمير المؤمنين صلوات الله عليه، في حجره، وقد غسل الدم
عنه، وشدّ الضربة وهي بعدها تشخب دمًا، ووجهه صلوات الله عليه، قد زاد
بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده، وهو
يقول:

إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وعلا درجات جنة المأوى.

فغشي عليه ساعة، فبكى الإمام الحسن عليه السلام بكاء شديداً، فسقط من
دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ففتح المولى عينه
ورآه باكياً، فقال له:

**يا بني، يا حسن، ما هذا البكاء والجزع؟ يا بني، أتجزع على أبيك
وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً، ويقتل أخوك الحسين بالسيف وتلحقان
بجدكما وأبيكما وأمكما^(١).**

ومع ذلك كله وفي تلك الحالة التي مرّ بها الإمام صلوات الله عليه،
أخذ المولى يوصي الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام وجميع أهل
بيته، ويوصي شيعته ومن بلغه كتابه بوصايا وحكم، يركز فيها على هداية
الناس، ويحثهم على التمسك بالقرآن الكريم، واجراء السنن والقوانين الإلهية
النازلة في

(١) منتهى الآمال: ٣٣٨/١ - ٣٣٩.

القرآن، وقد نقل لنا أرباب السير وحملة التواريخ، إنّ المولى صلوات الله عليه، تَلَفَظَ في احتضاره بوصايا وحكم إلهية، خَلَدَهَا التاريخ الإنساني بأحرف من نور، وتَلَفَفَتْهَا الأجيال جيل بعد جيل إلى أن وصلت إلينا، وسوف تبقى نبراساً خالداً ما بقي الزمان والمكان تنير للسالكين سبل الهداية والرشاد. أورد الشيخ الصدوق «رحمه الله» في من لا يحضره الفقيه وصية المولى صلوات الله عليه، حيث قال:

روي عن سليم بن قيس الهلالي، قال: شهدت وصية عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» حين أوصى إلى ابنه الحسن «عليه السلام» وأشهد على وصيته الحسين «عليه السلام» ومحمداً وجميع ولده، وجميع رؤساء أهل بيته وشيعته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح، ثمّ قال «عليه السلام»: يا بني، أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين «عليه السلام» ثمّ أقبل على ابنه عليّ بن الحسين، فقال: وأمرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن عليّ، فاقرأه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومني السلام، ثمّ أقبل على ابنه الحسن «عليه السلام» فقال: يا بني، أنت وليّ الأمر بعدي ووليّ الدم، فإن عفوت فك وإن قتلت فضربة مكان ضربة، ولا تأثم، ثمّ قال: أكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، «صلى الله عليه وآله» ثمّ إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

ثُمَّ إِنِّي أوصيك يا حسن، وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة، كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار.

الله الله في القرآن فلا يسبقكم إليه أحد غيركم.

الله الله في جيرانكم، فإن النبي صلى الله عليه أوصى بهم، وما زال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في بيت ربكم، فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا وأدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما سلف.

الله الله في الصلاة فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم.

الله الله في الزكاة فإنها تطفيء غضب ربكم.

الله الله في شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار.

الله الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معاشكم.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، فإتما يجاهد رجلا:

إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه.

الله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بحضرتكم وبين ظهرانكم وأنتم

تقدرون على الدفع عنهم.

الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث.

الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به نبيكم «صلى الله عليه وآله» أن قال: أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم.

الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم، يكفكم الله من آذاكم وبغى عليكم، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلي الله أمركم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم عليهم، وعليكم يا بني بالتواصل والتبادل والتبار، وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته^(١).

تمعن أخى الموالى في كل كلمة قالها الإمام صلوات الله عليه، وتفكر في مضامينها ومدلولاتها، وأيضاً لاحظ البون الشاسع بين ما تلفظ به المولى صلوات الله عليه، وما قاله الطغاة والمتكبرين، المتسمين بأسماء الخفاء والأمراء، فهذا معاوية، لعين السموات والأرضين، وسكانهما عندما حلت به المنية، وقرب أجله المحتوم الذي أهمله ولم يحسب له حساباً، وعمل أعمالاً خبيثة أضرت بكل عناصر الطبيعة، بل أضرت بكل عناصر التكوين والتشريع، وذلك بخروجه على إمام زمانه، وقتله الأبرياء

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣٢٥/٤ - ٣٢٧، وأنظر كذلك فروع الكافي: ٥١/٧ - ٥٢، عنهما بحار الأنوار: ٢٤٨/٤٢ - ٢٥٠.

والصالحين، وانتهاجه منهج البغي والعدوان، قال _كما ذكر
المسعودي_

فياليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أك في اللذات أعشى النواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغه من الدهر حتى زار أهل المقابر(١)

هذا ما تفوه به الطغاة أمّا المولى، صلوات الله عليه، فلصدق يقينه في
الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» فإنه متيقن بالنجاة في الآخرة والأولى. نقل
الشيخ الاشتهاردي في مصائب آل محمد «عليهم السلام»: إن الإمام علياً صلوات
الله عليه، لما وقع في فراش الموت جمع أولاده وأهله وأخذوا يقبلون يديه
ورجليه، قائلين: يا ابتاه، ماهذه الحالة التي نراك عليها؟

فأخذ أمير المؤمنين يقبلهم ويحتضنهم واحداً واحداً، ويقول لهم:

إصبروا فإني ذاهب إلى جدكم محمد المصطفى «صلى الله عليه وآله» وأمكم فاطمة الزهراء «عليها
السلام» لقد ملكنتي عيناى فنمت، رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» البارحة في المنام وهو يمسح
الغبار عن وجهي وهو يقول لي: يا علي لا عليك نجيت ما عليك(٢).

رحم الله السيد حيدر الحلي، عندما قال في رثاء المولى صلوات الله عليه:

قم ناشد الإسلام عن مصابه أصيب بالنبى أم كتابه
مضى على اهتضابه بغصّة غصّ بها الدهر مدى أحقابه
عاش غريباً بينها وقد مضى بسيف أشقاها على اغترابه(٣)

(١) مروج الذهب: ٥٩/٣.

(٢) مصائب آل محمد عليهم السلام: ٥٨.

(٣) ديوان سيد حيدر الحلي: ١٢٨.

السلام عليك يا أبا الحسنين يوم ولدت في بيت الله الحرام، ويوم
استشهدت في شهر رمضان في ليلة القدر، ويوم تبعث حياً وتقوم على
الصراط وتأخذ مفاتيح الجنان والنيران من خزّانها فتُدخل شيعتك الجنان،
وتدفع أعداءك إلى النيران.

البحث العشرون

كتبه الزايا العظام وأم المصائب الجسم

في شهادة المولى «عليه السلام»

من خلال قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، وَدَنَتْ وَفَاتُهُ، عَرَقَ جَبِينُهُ،
وَصَارَ كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ، وَسَكَنَ أُنْيُنُهُ.

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمَعْتُ جَدَّكَ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» يَقُولُ:
إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، وَدَنَتْ وَقَاتُهُ، عَرَقَ جَبِينَهُ، وَصَارَ
كَاللُّوْءِ الرِّطْبِ، وَسَكَنَ أُنْبِينَهُ^(١).

عظم الله لكم الأجر في هذه الليلة، ليلة ارتحال المولى صلوات الله عليه إلى عالم الملكوت.

نقل المجلسي «رحمه الله» في موسوعته النورانية «بحار الأنوار» عن محمد بن الحنفيةؑ، أنه قال: لما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم، ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، وأوصاهم بلزوم الإيمان والأديان والأحكام التي أوصاه بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فمن ذلك ما نقل عنه «عليه السلام» أنه أوصى به الحسن والحسين «عليهما السلام» لما ضربه ملعون ابن ملجم، ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف، حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه، ثم أصبح ثقيلاً، فدخل الناس عليه، فأمرهم ونهاهم وأوصاهم، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب، فأبى أن يشرب، فنظرنا إلى شفثيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى، وجعل جبينه يرشح عرقاً، وهو يمسحه بيده، قلت: يا أبت، أراك تمسح جبينك، فقال: يا بني، إني سمعت جدك رسول

(١) بحار الأنوار: ٢٩٠/٤٢.

الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إِنَّ المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته عرق جبينه، وصار كاللؤلؤ الرطب، وسكن أنينه، ثم قال: يا أبا عبد الله، ويا عون، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد، وجعل يودعهم ويقول: الله خليفتي عليكم استودعكم الله، وهم يبكون، فقال له الحسن «عليه السلام»: يا أبا، ما دعاك إلى هذا؟ فقال له: يا بني، أتيت رأيت جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في منامي قبل هذه الكائنة بليلة، فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللهم! ابدلهم بي شراً مني، وأبدلني بهم خيراً منهم، فقال لي: قد استجاب الله دعائك، سينقلك إلينا بعد ثلاث، وقد مضت الثلاث، يا أبا محمد، ويا أبا عبد الله أوصيكما خيراً، فأنتما مني وأنا منكما، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة «عليها السلام» وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني، الحسن والحسين «عليهما السلام».

ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمد «صلى الله عليه وآله» كما وعدني، فإذا أنا مت يا أبا محمد، فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإنه من كافور الجنة، جاء به جبرائيل «عليه السلام» إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه، فأني موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فبحيث قام سريري فهو موضع قبوري، ثم تقدم يا أبا محمد وصل علي يا بني يا حسن، وكبر علي سبعا، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي، من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت خلّيت علي يا حسن فنح السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه، فترى قبراً محفوراً، ولحداً مثقوباً، وساجةً منقوبة، فأضعني فيها، فإذا أردت

الخروج من قبري فافتقدني فاتك لا تجدني، واني لاحق بجدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» واعلم يا بني، ما من نبي يموت وان كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين رويهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه، ثم إشرح اللحد باللبن، وأهل التراب عليّ، ثم غيب قبري (وكان غرضه «عليه السلام») بذلك لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بني أمية، فإنهم لو علموا بموضع قبره لحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا يزيد بن عليّ بن الحسين «عليهم السلام») ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظهر الكوفة على ناقه، وأمر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه، ثم قال: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله، كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ههنا، فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله، والصبر على بلائه، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق، وقال: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلهم يقولون: عجل قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال: استودعكم الله جميعاً، سدّدكم الله جميعاً، حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله وكفى بالله خليفة، ثم قال: وعليكم السلام يا رسل ربّي، ثم قال: «لمثل هذا فليعمل العاملون، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»^(١). وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً، وما زال يذكر الله كثيراً، ويتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده

(١) مقتبس من قوله تعالى في سورة النحل: ١٢٨.

ورسوله، ثمّ قضى نحبه صلوات الله عليه، وكان وفاته في ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان، وكانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة. فعند ذلك بكت مولاتنا زينب _ أم المصائب، عقيلة البيت الهاشمي _ بكاءً حاراً، فعلم أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قبض، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة، فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب، وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلما أظلم الليل تغيّر أفق السماء، وارتجت الأرض، وجميع من عليها بكوه _ والكلام لمحمد بن الحنفية ابن الإمام عليّ صلوات الله عليه _ ثمّ قال: وكنا نسمع جلبة وتسييحاً في الهواء، فعلمنا أنّها من أصوات الملائكة، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر، ثمّ ارتفعت الأصوات، وسمعنا هاتفاً بصوت يسمعه الحاضرون ولا يرون شخصه، يقول:

بنفسي ومالي ثمّ أهلي وأسرتي فداء لمن أضحي قتيل ابن ملجم
عليّ رقي فوق الخلائق في الوغى فهذت به أركان بيت المحرم
وأصبحت الشمس المنير ضياؤها لقتل عليّ لونها لون دلهم

ثمّ قال محمد بن الحنفية: ثمّ أخذنا في جهازه ليلاً، وكان الحسن «عليه السلام» يغسله، والحسين «عليه السلام» يصبّ الماء عليه، وكان صلوات الله عليه لا يحتاج إلى من يقلّبه، بل كان يتقلّب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثمّ نادى الحسن «عليه السلام» باخته زينب وأم كلثوم وقال: **يا أختاه هلمي بحنوط جدّي رسول الله «صلى الله عليه وآله»** فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به، فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة

رائحة ذلك الطيب، ثم لّفوه بخمسة أثواب، كما أمر «عليه السلام» ثمّ وضعوه على السرير، وتقدّم الحسن والحسين «عليهما السلام» إلى السرير من مؤخره، وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حامله من مقدمه جبرئيل وميكائيل، فما مرّ بشيء على وجه الأرض إلاّ انحنى له ساجداً، وخرج السرير من مايل باب كنده، فحملاً مؤخره وسارا يتبعان مقدمه.

قال ابن الحنفية «رضي الله عنه»: والله، لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمر بالحيطان والنخل فتحنى له خشوعاً، ومضى مستقيماً إلى النجف إلى موضع قبره الآن، قال: وضجت الكوفة بالبكاء والنحيب، وخرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات، فمنعهن الحسن «عليه السلام» ونهاهن عن البكاء والعيول، وردهن إلى أماكنهن والحسين «عليه السلام» يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم انا لله وانا إليه راجعون، يا أباه، وا إنقطاع ظهراه، من أجلك تعلمت البكاء، إلى الله المشتكى.

فلما انتهيا إلى قبره وإذا مقدّم السرير قد وضع، فوضع الحسنان «عليهما السلام» مؤخره، ثمّ قام الحسن «عليه السلام» وصلى عليه، والجماعة خلفه، فكبر سبعاً كما أمره به أبوه «عليه السلام» ثمّ زحزحنا سريره وكشفنا التراب وإذا نحن بقبر محفور، ولحد مشقوق، وساجة منقورة مكتوب عليها: هذا ما ادّخره جدّه نوح النبيّ للعبد الصالح الطاهر المطهر، فلما أرادوا إنزاله سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة، فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدهش الناس عند ذلك وتحيروا، وأحد أمير المؤمنين «عليه السلام» قبل طلوع الفجر...

فلما كان الغداة اجتمعوا لأجل قتل الملعون ابن ملجم، فدخلت على الإمام الحسن «عليه السلام» أمّ كلثوم، وأقسمت عليه أن لا يترك الملعون في الحياة ساعة واحدة، وكان قد عزم على تأخيره ثلاثة أيام، فأجابها إلى ذلك وخرج لوقته وساعته، وجمع أهل بيته وأهل البصائر من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»

الذين كانوا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كصعصعة والأحنف وما أشبههما رضي الله عنهم، وتشاوروا في قتل ابن ملجم لعنه الله تعالى، فكلّ أشار بقتله في ذلك اليوم، واجتمع رأيهم على قتله في المكان الذي ضرب فيه الإمام عليّ «عليه السلام». فقال عبد الله بن جعفر: اقطعوا يديه ورجليه ولسانه واقتلوه بعد ذلك، قال ابن الحنفية رضي الله عنه: اجعلوه غرضاً للنشأب وأحرقوه بالنار، وقال آخر: اصلبوه حياً حتى يموت، فقال الحسن «عليه السلام»: أنا ممثّل فيه ما أمرني به أمير المؤمنين «عليه السلام» أضربه ضربة بالسيف حتى يموت فيها، وأحرقه بالنار بعد ذلك، قال: فأمر الحسن «عليه السلام» أن يأتيه به، فجاءوا به مكتوفاً حتى أدخلوه إلى الموضع الذي ضرب فيه الإمام عليّ «عليه السلام» والناس يلعنونه ويوبخونه، وهو ساكت لا يتكلم، فقال الحسن «عليه السلام»: **يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين «عليه السلام» وإمام المسلمين، وأعظمت الفساد في الدين، فقال لهما: يا حسن ويا حسين، عليكما السلام ما تريدان تصنعان بي؟ قالاه: نريد قتلك كما قتلت سيدنا ومولانا.**

فقال لهما: اصنعا ما شئتما أن تصنعا، ولا تعنفا من استزلّه الشيطان فصدّه عن السبيل، ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر، ونهيتها فلم تنته، فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد، ثم بكى، فقال له: **يا ويلك ما هذه الرقة؟ أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيئتك؟** فقال ابن ملجم لعنه الله: **{استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنسأهم ذكرَ الله أولئك حزبُ الشيطانِ إلا إنَّ حزبَ الشيطانِ همُ الخاسرونُ}**.^(١)

فقام الحسن «عليه السلام» وأخذ السيف بيده، وجردّه من غمده فهزّه حتّى لاح الموت في حدّه، ثمّ ضربه ضربة أدار بها عنقه، فاشتد زحام الناس عليه،

(١) المجادلة: ١٩.

وعلت أصواتهم، فلم يتمكن من فتح باعه، فارتفع السيف إلى باعه فأبرأه، فانقلب عدو الله على قفاه يخور في دمه... وابتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم، فقطعوه إرباً إرباً، وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار، ثم جمعوا جثته وأخرجوه من المسجد، وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار وطموه بالتراب، وهو يعوي كعوي الكلاب في حفرة إلى يوم القيامة، وأقبلوا إلى قطام ملعونة الفاسقة الفاجرة فقطعوها بالسيف إرباً إرباً، ونهبوا دارها، ثم أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة وأحرقوها بالنار، وعجل الله بروحها إلى النار وغضب الجبار^(١).

وهكذا رُفِعَ عن هذه الحياة جسد المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وظل فكره ومنهجه نبراساً ومنهلاً ينتهل منه الشيعة، بل الإنسانية جمعاء على مر الأجيال هدى وتقوى وفضيلة.
عظّم الله لك الأجر يا مولاي، يا صاحب الزمان، بجدك عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.

ألا من مناد يناد: وإماماه! وإسيّده! وإعليّاه!
آه! اليوم فلتسكب الأيتام عبرتها، ولتدوي صرخة المظلومين على
فقد وليّها وناصرها.

ساعد الله قلبك يا مولاي يا أبا محمّد المجتبي!
ساعد الله قلبك يا مولاي يا أبا عبد الله، يا ذبيح الله!
ساعد الله قلب مولاتنا زينب، أمّ المصائب!
في مثل هذه الليلة، ما أثقل الوحشة على قلب مولاتنا زينب «عليها السلام»
أمّا وحشة كربلاء فهي أشدّ وأعظم فأخذت مولاتنا زينب تحوم من مكان إلى

(١) بحار الأنوار: ٤٢/٢٩٠ - ٢٩٨.

مكان، ومن خيمة إلى خيمة، مرّة تذكر جدّها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومرّة تذكر أمّها الزهراء «عليها السلام» ومرّة تذكر مصاب أبيها أمير المؤمنين «عليه السلام» ومرّة تذكر مصاب أخيها الحسن «عليه السلام» ولكن هذا كلّه يهون أمام وحشة كربلاء في الليلة الحادية عشرة من المحرم، لمّا خرجت من الخيام متوجّهة إلى جسد أخيها الحسين «عليه السلام» محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، حتى قطع اصبعه وسلب خاتمه.

وا حسيناها! وا حسيناها! وا حسيناها!

إنا لله وإنا إليه راجعون.

{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} (١)

البحث الحادي والعشرون

في حجة علي بن أبي طالب
عطية ونول ومطرودة لكل بيعة ومول

في إرسال جميع الرسل بولاية

المولى «عليه السلام»

من خلال قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

أَتَانِي مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدَ، رَبُّكَ يُقْرِنُكَ
السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: سَلِ الرُّسُلَ عَلَيَّ مَاذَا أَرْسَلْتَهُمْ مِنْ
قَبْلِكَ؟ فَسَأَلْتَهُمْ، فَقَالُوا: عَلَيَّ وَوَلَايَتِكَ وَوَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، انْتَهَيْتُ مَعَ جِبْرِئِيلَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ،
فَرَأَيْتُ بَيْتًا مِنْ يَأْقُوتِ أَحْمَرَ، فَقَالَ جِبْرِئِيلُ: هَذَا هُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، خَلَقَهُ اللَّهُ
تَعَالَى قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ يَا مُحَمَّدَ فَصَلِّ.
وَجَمَعَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ أَتَانِي مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَقَالَ:
يَا مُحَمَّدَ، رَبُّكَ يُقَرِّئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ سَلِّ الرَّسُلَ عَلَى مَاذَا أُرْسَلْتَهُمْ مِنْ
قَبْلِكَ؟ فَسَأَلْتُهُمْ، فَقَالُوا: عَلَى وِلَايَتِكَ وَوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (١).

إعلم، هداانا الله وإياكم إلى الصراط القويم، ومنحنا القلب السليم، إن
الآيات والدلائل في توقف الأعمال على ولاية المولى الهمام، فارس بني
غالب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، واضحة جلية، لا تحتاج إلى
كثير عناء، بل هي واضحة بنفسها موضحة لغيرها، كالنور الظاهر بنفسه
المظهر لغيره، ولكن مع هذا الظهور ووضوحه الجليّ تلاحظ بعض الناس
ممن عشعش في قلبه الشيطان، فأنساه مولاه يثير الشكوك والأوهام هنا
وهناك، ويحاول أن يتمسك بظواهر بعض الآيات القرآنية، ويتوقف عليها،
ويحاول أن يدسّ سمومه وهمومه في المجتمع والفرد المسلم، حتى يزرع
الشكوك

(١) تفسير الثعلبي — مورد الآية — عنه البرهان: ٥٥/٤.

والأوهام في قلوب الناس، فمن الآيات التي يتمسك بظاهرها البعض، قوله تعالى:

{فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}.^(١)
في هذه الآية المباركة تزل الأقدام إن لم يحكم الإنسان اعتقاده بالمعصوم «عليه السلام». فما المقصود من قوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ}.

أبناء الظاهر إذا جمدوا على الظاهر القرآني وقعوا في مشكلات، ووقعوا في حيص بيص^(٢)، وبالتالي لم يخرجوا من هذه المشكلة، إلا بالخذلان والخسران فلهذا ينبغي على الإنسان أن يكون متأملاً في المعنى الواقعي للآية الشريفة.

فهنا نبحت في هذه الآية الشريفة _ التي ظاهرها: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان شاكاً فيما أنزل إليه، والعياذ بالله _ عدّة مسائل:

المسألة الأولى: مسألة الشك بالنسبة إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

المسألة الثانية: أمر الله تعالى الرسول «صلى الله عليه وآله» بالسؤال ممن قرأ الكتاب قبل النبي «صلى الله عليه وآله» ليستيقن، ثم يقول: {لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}.

إذا أخذنا بظاهر الآية الكريمة وقعنا في مشكلات، وخرقنا القواعد والمسالك المثبتة في الجوانح في باب الاعتقادات، إذ كيف ينزل القرآن بالخطاب {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ}؟! على صدر صاحب

(١) يونس: ٩٤.

(٢) يعني الاختلاط، والشدة والضيق.

التنزيل الذي نزل على صدره صلوات الله عليه وآله القرآن الكريم،
ويكون في شك؟!!

إذا عملنا بالظاهر في هذه الآية وأمثالها، فإن ذلك مساوق لمحق
القواعد، وإفناء المسالك والمشارب التي يقوم عليها أساس المعتقد، خصوصاً
نحن ندين بكماليتها وتاميتها صلوات الله عليه وآله، من جميع الحيثيات
والجهات، وأنه في كامل اليقين، وأتم اليقين، وأعلى من ذلك إن كان هناك
معنى اضافي، إذن، كيف نعالج هذه القضية المؤلفة من شقين؟
الشق الأول: فيما يرتبط بحلول الشك بظاهر الآية القرآنية الكريمة،
أنت شاكّ فيما أنزلنا.

والشق الثاني: في قوله تعالى: {فَسأَلِ الَّذِينَ يَقرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ}. هل النبي «صلى الله عليه وآله» يلتبس عليه شيء حتى يسأل؟!
إذن، لا بد أن نجد علاجاً موضوعياً ودراسة متينة لهذه الآية المباركة،
فنحاول أولاً معرفة سبب نزول هذه الآية؛ حتى يتضح لنا المعنى.

نقول: الآية نزلت حينما عرج المصطفى «صلى الله عليه وآله» وكان عروجه
إلى السماوات، ثم إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، هنا توجد نقطة مهمة
نقف قليلاً عندها، حيث عبر «صلى الله عليه وآله» كل الحواجز، ووصل إلى مقام لا
يحل لأحد، سواء كان نبياً أو وصياً أو ملكاً مقرباً أن يجتازه، قال تعالى في
سورة النجم {فَأوحى إلى عبده ما أوحى}.^(١)

أورد القمي «رحمه الله» في تفسيره، أنه قال: لما أُسري برسول الله «صلى الله
عليه وآله» إلى السماء، فأوحى الله إليه في عليّ صلوات الله عليه ما أوحى، من
شرفه وعظمه عند الله، وردّ إلى البيت المعمور، وجمع له النبيين فصلوا
خلفه، عرض في نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» من عظم ما أوحى الله إليه
في عليّ «عليه السلام»

فأنزل الله:

﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. يعني الأنبياء، فقد أنزلنا عليهم في كتبهم من فضله، ما أنزلنا في كتابك ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). فقال الصادق «عليه السلام»: «فَوَ اللَّهُ مَا شَكَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَمَا سَأَلَ»^(٢).

وقال الاسترآبادي «رحمه الله»: وهذا مثل قوله تعالى:

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^(٣).

ومعنى عرض في قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» أي، خطر على باله، عظم ما أوحى الله إليه في عليّ وفضله، ولم يكن عنده في ذلك شك؛ لأن فضل عليّ «عليه السلام» من فضله الذي فضل على الخلق أجمعين؛ ولأجل ذلك قال «صلى الله عليه وآله»: «يا عليّ، ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا».

يعني حقيقة المعرفة وفضل كل منهما على قدر معرفته بالله الذي لا يعرف ولا يعلم فضلها إلا هو سبحانه وتعالى، ومن يكن هذا قوله كيف يكون عنده في فضله شك؟

وإنما قال هذا القول للشاك من أمته، في فضل عليّ «عليه السلام»؛ لينتبه الغافل ويقول: إذا كان هذا قول الله عزّ وجلّ لنبيّه، وهو غير شاكّ في فضل وصيّه فكيف حال الشاك؟!!

(١) يونس: ٩٤ - ٩٥.

(٢) تفسير القمي «رحمه الله»: ٣١٧/١. عنه تأويل الآيات الظاهرة: ٢٢٦.

(٣) الزخرف: ٤٥.

نعوذ بالله منه ومن الشيطان الرجيم. ومن أجل ذلك قال أبو عبد الله «عليه السلام»: «ما شك رسول الله ولا سأل» أي الأنبياء «عليهم السلام»^(١). فلما صار هذا المعنى، ونزل إلى الأرضين أخذ هذه الكلمات للعالمين، وبذلك وقع الإشكال، وبدأ الشك عند الناس وعند المرجفين، فنزل القرآن بلفظ الخطاب المباشر، والمقصود منه:

أفتمارونه، أي المشككين، وقوله: {كُنْتَ فِي شَكٍّ} أي أن قومك في شك باعتبار أن الخطاب إلى الرئيس بلحاظ ذنوب قومه، وهذا معتاد متعارف، فمثلاً؛ إن الملك أو السلطان الأكبر، إذا بعث جيشاً وأمر عليهم قائداً، فإنه إذا أراد أن يوجه أوامره للجيش، فإنه لا يوجه أوامره للأفراد، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك القائد، حتى يكون ذلك أقوى تأثيراً في نفوسهم، وأكثر اندفاعاً في تنفيذ الأوامر. وكذا إذا فعلت مثلاً مجموعة من العشيرة ذنباً، فإن اللوم والتوبيخ يقع عادة على رئيس العشيرة، رغم أن رئيس العشيرة لم يفعل شيئاً إنما الذي أجرى الذنب وارتكب الخطيئة قومه.

فكان الله تعالى يريد أن يقول له: أريد أن أجاريك بهذا الخطاب، لكي يتنبه قومك ومن باب _كما يقول الإمام الصادق «عليه السلام»_: «إياك أعني واسمعي يا جارة»^(٢) وإلا فكيف يشك رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما أنزل إليه؟

لا يمكن أن يتصور هذا المعنى، لأنه لو كان الرسول «صلى الله عليه وآله» شاكاً في نبوة نفسه، أو شاكاً في الله تعالى لكان شك غيره أولى، وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية، لذا قال بعض العرفاء من الكمل: إن المراد هنا في مسألة الشك، أنه صلوات الله عليه وآله جاراهم كأنه

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ٢٢٦.

(٢) تقدم تحريجه.

أحدهم، ونزل الخطاب بلفظ الكاف، والمقصود ليست الكاف الخطابية، وإنما المقصود أولئك الذين ماروه {أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} (١) رآها لما عظمها الله له، ولما بينها الله له حينما أوحى إلى عبده ما أوحى، وهذا المعنى يؤيده سياق الآيات التي جاءت بعدها {لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} أي الحق الذي يدور معه الحق، وهو عين الحق ورحاه، لا يجوز لأحد من العالمين أن يمتار أو يرتاب أو يشك فيه صلوات الله عليه.

ومثل هذا الوزن من الخطاب في القرآن كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ}. (٢)

نسأل: هل الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» تنقصه التقوى — والعباد بالله — حتى يأمره الله تعالى بالتقوى؟! وأنظر قوله تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك}. (٣) فالرسول «صلى الله عليه وآله» لا يصدر عنه الشرك بنحو قطعي فكيف إذن يقول له: {لئن أشركت}؟

وهذا محال؛ لأن صدور الشرك من النبي «صلى الله عليه وآله» محال، كاجتماع النقيضين والضدين، إذن، كيف يجوز أن يخاطبه بهذا؟! في الحقيقة إن هذا الخطاب هو بلحاظ القوم، أي لئن أشركت أمك ليحبطن عملها، وهذا أمر متعارف عند العرب آنذاك في مثل هذه الخطابات العتابية، وفي مثل هذه الخطابات التعليلية كما ذكرنا. لما تأتي إلى رب الأسرة وتخاطبه، وابنه هو المعتدي، تقول له :

(١) النجم: ١٢ — ١٨.

(٢) الأحزاب: ١.

(٣) الزمر: ٦٥.

أنت تجاوزت! أنت ماذا فعلت؟ وأنت جنيت ! أنت، ليس مقصودك الأب، وإنما مقصودك فعل الابن، مقصودك تجاوز الابن. هذا هو الأمر الذي عليه الحق المبين، وربما يتبادر إلى ذهن بعض من الناس ويقول: هذا جاري في المخاطبات العرفية وفي اللحظات الدنيوية، ولا يجري هذا في القرآن.

نقول: كيف حكمت بذلك والقرآن نزل بلغة العرب؟! نزل لهداية الناس فيجب أن يأخذ في هكذا مناحي أسلوبهم أيضاً، إضافة إلى أن القرآن كما تقدّم عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، نزل، بإيالك أعني واسمعي يا جارة.

إذن، ينبغي أن نفسره بهذا المعنى كما فسره المعصوم صلوات الله عليه.

فقوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}. (١) يعني الأنبياء (٢).

فعندما يقول الله تعالى: {فَسْأَلِ} السؤال له جوابان:
الأول: بأنّ السؤال كان في مقام المعراج، حيث خاطب «صلى الله عليه وآله» جميع الأنبياء والمرسلين، لما صلى بهم في السماء الرابعة، ووجه إليهم سؤالاً:

(بِمَ أَرْسَلَكُمْ اللهُ؟)

فأجابوا: بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ علياً أمير المؤمنين.

فرسالة الأنبياء، وكيان الأوصياء وديانة الأولياء، وعمل الأزكيا

(١) يونس: ٩٤.

(٢) تقدّم في هذا البحث، عن الإمام الصادق «عليه السلام» فراجع.

قائم على أساس الإعتراف بالتوحيد والنبوة والولاية، فالولاية هي المحور الأساسي الذي أراد الله عزّ شأنه أن تدور عليه رعى التشريعات، فكلّ الرسالات وكلّ الأنبياء «عليهم السلام» لا يمكن أن يصلوا إلى رتبة ومقام المصطفى «صلى الله عليه وآله» ورتبة رسالته الشريفة؛ ومع ذلك جعل كل رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» متوقفة على إبلاغ الولاية لعلي «عليه السلام» {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...} (١)، فإذا كانت رسالة المصطفى وعظمته وكفاحه ومجاهدته وجهاده متوقفاً على هذا المحور، فكيف بالرسالات القبلية والديانات السابقة التي هي بمنزلة التوطئة إلى هذه الرسالة العظمى؟!

إذن، ما أوحى هو عبارة عن عظم وجلالة وقدر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، يعني أنّ العبادة القصوى هي قائمة على هذا المحور، ولا تكون العبادة عبادة تامّة إلا أن يكون المحور فيها الولاية.

بل أزيدك بآية قرآنية فيها دلالة واضحة على هذا، وهي قوله تعالى:

{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (٢).

أيوزن بعمل المصطفى «صلى الله عليه وآله» عمل؟! مع هذا كلّه والقرآن يخاطب الناس بأنّ الأجر محصور في المودة للقربى أي، جميع أعمال الرسول «صلى الله عليه وآله» توزن بشيء واحد هو «المودة في القربى».

ما هي حقيقة هذه المودة؟ ومن هو صاحب القربى الذي جعل عمل المصطفى الذي لا يمكن أن يقاس به عمل بمثابة المودة في القربى؟ ومن هم القربى الذين ساووا أجر المصطفى في كلّ أعماله وعباداته، وفي كلّ مناجاته وكلّ أدعيته، في كلّ توجيهاته، في كل ما رميت وما رميت من طه

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الشورى: ٢٣.

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، {يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ}، {كهيعص}،
{الم}، وما إلى ذلك؟

هذه كلها في كفّ، والقربى الذين هم عليّ وآل عليّ في كفّ آخر.
القرآن يريد أن يقول: إنّ أجرك ووزن عملك هو: «القربى» مع أنّه لو
قيست الدنيا وما فيها ما بلغت سجدة من سجّداته، لو قيست الجنان وما فيها
ما كانت توازي ركعة من ركعات المصطفى «صلى الله عليه وآله» لو أتيت بالثقلين
والكونين والعالمين والسموات والأرضين، وما فيها من خلائق ما ساووا
تكبيرة من تكبيرات رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهذه كلّها متوقّفة على
«القربى» فأَيّ غلوّ هذا؟!!

ماذا تعرف عنهم حتّى تتّهم الآخرين بالغلوّ؟!
أيّها الشاكّ في مراتب أهل البيت، لماذا لا تقرأ القرآن بتمعّن؟! أدرس
وتعلّم، القرآن أراد أن يبيّن بآيات محكمات، وبكلمات بيّنات، فأوحى إلى عبده
ما أوحى، لماذا لا تتدبر في معنى هذه الآيات، قال تعالى:
{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}.^(١)

فما هو علم الغيب؟ ما هو علم الشهود أمام هذه الحقيقة العظيمة؟
لقد أصبحت كلّها تحت قدم المصطفى «صلى الله عليه وآله» كلّها تبخرت بما
فيها، كيف لا، وقد قال جبرائيل: «لو دنوت أنملة لاحتُرقت»^(٢)؟! لقد اخترق
المصطفى «صلى الله عليه وآله» كلّ ذلك، وصعد إلى حيث مقام قاب قوسين أو
أدنى، علينا أن نتدبر في جميع آيات القرآن ولا نتوقف على الظاهر فقط؛
لأنّ آيات القرآن تفسّر وتبيّن بعضها.

فالعجب كلّ العجب! أن يبقى الإنسان جامداً على اللفظ ولا يتحرّك، ثمّ

(١) النجم: ٨ - ٩.

(٢) راجع البحار: ٣٨٢/١٨ ضمن ح ٨٦.

يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» بِأَنَّهُ شَكَ فِي صَلَاتِهِ مِثْلًا، كَمَا هُوَ وَارِدٌ فِي بَعْضِ كُتُبِ الصَّحَاحِ عِنْدَ أَبْنَاءِ الْعَامَّةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» ذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ يَصَلِّي، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ بَدَلَ الْأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ!! فَلَمَّا سَلَّمَ وَذَهَبَ، وَإِذَا بِالنَّاسِ تَنَادِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ صَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ بَدَلَ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ!!^(١)

هَذِهِ الْحَادِثَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمَصَلِّينَ كَانُوا أُنْبِيَهُ وَأَكْثَرَ ذِكَاةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»!! _ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ _ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْسُوا وَالرَّسُولَ قَدْ نَسِيَ!! تَعَالَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، لَمْ يَتْرَكُوا لِرَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» قِيَمَةَ وَلَا اعْتِبَارًا، وَلَقَدْ بَلَّغُوا فِي اسْتِخْفَافِهِمْ وَدِنَاءَتِهِمْ مَبْلَغًا فَأَخَذُوا يَتَّهَمُونَهُ بِالنَّسْيَانِ وَالشُّكِّ، وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}.

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعِيًّا وَدَقِيقًا مَعَ كُلِّ آيَةٍ حَتَّى يَحْضِيَ بِالْغَنِيمَةِ، وَيَفُوزَ بِالْقَدْحِ الْمَعْلَى بِمَعَارِفِ آلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ {لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ} يَعْنِي، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» لَا تَكُونُوا {مِنَ الْمُتَرَبِّينَ} فِي شَأْنِ الْحَقِّ الْأَعْظَمِ، وَالْوَلِيِّ الْأَكْبَرِ إِمَامِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عَلَيْهِ السَّلَام».

قَدْ يَتَصَوَّرُ الْبَعْضُ وَيَدَّعِي إِنَّا عِنْدَمَا نَتَكَلَّمُ عَنْ مَقَامَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عَلَيْهِ السَّلَام» وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى نَنْسِي أَوْ نَتَغَافَلُ أَفْضَلِيَةَ الرَّسُولِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» أَوْ نَفْضَلَ الْإِمَامِ عَلِيًّا «عَلَيْهِ السَّلَام» عَلَى رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَهَذَا اشْتِبَاهٌ بِلَا أَدْنَى رَيْبٍ، نَحْنُ نَقُولُ:

(١) أَنْظَرَ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ: ٨٥/٢ (بَابُ مَا جَاءَ فِي السُّهُوِّ)، صَحِيحَ مُسْلِمٍ: ٦٩/٥، سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ: ٣٨٣/١ ح ١٢١٣، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٢٤٧/٢ ح ٣٩٩، سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: ٢٦/١ ح ١٠٠٨ وَغَيْرِهَا.

إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي عرج، وهو الذي رأى، وهو الأفضل بلا شكّ، ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أراد أن يبيّن بأنّ قيامي بهذا، وإن كنت أنا المقدّم عليه كما يقول القرآن، إن هو إلاّ إفصاح عن جليل قدره، وبيان لعلّ منزلته «عليه السلام».

هذه المعاني لا تفوت الأولياء والأذكياء العرفاء، حياتنا قائمة على أساس المعرفة الحقّة، ترى فهل نصرف أعمارنا في معرفة الهواء والماء والنار وننسى أصل الهواء والماء والنار؟! هذه الآيات التي من عرفها فقد عرف ربّه حق معرفته، وفي ذلك يقول

الإمام الحجّة «عجل الله فرجه» في أدعية شهر رجب: (١)

«فجعلتهم معادن كلماتك وآياتك، وأركاناً لتوحيدك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقك».

صاروا هم صلوات الله عليهم، الوجه الذي يتوجّه إليه الأولياء، وهم المقصودون في الفروض والنوافل، فحينما تتوجّه بمقاديم وجهك إلى النور كما تتوجّه بمقاديم بدنك إلى الكعبة، فإنّ السجود ليس للكعبة، وإنما بها إلى الله تعالى، وكذلك بالنور الذي فيها إلى الله، وهذه هي العبادة الحقّة، وهذا هو التوحيد، والذي يخالف هذا فهو شرك يقيناً.

فالشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، في ليلة ظلماء... كما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» (٢). فنحن نصليّ باتجاه الكعبة، لا نسجد للكعبة، ولكن نتوجّه بها إلى الله تعالى، فإذا كان التوجّه إلى الله بالكعبة وهي

(١) تقدّم تخريج ذلك.

(٢) أورده العلامة المجلسي «رحمه الله» في بحار الأنوار: ٩٣/٦٩ ح ٣.

الأحجار، فكيف بالنور الذي ولد فيها صلوات الله عليه؟!
هذه هي الحقيقة، إلا أن الحقيقة مرّة على قلوب وضمائر أعداء آل
محمد، ولكن ما أعذبها على القلوب التي ارتوت من حبهم صلوات الله
عليهم الكثير الكثير، وسقيت بماء الكوثر، ونُقر فيها من العليّ الأعلى، ودقّ
فيها عنوان الهداية، جعلنا الله وإياكم من المهتدين السالكين على طريقهم
صلوات الله عليهم، ما جنّ ليل، وإنبلج صباح.

البحث الثاني والعشرون

كاتبها: تيبكرها الإمامة وفضيلة لا يجحد ما إلا جاهد

في معنى ليلة القدر

من خلال قول الإمام الصادق «عليه السلام»:

مَنْ عَرَفَ فَاطِمَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ *
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} (١).

عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال:

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} الليلة فاطمة؛ لأنَّ الخلق فطموا عن

معرفة لها.

وقوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني خير من ألف مؤمن، وهي أم المؤمنين. وقوله: {تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا} والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد «صلى الله عليه وآله».

والروح القدس هي فاطمة «عليها السلام».

وقوله: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} يعني،

حتى يخرج القائم «عليه السلام». (٢)

قال تعالى: {حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا
كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ} (٣).

(١) سورة القدر: ١ - ٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٥٨٣ - مورد السورة.

(٣) الدخان: ١ - ٥.

أسرار هذه الليلة، بل أسرار أهل البيت صلوات الله عليهم، أودعت في قلب هذه السورة وسنرى كيفية انطواء السرّ الملكوتي، والحق الإلهي في بطن هذه السورة.

الآية صريحة وبيّنة، ومبينة، قوله تعالى {حم} هذا اللفظ موجود في بعض الكتب السماوية، وموجود في بعض الصحف، حيث إنّ اسم المصطفى «صلى الله عليه وآله» الذي يأتي في آخر الزمان كان يسمّى عندهم بـ «حم».

روى الشيخ الكليني «رحمه الله» _ في خبر طويل _ بإسناده عن يعقوب ابن جعفر بن إبراهيم، قال: كنت عند أبي الحسن «عليه السلام» وقد أتاه رجل نصراني وسأله عن مسائل، منها: أن قال له: إنني أسألك _ أصلحك الله _ . قال: سل.

قال: أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله» ونطق به، ثمّ وصفه بما وصفه به، فقال:

{حم} * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ *
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ { ما تفسيرها في الباطن؟

فقال: أمّا {حم} فهو محمد «صلى الله عليه وآله» وهو في كتاب هود «عليه السلام» الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف.

وأما «الكتاب المبين» فهو أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

وأما الليلة ففاطمة «عليها السلام»...^(١)

وهذا سرّ، إن لفظ (الحاء والميم) الذي به تحققت جميع العوالم الإمكانية والوجودية الغيبية والشهودية، سرّها، مطلعها، إشراقها بهذه الميم، والختم بالفجر {سلام هي حتّى مطلع الفجر}^(٢)

(١) الكافي: ٤٧/١ ضمن ح ٤.

(٢) القدر: ٥.

أي حتى مطلع القائم من آل محمد، صلوات الله عليهم.
وروي بالإسناد المتصل، عن حمران، أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام
عما يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدر الله فيها؟

قال: لا توصف قدرة الله، إلا أنه قال:
بِهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} فكيف يكون حكيماً إلا ما فرق، ولا توصف
قدرة الله سبحانه لأنه يحدث ما يشاء.

وأما قوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» يعني فاطمة «عليها السلام».
وقوله: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا» والملائكة في هذا الموضوع
المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد «عليهم السلام» والروح روح القدس، وهو
في فاطمة «عليها السلام».

«مَنْ كُلَّ أَمْرٍ سَلَامٌ» يقول: من كل أمر مسلمة.
«حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» يعني حتى يقوم القائم «عليه السلام»^(١).
فالميم: هي المفتاح للتسليم على مطلع الفجر، كلها مرتبطة ارتباطاً
وثيقاً لا انفصام له، والسر الذي نكشفه في هذه الليلة يدور حول تعبيرين،
وفي كلمتين هما:

النازل والمنزل عليه، فمن هو النازل؟ ومن هو المنزل عليه؟
روى الكليني بسنده المتصل عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
كان علي «عليه السلام» كثيراً ما يقول: ما اجتمع التيمي والعدوي عند
رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقرأ: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» بتخضع إلا قال: ما أشد
رقتك لهذه السورة؟

فيقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لما رأته عيني ووعى قلبي، ولما
يرى

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ٧٩١، عنه البرهان: ٣٤٢/٨ ح ٢٧.

قلب هذا من بعدي.
فيقولان: وما الذي رأيت؟ وما الذي يرى؟
قال: فيكتب لهما في التراب {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}.

قال: ثم يقول: هل بقي شيء بعد قوله عز وجل: «كل أمر».
فيقولان: لا.

فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟

فيقولان: أنت يا رسول الله.

فيقول: نعم.

فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟

فيقولان: نعم.

فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟

فيقولان: نعم.

قال: فيقول: إلى من؟

فيقولان: لا ندري.

فيأخذ برأسي ويقول: إن لم تدريا فادريا، هو هذا من بعدي.

قال: فإنهما كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من

شدة ما بداخلهما من الرعب^(١).

تنزل: يعني في كل وقت من ليلة القدر من كل أمر، فالتنزل بلا أدنى
ريبٍ ماضٍ ومستمرٍ، لأن صيغة المضارعة تقتضي الديمومة والاستمرار
وعدم الانقطاع في كل أمر، والأمر الذي يكون من بعدي لصاحبي هذا، لأن

(١) الكافي: ٢٤٩/١ ح ٥٥، مرآة العقول: ٨٦/٣ ح ٥٥.

«كلّ» شاملة لما فيها أمر هذا؛ لأنها كلية، فحينئذ تشمل كلّ الأمور، لا تفسّر الكلية بالصحة والسقم، والموت والحياة، والأكل والشرب، أنت تسمع من مصادر مختلفة أنّ الله تعالى في هذه الليلة يقدر لك الأمور كلّها من منايا وبلايا، وأرزاق وآجال، وقضايا مختلفة إلى آخره، فكيف يهمل أمر الولاية العظمى؟!

لذلك ورد عندنا إنّ أفضل دليل تستدلّ به وتكّم أفواههم، وتقضي عليهم بأن تستدلّ بسورة القدر، فإنها سورة أهل البيت «عليهم السلام».

عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: يا معشر الشيعة، خاصموا بسورة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} تفلجوا، فوالله، إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا...^(١)

{تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}

فهذا الكلّ ألا يشمل أمر أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

إمّا أن تقول: كلّ أمر يصدق على كلّ شيء وهو المطلوب، وإمّا أن لا تقول بذلك، وهذا كفر.

إذن، يصدق الأمر في تطبيق الكلية على كلّ المفردات الوجودية، بل إنّ أمر الإمامة والولاية والزعامة المطلقة لهم «عليهم السلام» أفضل أمر في عوالم التكوين والتشريع، أفضل من الأكل والشرب، وما إلى ذلك من تقسيمات وصنوف الحياة.

ولهذا نقل عن علمائنا، أنّهم قالوا:

يستحبّ في كلّ فرائضك في أوّل ركعة بعد سورة «الحمد» أن تقرأ

سورة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ».

هناك أحد المراجع في النجف، ثمّ في قم المقدسة ما كان يترك سورة

(١) الكافي الشريف: ٢٤٩/١.

القدر في الركعة الأولى، والتوحيد في الركعة الثانية، لماذا؟

بعض علمائنا له تعليل لطيف يقول:

إنما يستحب قراءة القدر في الأولى، والتوحيد في الثانية؛ لأنّ سورة القدر هي سورة النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» فجعلهم المصلي وسيلة إلى الله تعالى؛ لأنه بهم وصل إلى معرفته، وأما التوحيد، فالدعاء على أثرها مستجاب^(١).

ولا يعرف التوحيد ولا يمكن أن نصل إلى عمق وأسرار التوحيد ومعارف التوحيد، وأن نكون من الموحدين إلا بعد المرور على سورة الميامين «القدر» ومعرفة آل محمد^٥ تفصيلاً لنتوسل بها.

تأمل في قوله تعالى من سورة الدخان:

﴿حَمْدٌ ~ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

قال الإمام أبو الحسن «عليه السلام»: «فيها يفرق» في ليلة القدر «كل أمر حكيم» أي يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء والمشئنة، يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء، ويلقيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ويلقيه أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الأئمة «عليهم السلام» حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان «عليه السلام» ويشترط له ما فيه البداء والمشئنة والتأخير^(٢).

فإذا كان الإمام الحجّة «عليه السلام» كانت ليلة القدر، تنزل عليه الملائكة والروح في تلك الليلة، ويقدمون له كل شيء صلوات الله وسلامه عليه.

(١) راجع البحار: ٣١/٨٢ ح ٢١.

(٢) أنظر تفسير البرهان: ١٦١/٧ ح ٤.

ثم تأمل هذا السرّ في قوله تعالى: {أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا} هذا الأمر نازل من عندنا {إِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ} (١)، التفتت هنا إلى أمر عجيب، يقول القرآن الكريم: {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ}. ما المراد بالروح؟

هناك من يقول: إنّ الروح هو جبرائيل.

نقول: إنّ جبرائيل «عليه السلام» من الملائكة، كما هو ثابت في روايات المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. روي عن سعد الإسكاف، أنّه قال:

أتى رجل أمير المؤمنين «عليه السلام» يسأله عن الرّوح ، أليس هو

جبرئيل؟

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: جبرائيل «عليه السلام» من الملائكة والرّوح غير جبرئيل. فكبر ذلك على الرّجل، فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أنّ الرّوح غير جبرئيل؟!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: إنّك ضال تروي عن أهل الضلال، يقول الله: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} * يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ (٢) والرّوح غير الملائكة صلوات الله عليهم .

الإمام «عليه السلام» يقول: جبرائيل من الملائكة، وعادة العطف تقتضي التغاير، والمعروف في اللغة أنّ العطف والمعطوف متغايران، فلا يمكن أن نقول: جاء زيد وزيد، وإنّما نقول: جاء زيد وعمرو، ولهذا ينبغي التوقف. والتأمل جيداً في قوله {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ}.

إذ أنّ الروح سرّ من الأسرار العجيبة، والذي يعرف قيمة الروح، ويعرف سرّ الروح، حينئذ يصل إلى المراد من الروح، ويبلغ المقامات العليا، ويكتب في ليلة القدر من الموفقين إن شاء الله تعالى.

(١) الدخان: ٥.

(٢) النحل: ١ - ٢.

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: التقدير في تسع عشرة، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين^(١) فيكون الإمضاء على يد الروح.

روى الكليني بسنده المتصل عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن قول الله عزّ وجلّ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...}.^(٢)

قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو مع الأئمة وهو من الملكوت^(٣).

ترى هذا الخلق الذي هو أعظم من جبرائيل، ما هي ماهيته؟
روي عن الإمام أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال: (... وأما قوله تعالى: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}. يعني فاطمة «عليها السلام» {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}^(٤). وقوله ، والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد «صلى الله عليه وآله» والروح روح القدس وهي فاطمة «عليها السلام»...^(٥)

إذن السرّ الذي نستكشفه في أنّ النازل هو الذي عليه المدار في القرون الأولى، يقول الإمام الصادق «عليه السلام»:

هي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى^(٦).
والدليل من القرآن على أنّها صلوات الله عليها، هي الروح.

(١) تفسير الميزان: ٣٨٢/٢٠.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) الكافي: ٢٧٣/١ ح ٣.

(٤) القدر: ٤.

(٥) تقدم الحديث عن تأويل الآيات الظاهرة: ٧٩١.

(٦) الأمالي للطوسي: ٦٦٨ ح ١٣٩٩.

قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١).

يقول الزمخشري في حادثة المباهلة.

لَمَّا نَزَلُوا الْوَادِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» مُحْتَضِنًا الْحُسَيْنَ، أَخَذًا بِيَدِ الْحَسَنِ، وَخَلْفَهُ فَاطِمَةَ، وَخَلْفَ فَاطِمَةَ عَلِيٌّ^(٢). أُنْظِرُ أَيْنَ صَارَتِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا؟ صَارَتِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ «عَلَيْهَا السَّلَامُ» فِي الْوَسْطِ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ تَتَّصَلَ النَّبِيُّ بِالْإِمَامَةِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْمَحْوَرِّ وَالْوَعَاءِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ «عَلَيْهَا السَّلَامُ» وَكَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ وَلِذَا الْإِمَامَ الْعَسْكَرِيَّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: «نَحْنُ حَجَّجَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَجَدْتَنَا فَاطِمَةَ حِجَّةَ اللَّهِ عَلَيْنَا»^(٣).

فهي التي تقدم ملفات العالمين إلى صاحب العصر والزمان، فتنزل ويتبرك برويتها إمام العصر «عليهما السلام» - لأنها هي الحجة على الحجج. إذن، المدار في هذه الليلة نزول الروح، وهي الأم، وهي الأصل، وهي الوعاء، وهي المحور، وهي النقطة، وهي الوسط الذي يوصل بين النبوة وبين الإمامة، بين الوصاية الإلهية السابقة وبين الوصاية الإلهية اللاحقة، وهي الوصل الذي لا يبد أن يكون «لولاها لما خلقتكما» ولولاها ما كان محمد وعلي، ولا الحسن، ولا كان الحسين صلوات الله عليهم، بنص حديث الأفلak:

«يا أحمد! لولاك لما خلقت الأفلak، ولولا علي لما خلقتك، ولولا

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) أنظر تفسير الكشاف، مورد الآية الشريفة.

(٣) أنظر كتاب (فاطمة الزهراء «عليها السلام» بهجة قلب المصطفى «صلى الله عليه وآله»)

للشيخ أحمد الرحمانى الأصفهاني: استدرak الفصل ٩.

فاطمة لما خلقتكما^(١).

إعزم من هذه الليلة نصره أهل البيت «عليهم السلام» تصيح مشمولاً بدعاء الرسول «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير:

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

وولاية عليّ ونصرته باظهار حقه وحقّ ولده المعصومين صلوات الله عليهم والبراءة من أعدائهم. فلتكن وسيلتنا في الدنيا الكهف الحصين محمّد وآل محمّد وفي الآخرة العروة الوثقى محمّد وآل محمّد وليكن نداؤنا في مشارق الأرض ومغاربها في الآفاق والأنفس والسموات والأرضين في سكرة الموت وساعة الاحتضار وعند مجيء ملك الموت ومنكر ونكير وفي الحشر والنشر وفي عرصة الحساب والوقوف بين يدي الرحمن والدخول في الجنان، فليكن نداؤنا في جميع المواقف محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

جعلنا الله وإياكم من المدافعين عن حقّ آل محمّد «عليهم السلام» والمستشهادين على ذلك بحقّهم صلوات الله عليهم.

(١) عوالم فاطمة الزهراء «عليها السلام» لعبد الله البحراني الأصفهاني: ٤٣/١ (باب أنّه لماذا لولا فاطمة لما خلق النبي «صلى الله عليه وآله»، سفينة البحار: ٣/٣٣٤).

البحث الثالث والعشرون

زينة شريفة ومنقبة مبنية

في معنى الروح

من خلال قول الإمام الصادق «عليه السلام»:

الروحُ رُوحُ القُدُسِ، وَهِيَ فَاطِمَةُ «عليها السلام»

قال تعالى في محكم كتابه الشريف:
﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ
مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. (١)

روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال:
﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ الْمَلَائِكَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
يَمْلِكُونَ عِلْمَ آلِ مُحَمَّدٍ «عليهم السلام» وَالرُّوحُ رُوحُ الْقُدُسِ وَهِيَ فَاطِمَةُ «عليها السلام»
(٢).

تُرى فما المقصود بالروح؟
وما هي الأدلة التي ينبغي أن نسوقها في إثبات المراد؟
في الحقيقة هذا اللفظ واقع في كتاب الله، وصادر من جهة الحق تعالى،
لذا يستدعي بحثاً تاماً، حتى نصل من خلال القرآن الكريم لتفسير الروح بما
بيّننا ونبيّن إن شاء الله.
القرآن الكريم يدعونا إلى التأمل الدقيق، وهذه الكلمة احتلت مساحة
مهمّة في كتاب الله المجيد، وشغلت واقعاً وحيزاً كبيراً في مفاهيم القرآن
الكريم لتبيّن لنا أمراً هاماً.

لماذا يقول القرآن: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾؟
فالأمر النازل عبارة عن شيئين:
الأول: الملائكة.
الثاني: الروح.

(١) القدر: ٤ - ٥.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٧٩١.

العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فعندما يقول إنَّ الملائكة والروح هي التي تنزل فإنه يريد أن يقول إنَّ هناك صنفين: صنفٌ مسمّى بالملائكة، وصنفٌ مسمّى بالروح، قد بيّن الأئمة صلوات الله عليهم، ذلك وقالوا: لو كان المراد بالروح هو جبرائيل، لما صحَّ العطف^(١)، لأنه يريد أن يبيّن قسمين وصنفين، والثابت أن جبرائيل من الملائكة، والقرآن يقول: {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ} بمن فيهم جبرائيل {وَالرُّوحُ}.

وعلى هذا لا بدّ أن الروح لها هوية ثانية تختلف تماماً عن هوية الملائكة، فما هي هذه الهوية، وما هي حقيقتها؟

هذا مرادنا، نريد أن نصل معكم إلى جولة قرآنية لمعرفة الأسرار النورانية لأئمتنا عليهم الصلاة والسلام؛ لأنه إذا حللنا المعنى، واكتشفنا الحقيقة سوف يبرز لنا سرٌّ في أفق الولاية عجيب، فأول شيء لا بدّ منه هو بحث الآيات المباركة.

الآن أنا استعرض الآيات التي تعرّضت إلى بيان موقف الروح، ليس الروح العادية، وإنما الروح التي تنزل في ليلة القدر، إذ لها شأن عظيم، ومنزلة عظيمة لا يرقى إليها أحد إلا أهلها.

قال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} (٢).

لاحظ دقة التعبير إذ أسند القيام إلى الروح، وقدمها على الملائكة، وقوله تعالى: {يَقُومُ} يشعر هذا التعبير أن هناك قياماً وحركة، حيث تقوم الروح والملائكة صفاً، فهي على هذا لها مقام الإشراف على أهل المحشر جميعاً، هذه الروح لها مقام الوقوف بين يدي الله أمام الخلائق أجمعين.

فالآية الكريمة تبين أن للروح شرافة الوقوف، وشفافة القيام

(١) راجع تفسير البرهان: ٣٢٨/٨ ح ١.

(٢) النبأ: ٣٨.

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} هنا أسند لها الحركة، وبالتالي خرجت عن كونها من دائرة الواجب المطلق، يعني ليست قضية أزلية، وإنما هي مخلوق.

وقال تعالى في آية أخرى: **{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ}**(١). الروح في هذه الآية المباركة ملقاة من أمره على من يشاء، الله يشاء مجموعة، صفوة خاصة من العباد، اصطفاهم وعلاهم بتعليته، وسما بهم إلى حيث يشاء، وأقامهم مقامه.

التعبير دقيق، فالروح تلقى على من يشاء من عباد، لتكون مع هذه العوالم {عَلَى مَنْ يَشَاءُ} لا على كل شخص.
قال تعالى: **{يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}**(٢).

تنزيل الملائكة بمن يتحقق؟

الروح هي الوساطة في تحقيق الإنزال، يعني الروح هي الوساطة في تحقيق النزول والهبوط من أمره على من يشاء من عباد، هنا التنزيل على من يشاء ولاحظ تنزل الملائكة والروح، هناك ذكرت تنزل في ليلة القدر على المطلق من الحجج، على المعصوم في زمانه، والمعصوم في زماننا هو الحجة المطلق صلوات الله عليه وعلى آبائه. إذن، لاحظ إنه في كل ليلة قدر تنزل الملائكة على من يشاء الله تعالى من عباد، هنا يقول: تنزل الملائكة بالروح على من يشاء من عباد.

(١) غافر: ١٥.

(٢) النحل: ٢.

بعض التفاسير تقول:

إنّ الروح، جبرائيل، ونحن نفينا هذا المعنى؛ لأنّ جبرائيل من الملائكة.

وهناك تفسير يقول: إنّ الروح شيء وخلق أعظم من جبرائيل!

فما هو هذا الشيء الأعظم من جبرائيل؟

القرآن الكريم يقول: إنّ الروح حقيقة وجودية فردية شخصية مشار إليها، والروح ليس شيئاً ملائكياً، وإنما المراد بالروح شيء خارجي، قال تعالى:

{وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} (١) لاحظ، أطلق كلمة روح على

عيسى على نبينا وآله «عليه السلام» ولذلك يصبح عيسى روح الله، كلمة الله.

إذن، هنا الروح صارت عبارة عن وجود شخصي حقيقي خارجي

مسمّى بعيسى بن مريم، فعيسى روح.

الروح قرآناً لا تطلق على الملك، وإنما المراد هنا بالروح هذه

الشخصية المشار إليها بعيسى بن مريم «صلى الله عليه وآله».

فكلمة الروح صحّ إطلاقها على عيسى بن مريم، فإذا صحّ ذلك قرآناً،

تري فماذا تقول روايات أهل البيت «عليهم السلام»؟ الروح المنتزّل من هو؟

هذه التي تنتزّل وتقدّم كلّ التقارير الربّانية، وكلّ الملفات النورانية إلى

الإمام الحجّة «عجل الله فرجه» وكلّ الملفات ما كتب فيها من شرّ، وما كتب فيها

من خير، كلّ هذا بين يدي الإمام، تعظيماً لمقام الروح، وتعظيماً لمقام النازل

عليه، وهو الإمام الحجّة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإذا

صحّ قرآناً أنّ الروح تطلق على شخص اسمه عيسى بن مريم «صلى الله عليه وآله»

أفلا يصحّ إطلاقها

على فاطمة الزهراء «عليها السلام» التي قال بحقها الإمام العسكري «عليه السلام»:

نحن حجة الله على خلقه، وجدتنا فاطمة حجة علينا^(١).
فالمراد بالروح في هذه السورة، هي فاطمة الزهراء «عليها السلام» بل هي الروح الأعظم، والاسم الأتم، والمجلى الأكمل؛ لأن عيسى كلمة، بينما هي الكلمة التامة، عيسى روح، بينما هي الروح الأعظم، ولهذا يوم الحشر يستبين لك هذا المعنى:

روى الصدوق بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر «عليهم السلام» قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة، مدبجة الجنين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمران، عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها، وباطنهما من ظاهرها داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركنًا، كل ركن مرصع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل أخذ بخطام الناقة، ينادي بأعلى صوته:

غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد.
فلا يبقى يومئذ نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد، إلا غضوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة بنت محمد، فتسير حتى تحاذي عرش ربها جل جلاله، فتزج^(٢) بنفسها عن ناقتها، وتقول:

(١) أنظر كتاب فاطمة الزهراء «عليها السلام» بهجة قلب المصطفى «صلى الله عليه وآله» للهمداني، وقد تقدّم تخريجه.
(٢) أي تلقي.

إلهي وسَيدي! أحمك بيني وبين من ظلمني، اللهم أحمك بيني وبين من
قتل ولدي!

فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: يا حبيبي وابنة حبيبي، سليني
تعطي، واشفعي تشفعي، فوعزتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم.
فتقول: إلهي! ذرّيتي وشيعتي وشيعة ذرّيتي، ومحبي ومحبي ذرّيتي.
فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله:

أين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبو ذرّيتها؟
فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدّمهم فاطمة حتى تدخلهم
الجنة^(١).

هذه منازل ليس فيها مبالغات ولا تجاوز عن الحدّ، فهذا إكرام من الله
لأولياء الله صلوات الله عليهم، ولشيعه آل الله.
ولعلّ ما ينبغي ملاحظته هنا أنّ الزهراء سلام الله عليها، في المحشر
هي في الوسط، إذ هي المحور، وكذلك في المباهلة أيضاً، عندما نزلوا
الوادي، كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن،
وخلفه فاطمة، وخلف فاطمة علي^(٢)، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:
إذا دعوت على هؤلاء في أن تحترق الأرض بهم، ويضطرم الوادي
عليهم ناراً ويتأجج تأججاً، فإذا دعوت فأمتوا، يعني، يقولوا: آمين.
ترى هل إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحتاج إلى كلمة آمين؟

=====

(١) أمالي الصدوق: ٦٩.
(٢) أوردناه عن الرازي في مفاتيح الغيب: ٧١/٨ بالمضمون، والسيوطي في الدر
المنثور: ٢٣١/٢.

رسول الله كلمته نافذة في السماوات والأرضين، لكن أراد أن يبين للخلق أجمعين أنّ شرط الإجابة قول فاطمة آمين.

وجدير بالذكر فإنّه من الممكن أن يكون المحور، والوسط، والمركز إشارة إلى الروح، والروح تشير إلى المركز، لأنّ البدن عبارة عن قفص يتكوّن من عظم ولحم ليس إلّا، والحقيقة التي تبعث فيه الحركة والتهوؤ هي الروح، وبمجرّد خروج الروح يصبح البدن جثة هامدة.

فالروح هي الباعثة لنهضة الموجود، وأمّين فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، هو الباعث في هذا الوجود الحركة والنهضة!!

قال خاتم الأنبياء «صلى الله عليه وآله»:

«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»^(١).

يعني: يحل الغضب الإلهي لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها، مرّة يكون التعبير يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، يعني: رضا الله بعد رضا فاطمة، وغضب الله بعد غضب فاطمة؛ لأنّها المحور في عوالم التكوين، ومرّة ترضى لرضاها، وتغضب لغضبه، يعني، أنها إذا رضيت فبلا أدنى إشكال ترضى لما يرضى الله، وإذا غضبت تغضب لما يُغضب الله، إذن، هنا نستكشف من هذه المجموعة أنّ عرصة المحضر العظيم، وعرصة الدنيا، وقيام الوجود كلّهُ هو بالواسطة الذي يطلق عليه القرآن الكريم «الروح».

هذه هي الغنّمة بها الموالى_أنك تعرف سرّ الروح من القرآن الكريم. وأنّ الروح في الكتاب المبين إنّما هي قرينة المرتضى صلوات الله عليه، وأزيدك أيضاً بأنّ الروح هي بمعنى الكتاب لأنّ

=====

(١) رواه الحموي في فرائد السمطين: ٤٦/٢، وأورده القندوزي في ينابيع المودة: ٥٦/٢، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ٣٦٤، والحاكم في المستدرک: ١٥٣/٣، وابن حجر في الإصابة: ١٥٩/٨، والذهبي في ميزان الاعتدال: ٧٢/٢.

الكتاب هو الذي يبعث في العالمين الروح، وكذا فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، تبعث في العالمين الروح.

الإنسان عندما ينظر في أحوالها يستكشف بأن الروح ليست رمزاً إلى شيء جبرائيلي، فهذا قول لا دليل عليه، وأمّا الدليل الحق مهما تتصور من معنى فلا يمكن أن يفوق في واقعه آل محمد صلوات الله عليهم، هناك موقف سوف نراه كلنا يوم المحشر العظيم يدلّ على عظمة محمد وآل محمد عليهم السلام».

روى ابن عباس، عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال:

دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم على فاطمة «عليها السلام» وهي حزينة، فقال لها: ما حزنك يا بنية؟ قالت: ذكر المحشر، ووقوف الناس عراة يوم القيامة.

فقال: يا بنية، إنه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عن الله عزّ وجلّ... وكان فيما أخبرها أن قال: إنّ الله يجمع الخلائق في صعيد واحد، فتستوي بهم الأقدام، ثمّ ينادي مناد من تحت العرش يسمع الخلائق: غَضُوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» وَمِنْ مَعَهَا، فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْكَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَيَطْلُبُ آدَمَ حَوَّاءَ فَيُرَاهَا مَعَ أُمَّكَ خَدِيجَةَ أَمَامَكَ.

ثمّ ينصب لك منبر من النور فيه سبع مراق، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة، بأيديهم ألوية النور، ويصطفّ الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء منك عن يسارك حواء وآسية، فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرئيل، فيقول لك:

يا فاطمة، سلي حاجتك.
فتقولين: ياربّ، أرني الحسن والحسين.
فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً وهو يقول:
يا ربّ، خذ لي اليوم حقّي ممّن ظلمني...^(١)
أقول: سادتي! رأس الحسين بين يدي زينب صلوات الله عليهما،
محمولاً على رأس رمح يجال به من بلد إلى بلد، وهي تنظر إلى رأس
أخيها، وتنادي:
واحسيناه! واحسيناه!
يوم المحشر رأس الحسين «عليه السلام» بين يدي فاطمة صلوات الله
عليها، على حالته التي حملته فيها زينب «عليها السلام» يوم الطف.
فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.
وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.
وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

(١) عن تفسير فرات الكوفي: ٤٤٤ ح ٥٨٧، عنه البحار: ٥٣/٨ ح ٦٢.

البحث الرابع والعشرون

كلمة تمدود ظلها ومنقبة سمت علي المناقب كلها

في معنى يد الله المبسوطة

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا الْهَادِي، أَنَا الْمُهْتَدِي، وَأَنَا يَدُ اللَّهِ الْمَبْسُوطَةُ عَلَى عِبَادِهِ
بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ...

قَالَ الْمَوْلَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
أَنَا الْهَادِي، أَنَا الْمُهْتَدِي، وَأَنَا أَبُو الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَزَوْجُ الْأَرَامِلِ،
وَأَنَا مَلْجَأُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَأْمَنُ كُلِّ خَائِفٍ، وَأَنَا قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَنَا
حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَأَنَا عُرْوَةُ اللَّهِ الْوَثْقَى، وَكَلِمَةُ اللَّهِ التَّقْوَى، وَأَنَا عَيْنُ اللَّهِ،
وَلِسَانُهُ الصَّادِقُ، وَيَدُهُ، وَأَنَا جَنْبُ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي
عَلَى مَا فَرَطْتِ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَأَنَا يَدُ اللَّهِ الْمَبْسُوطَةُ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّحْمَةِ
وَالْمَغْفَرَةِ، وَأَنَا بَابُ حِطَّةٍ مَنْ عَرَفَنِي وَعَرَفَ حَقِّي فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، لِأَنِّي
وَصِيُّ نَبِيِّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ، لَا يَنْكُرُ هَذَا إِلَّا رَادُّ عَلَى اللَّهِ
وَعَلَى رَسُولِهِ^(١).

يستتكر علينا بعض من الناس القول باحاطة المعصومين صلوات الله
عليهم بكل عوالم التكوين والنشريع بإذن الله تعالى، ويصف هذا القول بالغلو،
فعندما نقول: إِنَّ الْإِمَامَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَيْنُ اللَّهِ وَلِسَانُهُ وَيَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ،
وهو الوساطة بين الله تعالى وخلقهِ.

يقولون: انّ هذا غلو!

نسأل: ألم تكن الأشياء كلها مسخرة للإنسان؟! قال تعالى:

{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (٢)

وقال تعالى في آية أخرى:

{وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق «رحمه الله»: ١٧ ح ١٤.

(٢) لقمان: ٢٠.

بأمره^(١)

وآيات تسخير الأشياء للإنسان الكلي معلومة في القرآن الكريم،
فنسأل: إذا كانت الأشياء مسخرة للإنسان، مسخرة لي ولك أفلا يكون من
الأولى أن تكون جميع الأشياء في قمة التسخير للإنسان الكامل، الإنسان
المعصوم صلوات الله عليه؟! والذي من أجله خلق الخلق، وبه يحيي الله
الموتى ويميت الأحياء... .

ورد عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، أنه قال: إن الله عز وجل
خلقاً خلقهم من نوره، ورحمة من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة،
وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأمنأوه على ما أنزل من
عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو الله السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم
ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً ويميت حياً، وبهم يبطل خلقه، وبهم يقضي
في خلقه قضية^(٢).

إذا كان التراب تقبله أن يكون واسطة في خلق آدم «عليه السلام» أفلا تقبل
أن يكون الإمام صلوات الله عليه، واسطة في خلق الأشياء؟!
قال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وحتى نكون واضحين في طرحنا، وبيان مسلكنا الواقعي في جميع
شؤوننا الحياة المختلفة، فعلياً أن نتمسك بالقول والفعل بمسلك آل

(١) النحل: ١٢.

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق «رحمه الله»: ١٦ ح ١٠.

(٣) آل عمران: ٢٦.

محمد صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا هو المائز الحقيقي بين المدرسة الإلهية التي ننتهجها، وبين بقية المدارس الوضعية التي لا تقود سالكيها إلا إلى الضلال.

شاهدت نصاً يرويه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، عن زيد ابن وهب، قال: بينا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم «صلى الله عليه وآله» فرقتين... فقال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله، فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك الزمان؟ قال: أنظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي «عليه السلام» فالزموها، فإنها على الهدى^(١).

هذا النص وأمثاله مروى في كتب العامة، وهو يشير بشكل واضح بأن المنهج الذي لا بد أن يستعصم ويستمسك به هو المنهج الذي عليه المولى والأئمة صلوات الله عليهم، وهذا المنهج يفرض علينا مجموعة من المبادئ والقوانين والسنن لا بد من مراعاتها والإلتزام بها.

لا يمكن لنا مجاملة جهة معينة أو شخص معين على حساب هذه المبادئ والقيم الإلهية النبوية العلوية المعصومية. بل يجب أن تكون جميع تعاملاتنا وشؤوننا في مختلف جوانب الحياة والممارات مرتبطة بهذه القيم والمبادئ الإلهية. ولا نستوحش السير في هذا الطريق لقلّة سالكيه.

أخذ البعض ممن عشعش الشيطان في قلبه وأنساه ذكر الله يصف ممن تمسك بمبادئ وتعاليم علي وآل علي صلوات الله عليهم بـ «الرجعي أو القديم» بحجة دعوى الثقافة المعاصرة، وبعضهم يؤطرها بالإسلامية، ويقول: الثقافة الإسلامية المعاصرة تحتم علينا مجارة الفكر والثقافات الأخرى!

نقول: نعم، ديننا الإسلامي يماشي ويجاري ويشجع فهم الأفكار

(١) مجمع الزوائد: ٤٧٧/٧ ح ٣٢ ١٢٠.

والثقافات الأخرى، ولكن ليس على حساب الفكر والمبادئ الإسلامية الحقيقية.

لماذا كل هذه الحساسية من المصطلحات الإسلامية؟! أفعندما يشرح أو يبين محلل أو مفكر معنى العقيدة الحقّة، والاعتقاد الحقّ، أو مصطلح النورانية تجد البعض يتلمل وتتناقل من هذه المصطلحات بحجّة العصرية والثقافة!

أليس الله تعالى يقول: {وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (١)؟ وقال تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...} (٢) إنّ الله تبارك وتعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم، يزودوننا بمفاهيم وألفاظ قرآنية معصومية، فلماذا نستورد ألفاظاً من هنا وهناك؟! وهل هناك ألفاظ أفضل من الألفاظ القرآنية النبويّة العلويّة المعصومية؟!

عندنا تراث ضخم، متمثل بالقرآن الكريم، والأحاديث المعصوميّة، ونهج البلاغة، والزيارة الجامعة الكبيرة، ودعاء كميل، ودعاء السمات، ودعاء أبي حمزة الثمالي، نحن عندنا ما ليس موجوداً حتى في الصحف الأولى؛ لأنّ كلّ ما في الوجود في هذا العالم أو في العوالم الأخرى مسطور محفوظ في القرآن الكريم، وهو في قلب المصطفى «صلى الله عليه وآله» والمرضى صلوات الله عليه.

أليس من الظلم والإجحاف أن نترك هذا التراث الضخم، وهذه

(١) النور: ٤٠.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

**الثروة العظيمة، وبنقاد وراء أباطيل وأراجيف وضعية يطلقها
المغرضون؟! الدافع الأساس منها هو تحجيم العقل المسلم وانحصاره على
ألفاظ ومفاهيم غريبة دخيلة عليه، فيبقى متخلفاً عن الركب الحضاري.**

تقبل أن يكون التراب واسطة لخلق آدم «عليه السلام»! وتقبل أن تكون النار
واسطة للإحراق، والمصباح للإضاءة، ولا تقبل أن يكون الإمام صلوات الله
عليه، واسطة في الخلق، أو أن يكون يداً لله تعالى؟!!

تقبل أن تكون الشجرة في قصة موسى على نبينا وآله «عليه السلام» -
واسطة في كلام الله تعالى لموسى «عليه السلام» ولا تقبل أن يكون الإمام
المعصوم لسان الله الناطق ويده المبسوطة؟!!

ما لكم كيف تحكمون؟!!

ورد عن الإمام الباقر صلوات الله عليه، أنه قال:

**إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلاّ ملك مقرب، أو
نبيّ مرسل، أو عبد امتحن قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل
محمد «صلى الله عليه وآله» فلا تلت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه
قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله، وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد،
وانما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله، فيقول:**

والله، ما كان هذا، والله، ما كان هذا، والإنكار هو الكفر^(١).

وفي نصّ أقوى منه، عن محمد بن عبد الخالق، وأبي بصير قالوا: وقال
أبو عبد الله «عليه السلام»:

(١) أورده الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف: ٤٠١/١ ح ١.

...يا أبا محمد إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله، ما يحتمله ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله، ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله عزّ وجلّ ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريّته، ومن نور خلق الله منه محمداً وذريّته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذريّته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فبلغهم ذلك عنّا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله، ما احتملوه. ثمّ قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنّم والنار، فأمرنا أن نبليّهم كما بليّناهم فاشمأزوا من ذلك، ونفرت قلوبهم، وردّوه علينا، ولم يحتملوه وكذبوا به، وقالوا: ساحر كذاب فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ، فهم ينطقون به وقلوبهم منكّرة...^(١). أعادنا الله وإياكم من إنكار الأحاديث المعصومية، فليس كلّ ما لا ينسجم مع عقلي وعقلك مردوداً؛ لأنّ عقلي وعقلك ليس كاملاً، وربّما يجانب المعنى الحقيقي لبعض الأحاديث، فردّ الأحاديث المعصومية وقبولها ليس معياره عقلي وعقلك؛ لأنّ دين الله لا يُصاب بالعقول. فعندما يرد عن مولى الموحدين صلوات الله عليه، أنّه قال: أنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة. بعض يشكك في ذلك بدعوى أنّ هذا القول يؤدي إلى التجسيم أو

(١) أورده الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي: ٤٠٢/١ ح ٥٥.

التشبيه أو العجز أو التعطيل...

نقول: نحن أتباع المذهب الجعفري بعيديون كلَّ البعد عن الشبهات التي تؤدي إلى التجسيم والتشبيه أو العجز أو التعطيل، ولا يقول أيُّ إنسان عادي من هذه الطائفة الحقَّة فضلاً عن علمائها بأنَّ الله يداً بمعنى هذه الجارحة التي يمتلكها الإنسان ويكون الإمام يده، بل إنَّ يد الله تعالى بمعنى قدرته، وهذه القدرة بإذنه تعالى منحها للإمام صلوات الله عليه.

نقرب الفكرة أكثر حتى يُزال اللبس.

عندما يجوزُ سيّد من السادة لوكيله أو عبده أن يعطي لشخص ما ديناراً. فإنَّ هذا الوكيل قد أعطى حقيقة ديناراً لزيد من الناس، وإنَّ هذا الإعطاء لا يسلب القدرة وقابلية الإعطاء عن السيد، بل الإعطاء حصل من الوكيل بإذن السيد، فكذا الإمام صلوات الله عليه، بما أنَّه الوكيل المطلق والعبد المخلص لله تعالى فهو يتصرف بهذه المملكة الكونية، في عوالم الأكوار والأدوار والأطوار، في كلِّ عوالم الوجود والموجود المملوكة لله تعالى، يتصرف فيها إحياء، إماتة، رزقاً، نزول الغيث، طول الأعمار وقصرها... كلَّ ذلك تحت تصرف الإمام صلوات الله عليه، بإذن الله تعالى، السيد المطلق.

ينقل الشيخ الصدوق رضوان الله عليه، في كمال الدين وتمام النعمة، عن أُسيد بن صفوان، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال:
لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ارْتَجَّ الْمَوْضِعَ بِالْبِكَاءِ، وَدَهَشَ النَّاسَ كَيَوْمِ قَبْضِ النَّبِيِّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» فَجَاءَ رَجُلٌ هُوَ الْخَضِرُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَهُوَ مُسْرِعٌ مُسْتَرْجِعٌ، وَهُوَ يَقُولُ: الْيَوْمَ انْقَطَعَتْ خِلاَفَةُ النَّبِوَّةِ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ، كُنْتُ

أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم من الله عزّ وجلّ... وأقربهم من رسول الله، وأشبههم به هدياً ونطقاً وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله «صلى الله عليه وآله» وعن المسلمين خيراً، قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكاثوا، ونهضت حين وهنوا... كنت والله للدين يعسوباً، وكنت [للمؤمنين] أباً رحيماً، إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقالاً عنها ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا... .

كنت على الكافرين عذاباً صعباً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً، فطرت والله بنعمائها، وفزت بحبائنها، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تقل حجّتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك... كنت كما قال النبي «صلى الله عليه وآله»: ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله عزّ وجلّ، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله عزّ وجلّ، كبيراً في الأرض، شأنك الحقّ والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم... أطفنت بك النار، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وقوي بك الإيمان، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقاً بعيداً، واتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فإننا لله وإنا إليه راجعون. رضينا من الله عزّ وجلّ قضاءه، وسلّمنا لله أمره، فوالله، لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً.

كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً، وعلى الكافرين غلظةً وغيظاً، فالحقك الله بنبيّه ولا حرماناً أجرك، ولا أضلنا بعدك، وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى وأبكى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثمّ طلبوه فلم يصادفوه^(١).

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨٧ - ٣٩٠.

السلام عليك يا أمير المؤمنين جعلنا الله تعالى من المتمسكين بولايتك
الذابين عن حرمة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

البحث الخامس والعشرون

إسرار لامعوتية غيبية وأنوار ناسوتية وجودية

في معرفة كلامهم صلوات الله عليهم

من خلال قول الإمام الصادق «عليه السلام»:

لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَاقِيهَا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا.

قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»:

لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهًا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا، وَإِنَّ الْكَلِمَةَ
مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرِفَ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرَجُ^(١).

ومعاريض كلامهم صلوات الله عليهم، تعرف بعرضها على متون
ومضامين القرآن الكريم، وحينئذ يسلم من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو
شاهد. قال تعالى:

{حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}^(٢)

بعد أن أثبتنا بالأدلة القرآنية القطعية والشواهد النورانية
المعصومية عن طريق أخبار الميامين الطاهرين صلوات الله عليهم
أجمعين، وبالأدلة من الوجدان السليم، والإثارات من العقل الفهيم، بأن
الكتاب، وما فيه من أسرار تكوينية، أو أسرار تشريعية، في عوالم
الفوق، أو في عوالم الدون، أو في ما يسمى باللاهوت، أو الجبروت، أو
عوالم {نُورِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ}^(٣) أو من كان مسمّى في عالمنا هذا
بالناس أو الناسوت.

كُلُّ هَذِهِ الْحَقَائِقِ سَلَّمْنَا بَاتِّطَوَاتِهَا وَاحْتَوَاتِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَإِنِّهَا

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ٢ ح ٣، عنه بحار الأنوار: ١٨٤/٢ ح ٥.

(٢) الزخرف: ١ - ٢.

(٣) الأنعام: ٧٥.

تماماً مذكورة في طيّ الكتاب، من أوّل الخطاب إلى آخره، برموزه وحروفه، بألف لام ميم. بألف لام راء، وصاد، وقاف، وعسق وغيره من الأسرار المباركات، والأحرف النورانية العاليات كلّها منطوية في أمّ الكتاب، وكلّها تبين حقيقة وأسرار أبي تراب عليّ بن أبي طالب «عليه السلام».

حتى نكون موضوعيين نقول: أنّ معنى سرّ الخطاب تجده في أبي تراب، بل هو المقصود من الخطاب، بل الخطاب مرآة تجلّت فيه آياته، وبيّناته، ودلائله، وكلّ ما في هذا الوجود، وفي كلّ حقائق هذا الموجود، كلّها منطوية فيه بنصّ القرآن الكريم، بعد التوجّه التام إلى ما سألتني عليك من آيات، وهي في الحقيقة ماء غدق، وهي عبارات ماء الكوثر، ولا نغالي ولا نجازف إذا قلنا إنّها آيات الكوثر.

قال تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} (١).

وقال عزّ شأنه: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} (٢).

وكلّ هذا إنّما هو في هذه الآيات المباركات، أمير المؤمنين «عليه السلام» هو السرّ، وهو المقصود، وهو المرموز من خلال هذه الآيات. وسارتب الآثار حتى انتهاء الليالي المقبلة، وبها يتبيّن صحة الخطاب فيما ورد عن اللسان العلويّ، في خطبه صلوات الله عليه: الروحية، التنجبية، الكاهلية، الافتخارية، النورانية وغيرها من خطبه وأقواله، ويصبح بذلك كلّ

(١) النحل: ٦٩.

(٢) محمّد: ١٥.

ما ورد عنه «عليه السلام» من العبارات _ المتهمة بالغلوّ، والمردودة من أهل الجهل وفاقدي المسحة النورانية _ حقيقة واقعة ملموسة، لئلا يتجرأ أو يتجاسر أحد _ بعد ذلك _ على ردّ كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» وإن لم يكن سندها متين، فما دامت هذه العبارات تطابق متون القرآن، ومضامين الأخبار، وحقائق ما ورد عن رشحات الأبرار صلوات الله عليهم، فحينئذ لا مجال لردّها والطعن فيها، بل الطاعن جاهل لا يفقه من حديثهم شيئاً، كما ورد عن الإمام المعصوم صلوات الله عليه.

بعد هذه المقدمة يتبيّن بأنّ القرآن بحقيقته، وجوهه، وكنهه إنّما هو منطوق في حقيقة أمير المؤمنين «عليه السلام» والدليل هو القرآن الكريم، حيث يبيّن ذلك ويقول:

أولاً: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (١).

ثانياً: {تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ} (٢).

ثالثاً: {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣).

رابعاً: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٤).

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة الدالة على هذه الحقيقة النورانية. وعلى هذا فالغيب والشهود والوجود والموجود كلّهُ في الكتاب المبين،

ولكن أين هذا الكتاب؟

حتى نبين هذه الآثار، ولتكون على بيّنة من أمرك _ أخي الموالي _ وعلى بصيرة من دينك، وعلى حقيقة من ولائك، ينبغي أن تعلم بأنّ القرآن يقول:

(١) الأنعام : ٣٨.

(٢) النحل : ٨٩.

(٣) يونس : ٦١.

(٤) النمل : ٧٥.

كلّ ما في هذا الكتاب من أسرار: غيبية، شهودية، ناسوتية، جبروتية، لاهوتية، كلّ شيء في هذا الوجود منطوق في كتاب الله، وكتاب الله تعالى بنصّ القرآن الكريم أورثه الله عزّ شأنه إلى محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم.

قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (١).
أورثه، يعني أورث ما فيه، أورث أسرارَه، أورث ما أودع فيه من لا يمكن فقهه، ومعرفة كنهه وحقيقته وجوهره، أورث الحقّ المكنون والمودع فيه وهذا ما أشار إليه الذهبي _الذي يعتبر من أشدّ المعاندين، مع ذلك يورد في كتبه_ أنّ الرسول «صلى الله عليه وآله» قال: اللهم! إرحم عليّاً، اللهم! أدر الحقّ معه حيث دار (٢). ماذا تعني المعية؟

المراد بالمعية أنّ كلّ ما في أسرار القرآن الكريم، كلّ ما في حقائقه، كلّ ما في جواهره، كنوزه، أنبيائه، أوليائه، سماواته، أراضيه، وما بينها، وما فيها، ثقلاً، خفةً، سمكاً، طولاً، عرضاً، وما إلى ذلك، كلّها تدور مع عليّ، وعليّ معها، لا يفترقان.

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} فإذا أورث الله تعالى الكتاب، فمعنى هذا أنّ حقيقة الكتاب، حقيقة الخطاب إنّما هي في متن وقالب وجوهر أبي تراب صلوات الله عليه، فإذا سلّمت بأنّ كلّ شيء في الكتاب هو في عليّ بمتن الكتاب، فحينئذ لا بدّ أن نسلّم بهذه الكلمات النورانية المقدّسة، والذي يرّد عليها، يرّد على القرآن، وشخص كهذا ندع أمره إلى الله، فهو حسبه وهو الذي يجازيه.

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/٢٣٦ و ٢٤٣.

ومن الآثار المترتبة على كلام المولى صلوات الله عليه، والتي أصلها ومستندها القرآن الكريم:

قوله «عليه السلام»: أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه.

الدليل على ذلك، قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ} (١)

وقوله «عليه السلام»: أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله
«صلى الله عليه وآله» وسلم، إلا أنا.

الدليل على ذلك، قوله تعالى:

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٢)

فمن أي نوع كان ذلك المفتاح، سواء كان مفتاحاً غيبياً أو شهودياً،
سواء كان المفتاح صغيراً أو كبيراً، سواء كان مادياً أو غير ذلك، سواء كان
المفتاح بمتن الواقع أو كان بمتن الغيب، كان عند الملائكة الأعلى أو عند من هو
أدنى في كل الأحوال، ما دام المفتاح في الكتاب، والكتاب عند أبي تراب،
فكان حقاً ما يقوله صلوات الله عليه: أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد
رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا أنا.

وقوله «عليه السلام»: أنا الكتاب المسطور. الإمام علي «عليه السلام» هو الكتاب

المبين في قوله تعالى: {حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} (٣) قال مولانا

(١) البقرة: ٢.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) الدخان: ١ - ٥.

الكاظم «عليه السلام»:

«حم» محمد، و «وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ» أمير المؤمنين (١).

يجب أن نسلم لهذه الأنوار القدسية والرشحات الإلهية تسليماً مطلقاً، فلا مجال لأن يقال: هذا سنده ضعيف! وهذا كذا! فيضيع الناس بين قضايا وألفاظ ومصطلحات هم في غنى عنها، لأن الناس لا يحكم أغلبهم قواعد علم الرجال، ولا تعرف من هو المجروح والمقدوح، ولا التعديل والترجيح وما أشبهه، فاغرقوا الناس بهذه المصطلحات بقولهم: هذا ضعيف! وهذا لا يقبل! وهذا مردود! وهكذا ضيعوا الحقائق والمفاهيم بهذه المصطلحات الوضعية.

في خطبة البيان قالوا: هذا غلو!! لأنها من حباكة وصياغة مجموعة من الغلاة كحافظ البرسي ممن لا يعتمد على نقله!! لأنه ممن عرف بغلوه في أهل البيت، ولأنه لا يؤخذ برواية المغالين، ولأن قواعد الرجال تنفي أخذ الرواية من هؤلاء وأشباههم!!!

كل ذلك ينتفي ويتبخر بإذن الله عز شأنه، من علي منبر هذه الحسينية المباركة إن شاء الله، أنسفها نسفاً، وأذرها في اليمّ ذرواً، فلا يبقى لها، ولا لأصحابها وللقائلين بها معتمد في عالم الإمكان على الإطلاق، أقول هذا غير مبالغ، وغير مفتخر، وإنما هو من فضل آل محمد والأئمة المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين.

هذه حقائق في كتاب الله، ومن أراد أن يناقش هذه الخطب، وهذه الكلمات النورانية الموجودة والمودعة في هذه الخطبة المعروفة بخطبة البيان أو التطنجية أو غيرهما، فليناقش القرآن الكريم، وليردّ على كتاب الله

(١) أخرجه الشيخ الكليني «رحمه الله» في الكافي الشريف: ٤٧٩/١ ضمن ح ١، عنه البرهان: ١٥٧/٧.

تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» لأننا نحتج عليهم بكتاب الله، ولا نحتاج إلى الاحتجاج بغيره ما دمنا على العقيدة الراسخة البيّنة المبيّنة، الظاهرة الباطنة، المحكمة المتشابهة التي عرفها الأولون وآمنوا بها، وسلّموا لها، من أنبياء ومرسلين، وآخرين من أتباع الأوصياء، كحجر بن عديّ العالم بعلم المنايا والبلايا، وسلمان المحمّدي الذي امتلك حرفاً من حروف الاسم الأعظم، وأبي ذر، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين.

فكل شيء بنصّ الخطاب وبمتن الكتاب هو موجود في حقيقة هذه الأحرف النورانية، ومسطور في هذه الكلمات الربّانية، ومؤيد بالقرآن الكريم ولسان النبي الأمين «صلى الله عليه وآله» وأنبياء وأوصياء الله جميعاً.
لقد هسّ موسى الكليم «عليه السلام» غنمه بهذه الكلمات النورانية ، والمراد بالغنم في ظاهر الأمر هذا الحيوان المعروف، وأمّا في الواقع فالغنم الرعايا، هسّ عليهم بتلك الأسرار، بما نثر بين أيديهم من تلك الآثار التي هي ترجمة لحقيقة الأبرار، صلوات الله عليهم أجمعين، إذ ما من نبيّ بعث إلا بالتسليم لمحمّد وآل محمّد «عليهم السلام» قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) وهذا كلام الله، وليس من الكتب المعروفة كالبحار والكافي وغيرها من الكتب المعتبرة التي يشكّ فيها الجهلة، ومن لا مسحة نورانية لهم، ويضعف أسانيدها، ويقول فيها ما يقول، حيث لم يحكموا آيات الله، ولم يتعرفوا على أخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد تقدّم قول الإمام الصادق «عليه السلام»:

إننا لا نعدّ الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا.

فكلّ شيء، بل كلّ الأشياء والموجودات والمكونات، من العرش واللوح والقلم والملائكة وإلى ما شاء الله لا يمكن عدّ كلّ ما قد خلق الله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١) كلّ هذه الأسرار، وكلّ هذه الحقائق الشهودية والغيبية، كلّها في الكتاب، أليس هذا صحيحاً؟ كفى ظلماً لأهل البيت «عليهم السلام»! كفى تنقيصاً لمراتب أهل البيت «عليهم السلام»! وكفى إذلالاً لمن يذكر مقاماتهم! حتى يكون الإنسان منصفاً ويخرج من قاع التقليد للكتب والصحف ليأت إلى كتاب الله الصامت، وإلى كتاب الله الناطق، كلّ شيء في متن الخطاب، ما نقص منه شيء، ولم ينقص منه شيء من أول الخلق، من أول دائرة ما يسمى بالإمكان الراجع والإمكان المرجوع، كل ذلك موجود في الكتاب، والكتاب عند من؟ القرآن بيّن بنص صريح: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢).

إذا تمّ هذا المعنى، وهو تامّ، ولا يحتاج إلى بيان وبرهان عند من نور الله بصره وبصيرته بالإيمان، تأمل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا...﴾^(٣).

ما هي حقيقة الأنوار؟ وما هي حقيقة الظلمات؟

حقيقة الأنوار: هي معرفة الأبرار الأطهار محمد وآل محمد «عليهم

السلام».

حقيقة الظلمات: هي الانشغال بما عداهم من الممكنات، وكلّ

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

من اتصل بغيرهم كان في الظلمة، ظلمة فوقها ظلمة، بظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها^(١).

فإذا سلمنا بهذا، ثبت أن كل ما ورد في الخطب: التطنجية، الكاهلية، الروحية، الافتخارية والنورانية هو حقيقة واقعة، مع صحة القول بضعف سندها، فليس كل ضعيف السند يرمى، وإنما إذا وجدنا له مؤيداً من كتاب الله، أو من حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإنه قطعاً لا يناقض العقل والوجدان، وحينئذ يجب التمسك به.

من ضعف الإيمان أن الإنسان إذا توقف في السند فإنه يتوقف في الدلالة أيضاً، ومن الأسلم له أن يقول: أرد ذلك إلى أهله، لا أن يرد الخطاب والكلام بتمامه، ويرد هذه الكلمات فيحضى بالشقاوة الأبدية؛ لأن السعادة كل السعادة هي في معرفتهم، في اتباعهم، في الالتذاذ بفضائلهم، في نشر معارفهم صلوات الله عليهم.

فإن علياً وآل علي صلوات الله عليهم، أصل الكتاب والخطاب. اللهم إني أسر وأجهر بهذه الكلمات، وإني لأحتفي بها، وألتحف بها، وأكتبها بماء وتراب حسيني على كفني الذي أدفن به، وأقول: يا منكر ويا نكير، إذا سألتماني عن الوجود والموجود فانظرا إلى ما سطر في هذا الصدر عن حقائق أمير المؤمنين «عليه السلام» كل ما عندكم، وكل ما فيكم، وكل ما كان من الأولين والآخرين إن هو إلا مثال، إن هو إلا شبح، إن هو إلا فيء لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» وهذا بنص القرآن الكريم، ولا نعدو عن كتاب الله، ولا نغالي حيث نذكر ما كان

عليه الأئمة «عليهم السلام» من مراتب، لأنه وكما قالوا صلوات الله عليهم:
«نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»^(١)، هذا يجب أن يبين للعالم.

الآن يتكلمون في رذائل زيد وعمر، ويبينون مناقب هذا وذاك، وبعض منا إلى الآن يخاف أن يتحدث عن مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» لقد ولى ذلك الزمان وأكل الدهر عليه وعلى أهله وشرب، الآن نحن في زمان **سُتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**^(٢).
الإنسان مأمور ببيان الحق سواء في السابق أو في اللاحق، سواء كان الحق لزيد أو عمر، فكيف إذا كان الحق لصاحب الحق أمير المؤمنين «عليه السلام» من يدافع عن هذا الحق؟

الشيخ العلامة الأميني «رحمه الله» لما جاء إلى مدينة مشهد في أواخر أيامه ثم توفي بعدها قال:

قرأت في حياتي عشرة آلاف مجلد، وذهبت للهند أستجدي من بعضهم نسخة لأحصل على فضيلة من فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: قرأت عشرة آلاف مجلد فما وصلت إلا إلى هذه النتيجة:

إِنَّ الْمَظْلُومَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ الَّذِي يَجْتَوِ لِلْخُصُومَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» يَصِيحُ؛ وَاللَّهُ مَظْلُومٌ! وَاللَّهُ مَظْلُومٌ! وَ أَسْفَاً أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَظْلُومِيَّةُ هِيَ بَيْنَنَا نَحْنُ الْمَتَسَمِّينَ بِالشَّيْعَةِ!!!

إذا نحن لا نتحدث عن فضائل ومناقب وكرامات أمير المؤمنين «عليه السلام» فمن الذي يتحدث عنها؟ هل يتحدث اليهود، أم النصارى عنها؟!
هذه الآثار إسمعوا لها جيداً ولا يهتمكم شيء، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، كن كأبي ذر، وكعمار بن ياسر، والمقداد رضوان الله عليهم.

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٦ ح ٥٠.

(٢) فصلت: ٥٣.

ينقل المسعودي في مروج الذهب: إنَّ أبا ذرَّ رضوان الله عليه حضر مجلس عثمان ذات يوم، فقال عثمان: أرأيتم من زكىَّ ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفَع أبو ذرَّ في صدر كعب، وقال له: كذبت يا ابن اليهودي، ثمَّ تلا: **لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**^(١). فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفضه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك، فرفع أبو ذر العَصَا فدفَع بها في صدر كعب، وقال: يا ابن اليهودي، ما أجراك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي! غيَّب وجهك عني فقد آذيتنا، فخرج أبو ذر إلى الشام.

فكتب معاوية إلى عثمان: إنَّ أبا ذر تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان بحمله على بعير عليه قَتَبُ يابس، معه خمسة من الصقالبة يطيطون به، حتى أتوا به المدينة وقد تسلَّختُ بواطن أفخذه، وكاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك، فقال: هيهات! لن أموت حتى أنفي، وذكر جوامع ما ينزل به بعد، ومن يتولى دفنه، فأحسن إليه عثمان في داره أياماً، ثمَّ دخل عليه فجلس على ركبته وتكلم بأشياء، وذكر الخبر في **ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً**^(٢) ومرَّ في الخبر بطوله، وتكلم بكلام كثير، وكان في ذلك اليوم قد أُتي عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال، فنثرت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إنِّي لأرجو لعبد الرحمن خيراً؛ لأنه كان يتصدَّق، ويقرِّي

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) أنظر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥٢/٥٧، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور:

١٨٢/٢٤، ودلائل النبوة للبيهقي: ٥٠٧/٦، والبداية والنهاية لابن كثير: ٢٤٢/٦.

الضعيف، وترك ما ترون، فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فرفع أبو ذر العصا، فضرب بها رأس كعب، ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا ابن اليهودي، تقول لرجل مات وترك هذا المال: إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك، وأنا سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «مايسرني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً»^(١). فقال له عثمان: ورّ عني وجهك، فقال: أسير إلى مكة، قال: لا والله، قال: فتمنعني من بيت ربّي أعبده فيه حتى أموت؟! قال: إي والله، قال: إلى الشام، قال: لا والله، قال: البصرة؟ قال: لا والله، فاختر غير هذه البلدان، قال: لا والله، ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيرني حيث شئت من البلاد، قال: فإني مسيرك إلى الربذة، قال: الله أكبر، صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبرني بكل ما أنا لاق، قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني أُمْنَعُ عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولى مواراتي نفر يردون من العراق نحو الحجاز، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل: ابنته وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة.

فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره طلع عليه عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» ومعه ابناه الحسن والحسين وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا عليّ، إن أمير المؤمنين قد نها الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه عليّ بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته، وقال: تتخّ نحاك الله إلى النار، ومضى مع أبي ذر فشيّعه، ثم ودّعه وانصرف، فلما أراد

(١) إرشاد الهارب للصنعاني: ١٧٧، وأورد قريباً منه البخاري في صحيحه: ١١٧/٨ ابن حجر في فتح الباري، والألباني في الصحيحة: ٢٦/٣.

عليّ الإنصراف بكى أبو ذر وقال: **رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله** «صلى الله عليه وآله»... .

ونقل المسعودي أيضاً، قال: وقد كان عمار حين بويع عثمان، بلغه قول أبي سفيان، صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل داره ومعه بنو أمية، فقال أبو سفيان: أفبكم أحد من غيركم؟ وقد كان عمي، قالوا: لا، قال يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان: ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثته، فانتهره عثمان بل نقل العلماء من حملة السير والتواريخ أنّ أبا سفيان «لغنه الله» قال: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة...^(١) _ وساء ما قال. ونمي هذا القول إلى المهاجرين والأنصار وغير ذلك الكلام، فقام عمار في المسجد، فقال: يا معشر قريش، أمّا إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.^(٢) وقام المقداد فقال:

ما رأيت مثل ما أؤذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو؟ فقال:

إني والله لأحبهم لحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيّاهم، وإنّ الحقّ معهم وفيهم، يا عبد الرحمن، أعجب من قريش وإمّا تطوّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت_ قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعده من أيديهم، أما وايم الله يا عبد الرحمن، لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٨/٩.

(٢) إرشاد الهارب: ١٧٢.

إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر^(١).
هذا نتاج سكوت الناس عن حق آل محمد صلوات الله عليهم، فتسلط عليهم مروان ويزيد وأمثالهما.
رحم الله عمار بن ياسر والمقداد، كأنتهما ناظران إلى هذا اليوم الذي تسلط فيه اليهود والنصارى على رقاب ومقدرات المسلمين في شرق الأرض وغربها، وكل ذلك نتيجة صرف الحق عن أهله، وهم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين. فإذا أراد المسلمون العزة والنصر من الله تعالى فعليهم إعادة الحق إلى أهله ومضاته.
والحمد لله رب العالمين.

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٣٨ - ٣٤١، وأنظر كذلك: أنساب الأشراف للبلاذري: ٢٠٤/٦، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٨/٩، إرشاد الهارب للصنعاني: ١٧٣.

البحث السادس والعشرون

كلمة اشرفت غاية الإشراق ومنقبة نورن كافة الآفاق

في الآثار الدالة على كلام الإمام «عليه السلام»

من خلال قول المولى «عليه السلام»:

أَنَا الْعَالَمُ بِمَدَارِ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ، أَنَا صَاحِبُ مَكِّيَالٍ وَقَطَرَاتِ
الْأَمْطَارِ وَرَمَلِ الْقِفَارِ بِإِذْنِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ.

قال المولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
أَنَا الْعَالَمُ بِمَدَارِ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ، أَنَا صَاحِبُ مَكِّيَالٍ وَقَطْرَاتِ الْأَمْطَارِ وَرَمْلِ
الْقَفَّارِ بِإِذْنِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ.

الأبحاث في بيان الآثار الدالة على كلام الإمام عليّ صلوات الله عليه،
من الكتاب العزيز، وهذا يستدعي أن نتأمل في أمور:
قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (١) إن القرآن الكريم
يبين أمراً في غاية الأهمية، وهو يشكل منعطفاً هاماً بمعرفة أسرار القرآن،
وبهذا تتكوّن لديك الصورة التامة في معرفة سرّ هذه الخطابات الموجودة
على لسان أمير المؤمنين «عليه السلام» وقد انقدحت هذه المعاني في كياني
ووجودي، وبما أننا نبحت في أسرار القرآن، وبيان عمق حقيقته، وصورته
الناطقة، والجوهر المتكلم، فإنّي سأبين هذا السرّ ببركة محمد وآل محمد
صلوات الله عليهم.

قال تعالى: {وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا}. (٢) ما معنى هذه
الآية؟ إذا انفتحنا عليها قلباً وقالباً سنتعرف على السرّ، ثم ننتهي للأثر.
الرسول قبل النبي «صلى الله عليه وآله» كلهم رحلوا عن هذه الدنيا، فمنهم من
رفعه الله، ومنهم من توفاه، فكيف يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» الغائب؟
وما هو الشيء المسؤول عنه من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»؟
هل هو عبارة عن تفرّعات تشريعية، كالصلاة والصيام وما أشبهه؟ هذا

(١) سورة يس: ١٢.

(٢) الزخرف: ٤٥.

أمر بديهى بالنسبة للنبي «صلى الله عليه وآله».

هل المسؤول عنه، أمر النكاح والطلاق وما أشبه؟ وهذا مقنن ومشرع

ومبين.

إذن، يكون الأمر المسؤول عنه في غاية الأهمية {وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا} يعني، كل من أرسلنا، ولكن كيف يسألهم وهم مئة وأربعة وعشرون ألف نبي ومئة وأربعة وعشرون ألف وصي، هؤلاء أرسلوا وبعثوا، فكيف يسألهم؟ أبو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة، والكثير من علماء أهل السنة الذين يروون هذا النص، حاروا في كيفية سؤال الرسول «صلى الله عليه وآله» كل هذا العدد من الأنبياء والأوصياء؟ وكيف يجمعهم؟

هذا المعنى يوجد في الروايات، فقد روى الحسن بن أبي الحسن

الديلمي بإسناده عن رجاله، عن ابن عباس، قال:

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، وَانْتَهَيْتُ فِي

الْمَسِيرِ مَعَ جِبْرَائِيلَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَرَأَيْتُ بَيْتًا مِنْ يَاقُوتِ أَحْمَرَ، فَقَالَ

لِي جِبْرَائِيلُ:

يَا مُحَمَّدُ، هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ خَلَقَهُ اللَّهُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ. فَصَلِّ فِيهِ. فَقَمْتُ لِلصَّلَاةِ، وَجَمَعَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ،

فَصَفَّهَمُ جِبْرَائِيلُ، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ أَتَانِي آتٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ، رَبُّكَ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: سَلِ الرَّسُلَ، عَلِيٌّ مَا أَرْسَلْتُمْ

مِنْ قَبْلِي؟ فَقُلْتُ: مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَى مَاذَا بَعَثْتُمْ رَبِّي قَبْلِي؟

قَالُوا: عَلَى وِلَايَتِكَ وَوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

﴿وَسَأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^(١).

ومن طرق العامّة، عن أبي نعيم الحافظ، عن محمد بن حميد يرفعه، عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾. قال: قال النبيّ «صلى الله عليه وآله»: لما جمع الله بيني وبين الأنبياء ليلة الإسراء، قال الله تعالى:

سلهم يا محمد على ما بعثتم؟

قالوا: بعثنا الله على شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بنبوتك، وعلى

الولاية لعليّ بن أبي طالب «عليه السلام»^(٢).

هذا سرّ هامّ، وقد يسأل أحد: كيف بعث الأنبياء والرسل بسرّ الولاية؟ الإمام الصادق «عليه السلام» يقول: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها»^(٣)

سيتبين بشكل جليّ أنّ كلّ ما نقوله في أمير المؤمنين «عليه السلام» هو دون مقامه، فالذي نعرفه قليل، والذي لا نعرفه هو الذي عند الله ورسوله «يا عليّ ما عرفك إلا الله وأنا»^(٤) هذا هو السرّ. فالآية التي تشير إلى أنّ الأنبياء على أيّ أساس بعثوا قد اتّضحت، ولكن قد يسأل شخص أنّه كيف ذلك وأمير المؤمنين لم يخلق بعد في عالمنا؟

كيف بعث الأنبياء بولاية من لم يخلق بعد؟

القرآن يقرّر لك هذا المعنى، بأنّ الولاية كانت قبل الخلق، قال تعالى:

(١) الزخرف: ٤٥.

(٢) عنه تأويل الآيات الظاهرة: ٥٤٧.

(٣) أورد الصّفار في بصائر الدرجات: ٧٤ باب ٩ مثل هذا الحديث وبمعناه بأسانيد شتى، وألفاظ مختلفة. فراجع واغتمم وكن من الشاكرين.

(٤) أنظر مشارق أنوار اليقين: ١١٢.

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (١).

الولاية لله، الولاية لرسوله، الولاية لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» الآية
واضحة، فماذا بعد الحق إلا الضلال، والذي يفهم فإن هذا يعد أكبر غنيمة،
والله لو يوضع لك جبل من ذهب فإنه لا يعادل هذه الغنيمة، هذه الحقيقة،
هذه المعرفة التي تثبت أنه ما من نبي بعث إلا بولاية علي، لأن ولاية علي
ولاية الله ورسوله ولأن ولاية الله ورسوله ولاية علي، وهذا هو سر قولك:
«أشهد أن أمير المؤمنين علياً ولي الله» في الآذان والإقامة، فإن ذلك
أمر قرآني، وليس مجعولاً على لسان أحد من الخلائق، وإنما جعل إلهي
«أشهد أن علياً ولي الله». أنظر إلى قوله تعالى:
{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (٢).

هذه الآية في سورة «يس» وهذه السورة تمثل قلب القرآن، إذن،
الآية واردة في القلب، وهي الآية الثانية عشرة من السورة.
لما تأتي هذه الآية وتحمل رقم ١٢ من سورة يس، التي تمثل قلب
القرآن فهذا فيه إشارة إلى أن الأئمة عددهم اثنا عشر إماماً، وكل شيء
أحصيناه في اثني عشر إماماً.

هذا الترتيب ليس جزافاً، كله ترتيب من لطيف خبير {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ
آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (٣) أحكمت الآيات كلها في

(١) المائة: ٥٥.

(٢) سورة يس: ١٢.

(٣) هود: ١.

موقعها، لم تنزل هذه الآية في سورة أخرى، وإنما نزلت في القلب للإشارة إلى أن قلب المصطفى «صلى الله عليه وآله» هو قلب المعصومين «عليه السلام» وأن قلب النبي قلب «يس» وهو الإمام «عليه السلام» والإمام ورد في الآية رقم اثنا عشر، وفي هذا بلاغ مبين على أنهم لا يزيدون ولا ينقصون عن هذا العدد، وهذا سر من أسرار آل يس صلوات الله عليهم أجمعين، فهم «عليهم السلام» الكتاب، وهم قلب يس، والسر المبين، والكتاب الواضح المنشور، فإذا ثبت هذا فعليك بالآثار، منها:

قال تعالى في كتابه الكريم: **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** {^(١)}.
 قال المولى «عليه السلام»: أنا العالم بمدار الفلك الدوار، أنا صاحب مكيال

وقطرات الأمطار ورمل الفقار بإذن الملك الجبار.

وقال تعالى: **{وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}** {^(٢)}.
 وقال الإمام صلوات الله عليه: أنا أعلم هماهم البهائم ومنطق الطير.

قال تعالى: **{عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}** {^(٣)} آل محمد صلوات الله عليهم، أتوا كل شيء، كيف؟

قال تعالى: **{وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}** {^(٤)}.

وقال «عليه السلام»: أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين.

الله تعالى يقول في محكم كتابه: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ}**

(١) طه: ٥١ - ٥٢.

(٢) هود: ٦.

(٣) النمل: ١٦.

(٤) سورة يس: ١٢.

إِلَّا بِسُلْطَانٍ{^(١)}.

السلطان هو: العلم، والذي أحصى كل شيء علماً هو أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي جاز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين بلا أدنى مبالغة، وبلا أي نوع من الغلو، ومن قال بخلاف ذلك فإنه على الخلاف، لا يهتدي سواء السبيل.

ومنها: قوله «عليه السلام»: أنا محصي الخلاق وإن كثروا.

قال تعالى: {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا}{^(٢)}.
{وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} فهذا الإمام المبين أحصى كل شيء، ومن الشيء، الخلق، كثروا أو قلّوا، قد أحصاهم إحصاءً كاملاً.

وقوله «عليه السلام»: أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء.

قال سبحانه: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى}{^(٣)}. لأن كل شيء دون في الكتاب، وعند أمير المؤمنين ألف كتاب من كتب الأنبياء.

قال «عليه السلام»: أنا المتكلم بكل لسان، أنا الشاهد لأعمال الخلاق في

المشارك والمغارب.

الآية التي تبين أن أمير المؤمنين «عليه السلام» شاهد على جميع الخلائق، شهوداً حضورياً هي قوله تعالى:

{وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}{^(٤)}.
=====

(١) الرحمن: ٣٣.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) طه: ٥١ - ٥٢.

(٤) التوبة: ١٠٥.

والمؤمنون عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم.
ومن الآثار على قوله «عليه السلام»: أنا أعلم أنا بعد آن، وساعة بعد
ساعة.

ما من شيء يحدث في هذا الكون، ساعة بعد ساعة، أنا بعد آن إلاّ
وهو في قلب مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام».
والله تعالى يقول في كتابه العزيز: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (١).

ومن الآثار على قوله «عليه السلام»: أنا الذي أعلم خطرات القلوب، ولمح
العيون، وما تخفي الصدور. قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (٢)، {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ}.

كان هناك شخص يعترض، ويشكّ في هذا الأمر، يقول: كيف ذلك؟
قلت له: اذهب إلى الهند حيث إنّ الهنود أصبحوا يعرفون هذه المسائل.
أنقل لكم قصة واقعية حدثت قبل ثمانين عاماً في النجف الأشرف:
جاء رجل خبير من الهنود إلى النجف الأشرف يعلم بعض ما في
النفوس! أخبر به المرجع الديني الأعلى الشيخ طه آل نجف «رضي الله عنه» قال:
احضروه لي، أريد أن أختبر صدقه من كذبه، قالوا له: مولانا كلّ
الموجودين أخبرهم بدقة عما يكونون في صدورهم!! فقال: احضروه. ودخل
على المجتهد، قال له المجتهد: عندي شيء أريد أن أختبر فيه صدقك؟

(١) النمل: ٧٥.

(٢) الزلزلة: ٧ - ٨.

قال الهندي: أي شيء تريده، أخفه في صدرك، وسأخبرك به!
قال المجتهد: أضمرت. فعند ذلك قام هذا الخبير الهندي، وأخذ يدور في المجلس، حتى وقع! قال له: ما بك؟ قال: والله، إن الذي أضمرت يطوف على الأرض في الثانية، وأنا أردت أن أراه وأن أنظر إليه، فلم أستطع حتى أصبحت كالمصروع. ثم قال له الهندي: ماذا أضمرت؟
قال المجتهد: أردت أن أعرف الإمام الحجّة أين هو في هذه الساعة؟
قال الهندي: والله، أن صاحبكم لا يمكن أن يحدّ بحد، يدور على الكرة الأرضية في أقل من ثانية!!

وهذا إقرار من الهندي بعظمة شأن آل محمد صلوات الله عليهم. واسوأته! واتخلفاه! واضيعته! يأتي بعضهم ويناقش في مراتب ومقامات أهل البيت «عليهم السلام» أو أن يقول كما يحلو له بمنتهمي الجهل: أن هذه الخطبة من صنع الغلاة!

قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (١).

وقال جل جلاله: {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} (٢).

فعندما تقول: إن هناك شخصاً هندياً يعلم خطرات القلوب، يُصدّق هذا المنكر، ولا يستنكر! بل ربّما يضيف بعض النماذج والصور على ذلك، وإذا قيل له: هذه كرامات أهل البيت «عليهم السلام» يقول: هذا غلو!!

(١) القصص: ٥٦.

(٢) النور: ٣٥.

أجل والله، فما لهم من نور، وإنا لله وإنا إليه راجعون، الإنسان لما ينظر في سيرة الميامين الذين هم ودائع الله في مخلوقاته.
نسأل: هل حفظت هذه الودائع في الأرضين؟ أسفاً! لم تحفظ، بل هتكت. روى السيد ابن طاووس، نقلاً عن كتاب الوصية، للشيخ عيسى ابن المستفاد الضرير، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه «عليهم السلام» قال: **لما حضرت رسول الله «صلى الله عليه وآله» الوفاة، دعا الأنصار، ثم ذكر وصيته «صلى الله عليه وآله» ... إلى أن قال: «ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله».**
قال عيسى: فبكى أبو الحسن «عليه السلام» طويلاً، وقطع بقية كلامه، وقال:

**هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله^(١).
يا موسى بن جعفر، يا حجة الله، يا سيدي ومولاي، إذا كانت فاطمة هتك حجابها بوجود أمير المؤمنين «عليه السلام» فماذا حدث لابنتها زينب «عليها السلام» في يوم كربلاء!؟
الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.**

(١) راجع البحار: ٤٧٦/٢٢ ح ٢٧.

البحث السابع والعشرون

آية الولاية العظمى والحجة الكبرى

على ولاية المولى صلوات الله عليه

من خلال قوله تعالى:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...

قال تعالى:

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (١)

عطفًا على البيان السابق في البحوث المتقدمة في سرّ هذه الآية، انقح لي هذا المعنى الجليل المرتبط بأبحاثنا في بيان سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب، وبهذا سيتبين لك عمق هذه الآية، التي تتصدع بها الجبال وتخضع لها الصخور، وتفجر بها الينابيع لما لها من أبعاد يستطيع الإنسان أن يخرق بها الحجب وينفذ منها، وهذا ليس من باب المبالغة.

بعض الأسرار التي كان يعرفها بعض أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» استطاعوا أن يحيلوا بها التراب إلى تبر، والتبر إلى تراب، وما إلى ذلك من أسباب يطول بها الخطاب، ولكن المهمّ كيف نترجم هذه الآية في متن القلب، ونجعلها محرّكة للجوانح والجوارح؟ هنا سرّ عجيب! التفت لهذا السرّ الذي نريد أن نبيّنه حتّى ندخل في تعيين الآثار المترتبة على بحث سبع وعشرين ليلة فيما يتعلّق في أسرار أبي تراب «عليه السلام» في متن الخطاب على ضوء أنه هو الكتاب، وقد أورثه الله تعالى علم ما فيه، وسرّ ما فيه، هذا الذي نريد أن نتوصل إليه ونبيّنه ببركة محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم. «إِنَّمَا» في اللغة، تفيد الحصر {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ} (٢).

(١) المائة: ٥٥.

(٢) الرعد: ٧.

يعني، المنذر الخاتمي أنت لا غير، والهادي هو الوصي.
قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}.
والمقصود بـ {وَالَّذِينَ آمَنُوا} هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه، بلا
ريب.

نقل الرازي في تفسيره، عن أبي ذر رضي الله عنه، أنه قال: صليت
مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم
يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم إشهد! أني سألت في
مسجد الرسول «صلى الله عليه وآله» فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي «عليه السلام» كان
راكعاً، فأوماً إليه بخصره اليمنى، وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ
الخاتم بمراءى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: اللهم! إن أخي سألك فقال: {رَبِّ
اشْرَحْ لِي صَدْرِي} إلى قوله: {وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي}، فأنزلت قرآناً ناظقاً
{سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَا سُلْطَانًا} اللهم! وأنا محمد نبيك وصفيك،
فاشرح لي صدري ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد
به ظهري. قال أبو ذر: فوالله، ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل
جبريل فقال: يا محمد اقرأ: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...} إلى آخر الآية. (١)

الذي يريد أن يستقرئ أقوال العلماء في سبب نزول الآية الكريمة
سوف يلاحظ رجحان كفة نزولها في المولى صلوات الله عليه، فأنا طالعت
وتحصت كتباً كثيرة في التفسير والحديث وغيرهما بشأن هذه الآية، فوجدت
أكثر العلماء قد أطبقوا على أن الآية الكريمة نزلت في المولى أمير

(١) تفسير الرازي: ٢٢/١٢ - ٢٣.

المؤمنين صلوات الله عليه، أنظر المعجم الأوسط للطبراني^(١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي^(٢)، والكشاف للزمخشري^(٣)، وجامع البيان للطبري^(٤)، والدر المنثور للسيوطي^(٥)، ولباب النقول في أسباب النزول له أيضاً^(٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي^(٧)، وتفسير البيضاوي^(٨)، ونظم الدرر للبقاعي^(٩)، وتفسير الثعلبي^(١٠)، وغرائب القرآن للنيسابوري^(١١)، وأسباب النزول للواحدي^(١٢)، وبحر العلوم للسمرقندي^(١٣)، وزاد المسير لابن الجوزي^(١٤)، والنكت والعيون للموردي^(١٥)، والحمويني في فرائد السمطين^(١٦)، والمناقب للخوارزمي^(١٧)، وابن المغازلي^(١٨)، وشواهد التنزيل

-
- (١) المعجم الأوسط: ٢٩٨/٣.
 - (٢) تفسير القرآن العظيم: ١١٦٢/٤.
 - (٣) الكشاف: ٦٤٩/١.
 - (٤) جامع البيان: ٣٩٠/٤.
 - (٥) الدر المنثور: ١٠٤/٣ - ١٠٦.
 - (٦) لباب النقول: ١١٧ - ١١٨.
 - (٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢١/٦.
 - (٨) تفسير البيضاوي: ٤٣٩/١.
 - (٩) نظم الدرر: ٤٨٤/٢.
 - (١٠) تفسير الثعلبي: ٧٤ (مخطوط).
 - (١١) غرائب القرآن: ٢٠٥/٢ - ٢٠٧.
 - (١٢) أسباب النزول: ١١٠.
 - (١٣) بحر العلوم: ٤٣٢/١ - ٤٣٤.
 - (١٤) زاد المسير: ٢٢٧/٢.
 - (١٥) النكت والعيون: ٤٩/٢.
 - (١٦) فرائد السمطين: ٧٩/١.
 - (١٧) المناقب: ٢٦٦.
 - (١٨) المناقب: ٣١١.

للكاظم الحسكاني^(١)، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور^(٢)، وشرح التجريد للقوشجي^(٣)، ومعالم التنزيل للبعوي^(٤) وغيرهم. نقل العلامة هاشم بن يحيى الصنعاني في إرشاد الهارب، كلاماً بليغاً في شأن نزول الآية، حيث قال: ومن أعظم الدلائل والرد لقول بعض جهلاء المفسرين بأنّ قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...} لم تنزل في عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، وإنما نزلت في غيره، وساق مجموعة من المصادر والطرق المتينة الناصّة على نزول الآية المباركة في المولى صلوات الله عليه^(٥).

أنظر أيدك الله وركاك إلى هذه النقول وغيرها ولولا الإطالة لدوتنا ما يزيد على ما ذكرنا أضعافاً، ومع هذا كلّه وغيره تجد ممن ختم الله على قلبه وسمعته وخالف نصّ القرآن الكريم يتجاهل هذا كلّه، وينقاد وراء عصبية الجاهلية التي ورثها عن أسلافه، ويجعلها حاكمة على عقله، بل يتمادى في الكذب ويدعي الإجماع على عدم نزولها في المولى صلوات الله عليه. أنظر إلى ما نقله المتعصب ابن تيمية الذي ينقل ما نصّه في منهاج الفرقة الذي يسمّيه «منهاج السنة»:

أجمع أهل العلم بالنقل على أن الآية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ...} لم تنزل في عليّ...

وقال أيضاً: أجمع أهل العلم على أن عليّاً لم يتصدق بخاتمه في

(١) شواهد التنزيل: ٢١٢/١ وما بعدها.

(٢) المختصر: ٨/١٨.

(٣) شرح تجريد الاعتقاد: ٣٧٨ (حجري).

(٤) معالم التنزيل: ٢/٢٧٢.

(٥) إرشاد الهارب من صحّة إيمان الأقارب: ١٨٣ - ١٨٥.

الصلاة، وقال أيضاً: وأجمع أهل العلم بالحديث على أنّ القصة المروية في ذلك من الكذب الواضح... ولهذا لما كان البغوي عالماً بالحديث أعلم من الثعلبي والواحدي، وكان تفسيره مختصر تفسير الثعلبي لم يذكر في تفسيره شيئاً من هذه الأحاديث الموضوعية... ثم قال: ولم يذكر الطبري، وأحمد بن حنبل، وابن حميد، وعبد الرزاق، فلم يذكرها في كتبهم مثل هذه الموضوعات. وإنّ عبد الرزاق رغم ميله إلى التشيع وأنّه يروي كثيراً من فضائل عليّ، لكنّه أجلّ قدراً من أن يروي مثل هذا الكذب الظاهر...^(١).

نقول: صدق المثل القائل: إن كنت لاتستحي فافعل ما شئت.

أنظر إلى دعوى ابن تيمية، فإنها باطلة جملة وتفصيلاً؛ وذلك لأنها يعوزها الدليل والبرهان، بل الدليل والبرهان قائم على خلافها، وهذا الكلام يكشف عن مدى تعصب ابن تيمية للباطل، ومحاولته إطفاء نور الله تعالى، ولكن الله متمّ نوره.

نحن لا يمكن أن نحمل كلامه على غير هذا؛ وذلك لأنّه لا يسوغ لنا أن نقول أنّ ابن تيمية غير مطلع على المصادر الناقلة لنزولها في المولى صلوات الله عليه، من كتب وأقوال علماء العامة، بل إنّ ما ذكره من الكتب والعلماء ووصفهم بأنهم من أهل العلم الكبار، ونفى نقلهم لنزولها في المولى صلوات الله عليه، هم أنفسهم يصرحون بنزولها في المولى صلوات الله عليه، ألا يكفي هذا دليلاً على عناده لله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» بل يكشف بوضوح عداؤه للسافر للإسلام وأهله!؟

فقوله: أجمع أهل العلم بالنقل على أنّها لم تنزل في عليّ بخصوصه كذب مفضوح، فبعد أن تقدّم لك مجموعة من المصادر المعتمدة عند أبناء

العامة، الناقله لنزول الآية بالمولى صلوات الله عليه، وكذا نقل هذا علماء كبار_ عندهم_ في التفسير والحديث وغيرهما_ كما تقدم ويأتي_ فقد نقلوا عن ابن عباس، وعطاء ابن السائب، وعبد الله بن سلام، وأبي ذرّ، والربيع بن سليمان المرادي، وأيوب بن سويد، وعقبة بن أبي حكيم، وأبي سعيد الأشجّ، والفضل بن دكين، وسلمة بن كهيل، ومجاهد، والسديّ، وعمار بن ياسر، والإمام عليّ «عليه السلام» وجابر بن عبد الله الأنصاري، ومحمد بن الحنفية، وأنس بن مالك، وسفيان الثوري، والأعمش، والمنهال، وغيرهم كثير. ألم يطلع ابن تيمية على كل هذا؟! كلا.

قطعاً، أنه إطلع على هذا وغيره، ولكن اللجاج والعناد والتعصب الأعمى قاده إلى غض النظر عن هذا كله.

وأما قوله: أجمع أهل العلم على أنّ عليّاً لم يتصدّق بخاتمته في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أنّ القصة المروية في ذلك من الكذب الواضح...

نقول: كيف يدعي اجماع أهل العلم على أنّ عليّاً لم يتصدّق بخاتمته في الصلاة، وإن القصة كذب، وإن البغوي كما كان عالماً لم ينقل هكذا قصص موضوعة...

إنّ مسألة تصدّق الإمام عليّ صلوات الله عليه، بخاتمته في الصلاة مشهورة، بل متواترة عند المؤالف والمخالف، وأقصى حدّ وصل إليه بعض المخالفين هو إنكار دلالة الآية على إمامة المولى صلوات الله عليه، ولم ينكر أحد منهم قضية تصدّق الإمام عليّ بخاتمته إلاّ الشواذ، من أمثال ابن تيمية وابن كثير ومحمود شاكر الكتبي، ولا يعدّ بالشواذ وحتى الذين وصفهم ابن تيمية بالعلماء الكبار،

كالبغوي، وابن جرير، وأحمد بن حنبل وعبد الرزاق وعبد بن حميد، وغيرهم، وقال في كلامه، أنهم لم يدوتوا في مصنفاتهم أن الآية نزلت في الإمام عليّ «عليه السلام» وأنّ علياً لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، فهؤلاء أنفسهم يفتنون دعوى المتعصب ابن تيمية. أنظر نص قول البغوي في معالم التنزيل.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...} أراد به عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راعع في المسجد فأعطاه خاتمه^(١). وأخرج الطبري بسنتين، عن مجاهد، وعن عتبة بن أبي حكيم، في قوله تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...} الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب، تصدّق وهو راعع^(٢).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، في قوله تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...} الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب^(٣).

أنظر أيدك الله وراعك إلى تعصب هذا الرجل، الذي قاده إلى إنكار البديهيّات والتي تسالم على نقلها العلماء، فادعى الإجماع على عدم نزول الآية في الإمام عليّ صلوات الله عليه، فاقتفى بذلك أثر بعض أسلافه المتعصبين، الذين حاولوا تضليل الناس عن النور الساطع والضياء اللامع محمد وآل محمد «عليهم السلام».

{وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (٤).

(١) معالم التنزيل: ٢/٢٧٢.

(٢) جامع البيان: ٤/٣٩٠.

(٣) أخرجه عنهما السيوطي في الدر المنثور: ٣/١٠٤ - ١٠٦.

(٤) آل عمران: ٥٤.

جعلنا الله وإيّاكم من المدافعين الذائدين عن حقّ محمّد وآل محمّد
بحقّهم صلوات الله عليهم.

البحث الثامن والعشرون

ولا يجر الصراط إلا من تمسك بأسبابها وأتى المدينة من بابها

ولاية المولى عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»

من خلال قول الرسول الأكرم «عليه السلام»:

لَا يَجُوزُ الصِّرَاطَ إِلَّا مَنْ كَانَتْ مَعَهُ بَرَاءَةٌ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: :

إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ لَمْ يَجْزْ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ كَانَتْ مَعَهُ بَرَاءَةٌ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(١).

قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}^(٢).

أشير إلى استدلال مختصر فيما يخص هذه الآية الكريمة، وفيها ما فيها من أسرار، لو تحدّث المتحدّثون من حكماء وغيرهم في بيان المراد منها لما وصلوا إلى بعض مظاهرها، وأمّا حقيقة المطلب فهو فوق هذا الذي نقول، إذ أنّ القرآن الكريم يشير بشكل بيّن إلى أهميّة الولاية العظمى، وفيها هذا السرّ، وإن شاء الله تعالى بالتأمّل في معانيها سوف ننتهي إلى أسرار بالغة الأهمية، ونكون في جانب هامّ من الموضوعية.

هذا السرّ أقرّره بنحو آخر، وأبيّنه بخطاب جديد، وخالصة ما تقدّم إنّ الولاية الإلهية الكبرى، ولاية الله، هي ولاية أزلية سرمدية،

(١) أنظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١٩٨/٢، تاريخ دمشق في ترجمة الإمام عليّ «عليه السلام»، غاية المرام للبحراني: ٢٦٢، الرياض النضرة: ١٧٧/٢، الغدير: ٣٢٢.
(٢) المائدة: ٥٥.

دائمة باقية مستمرة، شاملة وجامعة لكل ما لهذه الولاية من معنى عريض، فيما يتصور في ولاية الله تبارك وتعالى، ولها أبعادها وسعتها وعمقها على كل ذرات هذا الوجود. فكل ما تقوله في ولاية الله تعالى، قلّه في ولاية من عطف على الله في الولاية {رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} وهما: رسول الله «صلى الله عليه وآله» والإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، لعدة أدلة منها:

مقتضى العطف. لأنه لو لم يرد هذه الولاية الدائمة، الباقية، المستمرة، النافذة، المهيمنة، المسيطرة على كل شيء، لاكتفى بقوله:

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} وينتهي الخطاب، ولكن عندما عطف، فالعطف ليس جزافاً، العطف ليس اعتباطاً، العطف يقتضي أنّ كلّ ما ذكر للولاية الإلهية الخاصة بالله عزّ وجلّ، فهي للرسول وللإمام صلوات الله عليهما. أي أنه لو لم يرد الله الإطلاق من الولاية، ولم تكن بعموميتها وشموليّتها مقصودة لله تبارك وتعالى لقال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} فقط، ولكن عندما يقول: {رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} فإنه يقتضي أنّ هذه الولاية التي هي لله تعالى، هي للرسول «صلى الله عليه وآله» وهي للإمام صلوات الله عليه أيضاً، ولكن غاية الأمر أنّ ولاية الله هي بالأصالة، وهو الأصل فيها، وأنّ الولاية لرسوله وللإمام بالعرض، أي بإعطائه وإيتائه الولاية لهما، أو قل «بالتبع».

إذا ثبت هذا المعنى، وأنه «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك» على ما تقدّم في الدعاء الوارد عن المعصوم «عليه السلام»^(١)، وأنّ الربوبية والإلهية لله تعالى، وهو منزّه عن أن يتصف بصفات المخلوقين، حينئذ لا يمكن ردّ أنّ كلّ ما لله لرسوله، وأنّ كلّ ما لرسوله لوصيّه، فإذا جاء شخص

(١) تقدّم في دعاء رجب.

يقول: إنكم تصعدون قولكم أكثر من اللازم، وتبالغون في كلامكم، حيث إنكم نسبتم ولاية الله إلى رسوله وإلى وليه، وهذا صعود وارتفاع وغلوّ!!

نقول له: إن الله تعالى يقول {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} «إِنَّمَا» أداة حصر، يعني من له الولاية والذي جاء بعد «إِنَّمَا» محصور بمن ذكر، فلو قال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} فحسب، فإنه لا أحد يستطيع أن يتجرأ ويقول: إن هذه الولاية لغير الله، ولكن قال تعالى: «وَرَسُولُهُ» عطف الرسول على الله، وأيضاً {وَالَّذِينَ آمَنُوا}.

وقد يستفسر: أن ولاية الله أزليّة، مطلقة، سرمدية، باقية، غير محدودة، ولاية الله هي فوق كل شيء، فهل هذه بتمامها للرسول «صلى الله عليه وآله» وللأئمة صلوات الله عليهم.

نقول: نعم. هي بتمامها للرسول «صلى الله عليه وآله» وللأئمة «عليهم السلام». نسال: إذا قلنا إن هذه الولاية مطلقة حتى على أولي العزم، هل يلزم المحال؟ من قبيل إجتماع النقيضين أو الضدين. بل هل يلزم من ذلك الخلف أو البطلان أو ما أشبهه؟ كلا. بالعكس، الله يستطيع أن يعطي الولاية التكوينية والتشريعية على السماوات، والأفلاك، والأملاك، على ما فوق، وما دون، على ما نعلم، وما لانعلم، إلى بعوضة، فهل يشكل على الله شيء؟! هل ينقص منه شيء؟!!

قال المعصوم «عليه السلام»: لاتزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً^(١). فأين الإشكال إذا قلنا بأن الولاية المطلقة هي لأمر المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه؟! نقل مجموعة من علماء العامّة في كتبهم بإسناد يرفعونه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال لعليّ «عليه السلام»:

(١) تقدّم تخريجه.

والذي نفسي بيده، يقسم النبي، وإِنَّه نقسم لو تعلمون عظيمٍ لولا
أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم
فيك مقالا لاتمرّ بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك
للبركة»^(١).

أنا أتمنى لو أن هؤلاء تأملوا ولو قليلاً فيما كتبوه؟

ما معنى: يقولون فيك ما قالت النصارى؟

ماذا يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قوله: ؟

لا تمر بملأ من المسلمين، ولم يقل شيعة، ولم يحدد فئة معينة، وإنما

قال: من المسلمين. ماذا يعني هذا القول؟

عندما نتمعن في كلام الرسول «صلى الله عليه وآله»:

أنا أخاف أن أبين مناقبك، وأقسم بمن نفسي بيده، لو أظهرت للناس
بعض أسرارك يا علي، لقاتل الناس فيك هذا هو «الله» هذا معنى لقاتل
فيك ما قالت النصارى.

هذا هو إمامنا أمير المؤمنين، الكتاب الناطق الذي نقش عليه جميع ما
كان وما يكون وما هو كائن.

فمن الآثار المترتبة على أن علياً «عليه السلام» هو الكتاب.

قوله «عليه السلام»: ألا فابشروا، فإلي يرد أمر الخلق غداً بأمر ربي.

ورد في الزيارة الجامعة للمعصومين صلوات الله عليهم: «إياب الخلق

(١) أنظر مجمع الزوائد للهيتمي: ١٧٨/٩ ح ١٤٧٥٢، المعجم الكبير للطبراني:
٣٢٠/١، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٢٦٤، مناقب الخوارزمي: ٣١١، ينابيع المودة:
...٣٩٢/١

اليكلم». (١)

قال تعالى: {مَالِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} (٢).
وقال جلّ وعلا: {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (٣) فلا تستعظم ما قاله
أمير المؤمنين «عليه السلام»: أعطينا علم المنايا والبلايا والتأويل والتنزيل (٤).
فهو أيضاً في القرآن الكريم: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا
فِي كِتَابٍ} (٥) والكتاب حقيقته عند علي «عليه السلام».

فقوله «عليه السلام»: وأعطينا التأويل والتنزيل. وفصل الخطاب عندنا،
وعلم النوازل والوقائع والبلايا.

وهذا الأثر تجده في قوله عزّ شأنه:

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ} (٦).

وقوله «عليه السلام»: فلا يعزب عنا شيء.

قال الله تعالى: {وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٧).
قال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا وكم عجائب تركتها،
ودلائل كتمتها لا أجد لها حملة (٨).

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) سورة يس: ١٢.

(٤) راجع إلزام الناصب: ٢٤٦/٢ «ضمن الخطبة التنجبية».

(٥) فاطر: ١١.

(٦) الحديد: ٢٢.

(٧) بونس: ٦١.

(٨) انظر إلزام الناصب: ٢٤٧/٢ «ضمن الخطبة التنجبية».

إذن، فالكتاب عبارة عن الصفحة النورانية المسماة عند الملائكة الأعلى
بـ «الأعلى» وعند أهل الأرض بـ «علي». فعندما يقول المولى «عليه السلام»: أنا الذي أعلم المنيا والبلايا وفصل
الخطاب.

أين يوجد هذا في القرآن؟
لاحظ قوله تعالى: {وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ} (١).

وقد أورد الله تعالى هذا الكتاب المبين {الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (٢).

إذا يوجد في القرآن علم المنيا وعلم البلايا، فما المانع أن يكون كل
شيء من علم المنيا والبلايا وفصل الخطاب في قلب أبي تراب علي بن أبي
طالب صلوات الله عليه.

وقوله «عليه السلام»: أنا أعلم بتأويل القرآن والكتب السالفة، أنا الراسخ
في العلم.

كل الكتب مطوية في كتاب الله تعالى، كل الصحف هي في كتاب الله
تعالى؛ لأن الكتاب لم يدع شيئاً إلا وفصله تفصيلاً، ففي الكتاب كل علوم
الكتب السماوية السالفة، وغيرها، فحينئذ كل شيء في صدر مولانا فخر
الكائنات الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وقوله «عليه السلام»: أنا الذي أعلم همهم الطير... .

قال الحق تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ

(١) هود: ٦.

(٢) فاطر: ٣٢.

وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ. (١)

وقال عزّ شأنه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (٢).

من يردّ هذا الكلام؟! لو يكتب بماء الذهب فهو قليل، ترى أين الغلوّ الذي يتّهم به الحافظ البرسي «رحمه الله»؟
كفى استخفافاً بحقّ آل البيت «عليهم السلام» وبمراتبهم التي رتبهم الله تعالى بها، كلنا فداء لموالي أبي تراب، والذي أبي عليه لعنة الله تعالى، ولعنة أبي تراب «عليه السلام».

قال الإمام «عليه السلام»: أنا خازن السماوات وخازن الأرض.

قال تعالى: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣).

فهل يُراد لهذه الخطب سند؟

الميرزا النائيني، أعلى الله تعالى مقامه، وهو الجهبذ في العلم والفضل، يقول:

«إنّ المناقشة في إسناد روايات الكافي حرفة العاجز» (٤) يقول بتعبيره: عكازة الأعرج، يعني، أنّ الأعرج لا يمتلك إلا العصا ليتوكأ عليها فيمشي. فالذي يناقش في أسانيد الكافي يعتمد على كلمة ويجعلها كعصاة الأعرج، يتحجج بها أينما يذهب قاتلاً: تلك الخطب ضعيفة السند! فيها غلوّ، وما أشبه!

(١) الحج: ٧٠.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) النمل: ٧٥.

(٤) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي «رحمه الله»: ٨٧/١.

وليعلم هذا ومن ينحو نحوه إنّ كلّ ما في الإمكان منك في عليّ صلوات الله عليه. جنب الله عليّ، وجه الله عليّ، نور الله عليّ، شمس الضحى عليّ، عين اليقين عليّ، عليّ وما أدراك ما عليّ؟ ولهذا قال المولى «عليه السلام»: أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا معلّم موسى، أنا مكّم موسى من الشجرة، أنا الذي كلمته وكنت في النار لما ذهب ليقتبس لأهله ناراً.

لأنّه صلوات الله عليه، هو النور «وليكم الله تعالى ورسوله والإمام» صلوات الله عليهما.

إذن، عليّ «عليه السلام» هو كلّ شيء في عوالمنا الإمكانية. جلّ الله تعالى عن الوصف، وعن الإشارة والنعته، والحد والرسم، لا يمكن أن نتحدّث فيه، ولكن يمكن أن نتحدّث عن دلالته، آياته، وجود إثباته، معرفته، توحيده، وتوحيده تمييزه عن خلقه، هذا فصل الخطاب صلوات الله تعالى عليه من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل، فليخسأ المشكّكون. والحمد لله ربّ العالمين.

البحث التاسع والعشرون

في كتاب مسطورة وفي أحاديث الرسول مشهورة
والإمام

ولاية الإمام عليّ صلوات الله عليه

من خلال قول رسول الله «عليه السلام»:

أوصي من آمن بي وصدقني بولاية عليّ بن أبي طالب.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» :
أُوصِي مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ تَوَلَّاهُ
فَقَدْ تَوَلَّانِي، وَمَنْ تَوَلَّانِي فَقَدْ تَوَلَّى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (١).

في رواية عن الحسن البصري، عن عبد الله، قال: قال رسول الله «صلى
الله عليه وآله»:

إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس وهو
جبل قد علا على الجنة فوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار
الجنة وتتفرق في الجنان وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه
التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته،
يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار (٢).

وأخرج القاضي عياض في كتاب الشفاء، عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه
قال:

معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط،
وولاية آل محمد أمان من العذاب (٣).

عشنا مع هذه الأبحاث النورانية تسع وعشرين ليلة رمضان مباركة،
كان محور كلامنا فيها يدور حول سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب، وقد
أثبتنا

(١) تاريخ دمشق في ترجمة الإمام علي «عليه السلام»، وذكره أيضاً الكنجي الشافعي في
كفاية الطالب: ٧٤، والهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني: ١٠٩/٩.

(٢) مقتل الخوارزمي: ٣٩/١، المناقب له: ٣١ الفصل ٦.

(٣) أخرجه عنه الأميني في الغدير: ٣٢٤/٢، وذكره ابن حجر في الصواعق: ١٣٩،
والزبيدي في الإتحاف: ١٢٨/٣، والحضرمي في رشفة الصادي: ٤٥٩.

عن طريق كتاب الله المجيد وسنة نبيه الحميد جملة من الأبحاث، منها:
إنّ الخطاب وما فيه من تصريحات وإشارات يؤيد ما ورد من
الخطابات على لسان المولى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله
عليه، كالخطبة: التطنجية والكاهلية والنورانية والروحية والافتخارية،
وخطبة البيان وغيرها، وإنّ هذه الخطب تحمل أسراراً بليغة لا يمكن حلّها
إلا بالركون إلى القرآن المجيد وتراجم القرآن محمد وآل محمد صلوات الله
عليهم، وتمكنا بحمد الله تعالى من حل بعض هذه الرموز والأسرار وتوصلنا
إلى أنّ ضعف أسانيد هذه الخطب النورانية مجبور بتأييد القرآن الكريم
لنصوصها ومضامينها وكفى بالقرآن شاهداً ومشهوداً.

ومنها: إنّ الكتاب وما فيه من علوم وفنون وفيه كافة مشارب
ومتطلبات الحياة الأولى والأخرى مودع ومحفوظ في صدر الإمام عليّ وآل
عليّ صلوات الله عليهم، بل هم الكتاب بذاته وذاتيته، كيف لا وهم القرآن
الناطق، بتصريح سيّد المخلوقات «صلى الله عليه وآله»!؟

ومن الأبحاث التي توصلنا لها: إنّ علمهم وفضلهم صلوات الله
عليهم، مقدّم على علم وفضل جميع الأنبياء والملائكة «عليهم السلام» وذلك لأنّ
عندهم علم الكتاب كلّّه، ولم ينل هذه المرتبة من الفضل سواهم صلوات الله
عليهم.

ورد أنّه لما سار موسى على نبيّنا وآله «عليه السلام» بأهله {فَقَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} (١).

فما هي حقيقة هذه النار؟ وما هي الأسرار المكنونة فيها؟

لماذا قال: «لَعَلِّي»...؟

لأنه يعلم أنّ هؤلاء كلّهم لا يتحملون هذه القبسة من تلك النار التي يجد عليها الهدى، فما هي حقيقتها؟

في بعض البيانات الواردة عنهم «عليهم السلام» أنّ النار كانت صفراء لم ير مثلها صفرة، صفراء ليست كهذه النار المعروفة عندنا، وإنما من باب اللفظ، أنّه لا يوجد شيء يعرفنا على حقيقة الصفرة إلا أن نقول: نار، لأنّ عقولنا محدودة لا تستوعب هذه الأسرار، فيمثل لنا الصفرة التي على الشجرة بأنّها نار.

كانت صفرتها عجيبة والشجرة من الخضرة بحيث لم ير مثلها، فلما جاء موسى «عليه السلام» من بعيد لم يستطع أن يقف، أراد أن يقتبس، ولهذا قال: «لَعَلِّي» لأنّ القضية ليست قطعة نار وخبث تأخذها وتوقدها حتى يوقد منها، القضية فوق هذا.

فلما وصل فإذا به يجد الخطاب، وسرّ الخطاب، فنودي {أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}.^(١)

ونداء ثان صدر من تلك النار: {إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ}.^(٢) الله عزّ شأنه أجلّ من أن يكون بهيئة نار، وينزل في النار، حاشا لله، وإنما هذا نداء وليّ الله، وهذا خطاب وليّ الله، ولسان وليّ الله في خلقه، لسان الله ممثّل بأحبّ الخلق إلى الله، وهو عليّ صلوات الله عليه.

إذن، ذلك النور الذي اقتبس منه موسى علي نبينا وآله «عليه السلام» الهدى أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

(١) النمل: ٨.

(٢) النمل: ٩.

إرجع إلى التفاسير والروايات المروية تجد العجائب والحيرة، نار يصدر منها صوت: تصيح «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ» يتراجع على أثر هذا النداء موسى خائفاً مترقباً، ولا يستطيع أن يأخذ شيئاً، ما هي هذه الأسرار؟ إذا أنت تقبل بوجود نار في القرآن، وتقبل خروج الصوت من النار، وأنّ النار والصائح واللسان كلّ في الكتاب، فما المانع أن يكون ذلك الصائح هو عين الكتاب وحقيقته؟!

وكذلك توصلنا عن طريق الأبحاث التي عشناها معاً إلى أنهم صلوات الله عليهم وجه الله الكريم، وعينه الناظرة، ويده المبسوطة، ولسانه الناطق، أثبتنا كل ذلك قرآنيّاً، وتمكنا بحمده تعالى من رفع شبهة الغلوّ التي تراود البعض من أثر هذا الكلام وغيره.

وتوصلنا أيضاً إلى أنّ ولاية آل محمد صلوات الله عليهم، هي الإكسير الأعظم الذي دارت عليه رحى الوجود، وإنّ الولاية لهم صلوات الله عليهم، كانت قبل الخلق، مع الخلق، بعد الخلق، على السماوات، الأرضين، الأعراس... .

كل هذا توصلنا إليه بفضل من الله تعالى وتسديد من آل الله صلوات الله عليهم أجمعين، وحسن استماعكم أخوتي المؤمنين، الموالين لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، ونختم بحوثنا هذه بمقولتين عظيمتين للمولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، لو سطرّت كلماتها بالذهب الخالص لكان قليلاً، لا وألف لا! ما قيمة الذهب وكلّ عناصر الطبيعة أمام حرف واحد تلفظ به المولى صلوات الله عليه؟ كلامنا كلّاً للتقريب؛ حقيقة كلام المولى لا يدركها إلاّ الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

المقوله الأولى، قالها المولى صلوات الله عليه، لكميل بن زياد النخعي:
يَا كَمِيلُ بِنَ زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي
مَا أَقُولُ لَكَ:

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمَنْعَلَمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ
أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ [صائح]، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ
يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كَمِيلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ.
وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزُكُّو عَلَى الْإِتْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ
بِزَوَالِهِ.

يَا كَمِيلُ بِنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ
فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وِفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.
يَا كَمِيلُ هَلْكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بِأَقْوَنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ:
أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هَا هُنَا لَعُلْمًا جَمًّا
(وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةٌ! بَلَى أَصَبْتُ لَقْنَا غَيْرَ مَأْمُونٍ
عَلَيْهِ، مُسْتَعْمَلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَنْظَرًا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجْجِهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ؛ أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ (أَحْيَائِهِ)،
يَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبُهَةٍ. أَلَا لِذَا وَلَا ذَاكَ! أَوْ مِنْهُومًا
بِاللَّذَّةِ، سَلَسَ الْقِيَادَ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ
الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ! كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ
بِمُوتِ حَامِلِيهِ.

اللَّهُمَّ بَلَى! لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا،
وَإِمَّا خَائِفًا (حافياً) مَغْمُورًا، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجْجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ
أَوْلَيْكَ؟

أُولَئِكَ وَاللَّهُ - الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظُمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا. يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمَ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرْفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى. أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ. آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ! انصَرَفَ يَا كَمِيلُ إِذَا شِئْتَ. (١)

والمقولة الثانية قالها «عليه السلام» لرجل سأله أن يعظه:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيَرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاعِبِينَ إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مَنَعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ؛ يَعْجُزُ عَنِ الشُّكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ؛ يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي؛ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ الْمَذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا؛ يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عَوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ؛ إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا، وَإِنْ نَالَهُ رِخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا؛ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ؛ يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِهِ؛ إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرِّ وَفُتِنَ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنَطَ وَوَهِنَ؛ يُقْصِرُ إِذَا عَمَلَ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ؛ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ، وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَّتَهُ مَحَنَةٌ انْفَرَجَ عَنِ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ. يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطَّى؛ فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدَلٌّ، وَمِنَ الْعَمَلِ مُقَلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَقْنَى، وَيَسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى. يَرَى الْغَنَمَ مَغْرَمًا، وَالْغُرْمَ مَغْنَمًا؛ يَخْشَى الْمَوْتَ، وَلَا يُبَادِرُ الْفُوتَ؛

يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْتَرُ
مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَلِنَفْسِهِ
مُذَاهِنٌ؛ اللَّهُوَ (اللَّغْوُ) مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ
عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ؛ يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ
يُطَاعُ وَيَعْصَى، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى
رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

وقال الشريف الرضي «رحمه الله» ما نصّه: ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا
هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة ، وبصيرة لمبصر، وعبرة
لناظر مفكر. (١)

خاتمة الكتاب

إنّ هذه الرشحات والأنوار القدسية _التي طفحت علينا من منبع العلم، ومعدن الكلم، أمير المؤمنين ، وقائد الغرّ المحجلين، صلوات الله عليه، والتي عشنا معها طيلة أيام هذا الشهر المبارك_ مستمدة من كتاب الله تعالى، وثابتة في السيرة على لسان سيّد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، محمدّ الأمين، صلوات الله عليه وعلى آله البررة ، ومقررة من قبل أولياء الله الصالحين، فغدت هذه الرشحات والأنوار منهلًا عذبًا يغترف منه أتباع آل محمدّ صلوات الله عليهم زادهم الإيمان، وصنفت فيها، المصنفات _ المطولات والمختصرات، نقلًا وشرحًا وتعليقًا _ كلّ يدلّو بدلو، ويغترف على قدر إيمانه من منهل الولاية، ونحن بدورنا شاركنا هذا الجمع الإيمان، فحاولنا بسط الكلام في مجموعة من خطبه صلوات الله عليه، والتي عنونها العلماء بعناوين ذات معان عميقة _ خصصنا منها تلك التي وصف بها نفسه المقدّسة، والتي كانت محور بحثنا، وهي التي يقول فيها: «أنا». منها:

الخطبة المعروفة بـ «الافتخارية».

الخطبة المعروفة بـ «الكاهلية».

- الخطبة المعروفة بـ «النورانية».
- الخطبة المعروفة بـ «التطنجية».
- الخطبة المعروفة بـ «الروحية».
- الخطبة المعروفة بـ «البيان».

إضافة إلى أقواله وحكمه المصدرة بهذه الكلمة «أنا». أي، المعرفة لنفسه المقدسة. كل هذا وغيره هو من أسرار مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام». والسرّ كما لا يخفى على أولي الأبواب لا يمكن الإحاطة به، أو فهمه فهماً صحيحاً دون التمعن العميق، وتحريك أغلب المدركات الحسية والعقلية. هذا فيما إذا كان السرّ سرّاً عادياً، فكيف الحال إذا كان هذا السرّ سرّاً إلهياً، بل هو سرّ الأسرار جميعاً؟ إذن، أيّك الله تعالى ونور بصيرتك! لكي نصل إلى بعض أسرار المولى صلوات الله عليه، المكنونة في الفرقان. فلا بدّ علينا ليس فقط التمعن العميق، وتحريك أغلب المدركات الحسية والعقلية، بل علينا إضافة إلى ذلك صفاء النفس والتوجه الحقيقي لله تعالى، والغوص في أعماق القرآن المجيد والسنة الشريفة. ولا يهملك من تقول هنا أو قيل هناك، وأثار بعض الشبهات والأوهام على بعض خطب المولى صلوات الله عليه، وأقواله، بإدعائه أن هذا الذي قلتموه لا يصدر عن الإمام عليّ، وذلك لعدم تقبله من قبل العقل والنقل.

نقول: نعم. لا يقبله عقلك؛ لأنه تصدأ بفعل الأدران.

وفي الحديث الشريف عن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»: إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس^(١). أي، يعلوها الكدر والظلام بفعل مباشرة المعاصي

(١) أورده المجلسي «رحمه الله» في بحار الأنوار: ١٧٢/٧٤.

والآثام. وأي معصية وإثم أعظم من الإبتعاد عن ولاية محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، ومسايرة أعدائهم بالقول والفعل؟! فهذه الخطب والأقوال والحكم، إشراقات نورانية، تحتاج إلى محل نوراني. فلا تدخل إلى قلبك أيها المشكك؛ لعدم قابليتك لذلك. إذن العجز فيك ومنك. أما الموالي الحقيقي لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، تجد قلبه منشراحاً منفتحاً لهذه الأنوار القدسية والرشحات والفيوضات الإلهية. لذا قال المولى صلوات الله عليه، مخاطباً سلمان المحمدي «رضي الله عنه»: يا سلمان، من آمن بما قلت وشرحت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ورضي عنه، ومن شكّ وارتاب فهو ناصب، وإن ادعى ولايتي فهو كاذب^(١).

جعلنا الله وإياكم من المتعظين المتمسكين بحبل الله المتين والصراف المستقيم أمير المؤمنين وأهل بيته الهداة المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، الثابتين على ولايتهم، وأن يوفقنا في دعائنا ومناجاتنا إلى ذلك؛ لأنّ الثبات على ولايتهم «عليهم السلام» هو تمام النعمة الإلهية الكبرى والمكرمة الربانية العظمى، وخلاف ذلك هو الشرك بعينه. ورد في الكافي الشريف عن حسن الجمال، عن عميرة، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: أمر الناس بمعرفتنا والردّ إلينا والتسليم لنا، ثمّ قال: وإن صاموا وصلّوا وشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردّوا إلينا كانوا بذلك مشركين^(٢). قال تعالى:

(١) مشارق أنوار اليقين: ١٦٢.

(٢) الكافي: ٣٩٧/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ج ٥.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١)

تأمل! أخي الموالي إلى التعبير القرآني فليس الكفرة وحدهم، بل أكثر المؤمنين على الشرك بنص الآية الكريمة.

يقف بعض المؤمنين بين يدي الله وهو في الحقيقة يقف بين يدي أوهامه المخلوقة، يصف الله بوصف، حاشا للذات الأقدس أن توصف بوصف، أو تأيّن باين، أو تكيف بكيف، هذه مقالات المشبهة وغيرهم من الفرق الفاسدة، التي دبّت في نفوس هذه الأمة، ولأمر دبرٍ بليل مظلم، كلّها مخططات لنيمة لضرب الحقيقة، المتمثلة بالعقيدة الحقّة لأهل البيت صلوات الله عليهم.

نسأل الله الثبات على ولاية المولى أمير المؤمنين عليّ وآله صلوات الله عليهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد الأمين وآله آل الله الهداة المهديين والعن الوبيل على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

(١) يوسف: ١٠٦.

فهرس الآيات

البقرة – ٢

الآية	رقمها	الصفحة
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ... الَّذِينَ يَظُنُّونَ... فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا	٢	٣٧ و٣٨ و٩٢ و٣٢٢
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ... وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا... لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا... وَأَتُوا الْبُيُوتَ...	٤٦ ١١٥ ١٤٣ ١٥٦ ١٧٦ ١٧٧ ١٨٩	٣١ ٢٢٠ ١٦٠ ١٧١ ٤١ ٣٢٨ ١٤٨

آل عمران – ٣

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى... وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ... كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ... وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ... وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ... وَمَا كَانَ اللَّهُ...	٢٦ ٣٣-٣٤ ٥٤ ٥٩ ٦١ ١٦٩ ١٧٩	٣١٠ ٥١ ٣٤٨ و٢٢١ ١٣١ ٢١١ و٢١٢ و٢٩٤ ٢٥١ ١٠٣
--	---	---

و الله ميراث السموات...

١٨٠ ١٥٤

النساء - ٤ -

١٠٤	٤٦	يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ... أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ ... مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ... وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهاً.
٥٢	٥٤	
١٥٨ و ٥٢	٥٩	
٢٠٤	٦٩	
٨	٨٠	
١٥٨	٨٣	
٣٠٢	١٧١	

المائدة - ٥ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٦٨ و ١٥٣ و ٣٠	٣	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ.
٣٤٣ و ٣٣٥ و ١٧٤ و ٨١	٥٥	
٣٥١ و		
١٨٧ و ١٧٦	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ... يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ...
١٦٨ و ١٤٨ و ٢٩ و ١٢ و ٩	٦٧	
٢٨١ و ١٨٤ و ١٨٣		
٢٢٥	٨٧	

الأنعام - ٦ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٧٠ و ١٥٥ و ٨٦ و ٤٩ و ٤١	٣٨	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ.
٣٢٤ و ٢٣٨ و ٢٣١ و ٣٢٤		
٢٣٥ و ١٠٣	٥٠	قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي... وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ.
١٣٢ و ٤٨ و ٦٦ و ١٠٠ و ١٣٢	٥٩	
٣٢٣ و ٢٣٤ و ٤٣		
٣١٩	٧٥	نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ... لَا تَدْرِكُهُ الْإِبْصَارُ... أ
٢٦	١٠٣	

٣١٢ و١٧١ و٢٣ و٧٦	١٢٢	وَمَنْ كَانَ مَيِّتًا...
٣٢٥ و		
١٥٨	١٥٨	لَا يَنْفَعُ نَفْسًا.

الأعراف - ٧ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٣٢ و٦٦	١٤٥	وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ... قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ... وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ...
١٥٤	١٥٨	
١١٩	١٧٢	
٦٧	١٧٥	
٩٩ و٦٧	١٧٦	
٢٣٥ و٢٣٤ و١٠٣	١٨٨	

الأنفال - ٨ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٦	٣٠	وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ... لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ... وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ...
١٥٨	٤٨	
٢٣٥	٦٠	

التوبة - ٩ -

الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٥	١٠١	وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ... وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى...
٣٣٨ و٢٥٠ و١٧٣	١٠٥	

يونس - ١٠ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٤٠	٣٩	بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ... وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ
١٤٣ و١٣٤ و٧٦ و٤١	٦١	
٣٥٥ و٣٢١ و١٧١ و١٦٩ و		
٢٨٠ و٢٧٧ و٢٧٥	٩٤	لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ.

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ.

٢٧٧ ٩٥

هود - ١١ -

الآية	رقمها	الصفحة
كِتَابٍ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ... وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا...	١	٣٦٦
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ... أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ. وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ... قَالَ يَا نُوحُ... تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ... وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ...	٦ ٧ ١٧ ٤٥ ٤٦ ٤٩ ١٢٣	٤١ و٤٨ و٣٣٧ و٣٥٥ ١٠٦ ١٨١ و١٨٢ ٥١ ٥١ ١٠٥ ١٠٣

يوسف - ١٢ -

الآية	رقمها	الصفحة
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ... وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ...	١٠٢ ١٠٦	١٠٤ ٣٦٩

الرعد - ١٣ -

الآية	رقمها	الصفحة
إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ... وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سِيرْتَ... قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا...	٧ ٣١ ٤٣	٣٤٣ ١٢٢ و٥٣ ٤٠ و٥٧ و٦٦ و٧٨ و٨١ ١٨٢ و١٣٩ و١٣٢

إبراهيم - ١٤ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَإِنْ تَعُدُّوا...	٣٤	٣٢٥

الحجر - ١٥ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا...	٢١	١٠٢

النحل - ١٦ -

الآية	رقمها	الصفحة
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ...	٢-١	٢٩٣
يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ...	٢	٣٠١
وَسَحَرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...	١٢	٣٠٩
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي...	٣٩	١٣٢
يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابًا...	٦٩	٣٢٠
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ...	٧٧	١٠٣
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...	٨٩	١٥٥ و ٢٣٨ و ٣٢١

الإسراء - ١٧ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَإِذَا أَرْنَا أَن...	١٦	٢٢٨
لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ...	٢٢	١١٨
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ...	٥٨	٤٢
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا...	٧٠	١٢٣
وَمَا أَوْتَيْنَا...	٨٥	١٨ و ٢٩٣

الكهف - ١٨ -

الآية	رقمها	الصفحة
مَا لِهَذَا الْكِتَابِ...	٤٩	٤٢ و ٤٩ و ٤٣ و ١٥٦
قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ...	١٠٩	٣٣٧ و ٣٥٤

طه - ٢٠ -

الآية	رقمها	الصفحة
طه ما أنزلنا عليك...	٢-١	١٧٧ و ١٨٣

٣٦٢	١٠	فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا...
٣٣٨ و ٣٣٦	٥١	قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ...
٣٣٨ و ٣٣٦ و ٤٢	٥٢	قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي...
٢٥٦	٥٥	مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ...

الأنبياء - ٢١ -

الصفحة	رقمها	الآية
٦٤	٢٧-٢٦	بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ...

الحج - ٢٢ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٨٣	٥	وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً...
١١٨ و ١١٦ و ٧٦ و ٤٢	٧٠	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ...
٣٥٦ و		

المؤمنون - ٢٣ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٤٤ و ٤٠	٦٢	وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ...

النور - ٢٤ -

الصفحة	رقمها	الآية
٣٣٩	٣٥	يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ...
٣١١ و ١٧٠ و ٤٣ و ٢٣	٤٠	وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ...
٣٢٦ و		

الفرقان - ٢٥ -

الصفحة	رقمها	الآية
٥٦	٤٤	إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ...

الشعراء - ٢٦ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا...	٢٢٧	٢٧١

النمل - ٢٧ -

الآية	رقمها	الصفحة
أَنْ بُرِكَ مَنْ فِي النَّارِ...	٨	٣٦٣
إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ...	٩	٣٦٣
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا...	١٤	٩٩
وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ...	١٦	٣٣٧ و ١٣١
لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا...	٢٠-٢١	٥٢
فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا...	٢٢	١٤٠
قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ...	٣٩	١٤٠
قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ...	٤٠	٢٣٨ و ١٣٨ و ٦١ و ٥٥
قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا...	٣٨-٤٠	٢٣٨ و ٦٤
قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ...	٦٥	١٠٣
وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ...	٧٥	٨٨ و ٨٥ و ٧٦ و ٤٩ و ٤٢
وَتَرَى الْجِبَالَ...	٨٨	١٥٥ و ٨٩ و ٩٢ و ٤٣ و ١٥٥ و ٢٣٤ و ٣٢١ و ٣٣٨ و ٣٥٦

القصص - ٢٨ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبٍ...	٤٤	١٦٢
إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ...	٥٦	٣٣٩
إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ...	٧٨	٢٣٩

٢٣٩	٨١	فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ...
١٩٩ و ١٩٨ و ٣٢	٨٨	

العنكبوت - ٢٩ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٦١	٤٨	وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا...

لقمان - ٣١ -

الصفحة	رقمها	الآية
٣٠٩	٢٠	لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ...

السجدة - ٣٢ -

الصفحة	رقمها	الآية
١٧١	١١	قُلْ يَتَوَكَّفُ مَلَكٌ...
٢٣٧	١٨	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا...

الأحزاب - ٣٣ -

الصفحة	رقمها	الآية
٢٧٩	١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ...
٥٠	٣٣	إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ...
٢١٣	٥٦	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...

فاطر - ٣٥ -

الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٤	١١	وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ...
٩٢ و ٧٦ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٤	٣٢	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ...
١١٩ و ١٤٤ و ١٧٣ و ٢٣٤		_____
٣٢١ و ٣٢٥ و ٣٥٥ و ٣٥٦		_____
٥٠	٣٣	جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا.

يس - ٣٦ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ... _____	١٢	٣٣ و ١٥٥ و ١٧٣ و ٣٣٣ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٥٤

الصفات - ٣٧ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَقَفُّهُمْ إِلَيْهِمْ... وَأَنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ...	٢٤ ٨٣	٢١٢ ١٧٤

الزمر - ٣٩ -

الآية	رقمها	الصفحة
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ... _____	٦٥	٢٧٩

غافر - ٤٠ -

الآية	رقمها	الصفحة
يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ... _____	١٥	٣٠١

فصلت - ٤١ -

الآية	رقمها	الصفحة
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا... _____	٥٣	٣٢٧ و ٤٤٤

الشورى - ٤٢ -

الآية	رقمها	الصفحة
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ... وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا...	٢٣ ٥٢	٢٨٢ ١٥٦ و ١٥٩ و ١٦١ و ١٦٢

الزخرف: - ٤٣ -

الآية	رقمها	الصفحة
حم- وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ... وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا... وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي...	٢-١ ٤٥ ٦٣	٣١٩ ٢٧٧ و ٣٣٣ و ٣٣٤ ٦٦

الدخان - ٤٤ -

الآية	رقمها	الصفحة
حم ~ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ..	٥-١	٢٨٧ و ٣٢٣
إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ...	٥	٢٩٢

محمّد «صلى الله عليه وآله» - ٤٧ -

الآية	رقمها	الصفحة
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ...	٢٤	١١٧ و ٣٩
مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي...	١٥	٣٢٠

الحجرات - ٤٩ -

الآية	رقمها	الصفحة
إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ...	٦	٢٢٧

سورة ق - ٥٠ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ...	٢١	١٧٢

الذاريات - ٥١ -

الآية	رقمها	الصفحة
فَالْمُغْسَمَاتِ أَمْرَأًا...	٤	١٧٢

النجم - ٥٣ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى... ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى	٤-٣	١١ و ٢٣ و ٤٠
فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ...	٩-٨	٢٨١
أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى...	١٠	٢٧٧
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى...	١٢-١٨	٢٧٩
	٣٣-٣٥	٢٤١

القمر - ٥٤ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ...	١٧	٣٩

الرحمن - ٥٥ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ...	٢٧	١٩٨
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ...	٣٣	٣٣٧ و٧٨ و٧٤

الحديد - ٥٧ -

الآية	رقمها	الصفحة
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ...	٢٢	٣٥٥ و٤٢
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا...	٢٦	٥١

المجادلة - ٥٨ -

الآية	رقمها	الصفحة
اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ...	١٩	٢٧٠

الحشر - ٥٩ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...	٧	١١
لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ...	٢١	٥٦

الطلاق - ٦٥ -

الآية	رقمها	الصفحة
فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ...	١٠-١١	١٣٤

القلم - ٦٨ -

الآية	رقمها	الصفحة
ن وَالْقَلَمِ...	١	١٤٦

الحاقة - ٦٩ -

الآية	رقمها	الصفحة
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً...	١٢	١٥٤

الجن - ٧٢ -

الآية	رقمها	الصفحة
لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا... عَالَمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ..	٢١ ٢٦-٢٧	٢٣٥ ١٠٥ و ١٠٧ و ١٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠

القيامة - ٧٥ -

الآية	رقمها	الصفحة
لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ... ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ...	١٦ ١٩	١٥٤ ١٨٢

الإنسان - ٧٦ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ... وَمَا تَشَاؤُونَ.	٨ ٣٠	١٤ ١٣٠

النبأ - ٧٨ -

الآية	رقمها	الصفحة
عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ.	٣-١ ٣٨	١١٧ و ٦٨ و ٦٧ ٣٠٠

النازعات - ٧٩ -

الآية	رقمها	الصفحة
فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا.	٥	١٧٠ و ١٧٢

التكوير - ٨١ -

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ.	٢٣-٢٤ ٢٤	٢٤٠ ١٠٥

١٣٠	٢٩	وَمَا تَشَاؤُونَ.
الفجر - ٨٩ -		
الصفحة	رقمها	الآية
٢٧	٢٢	وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ.
العلق - ٩٦ -		
الصفحة	رقمها	الآية
١٨٦	٧-٦	كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ.
القدر - ٩٧ -		
الصفحة	رقمها	الآية
٢٨٧	٥-١	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...
٢٩٩ و ٢٩٤	٥-٤	تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ.
٢٨٨	٥	سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ.
الزلزلة - ٩٩ -		
الصفحة	رقمها	الآية
٣٣٨	٨-٧	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.
التكاثر - ١٠٢ -		
الصفحة	رقمها	الآية
٣١٣	٨	ثُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّاسِ.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»:

جمع الشريف الرضي - ت ٤٣٦ هـ - سيد الشهداء ، قم.

إتحاف السادة المتقين للزبيدي:

سيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي. دار الفكر، بيروت.

إثبات الهداة للحرّ العاملي:

حسن بن عليّ بن محمد - ت ١٠٦٢هـ - المطبعة العلمية، قم.

الاحتجاج للطبرسي:

أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي - ت ٥٤٨ هـ - دار النعمان، النجف الأشرف.

إحقاق الحقّ للتستري:

القاضي نور الله الحسيني التستري - ت ١٠١٩ هـ - مكتبة آية الله المرعشي ، قم.

الإختصاص للشيخ المفيد:

محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي - ت ٤١٣ هـ - مكتبة الزهراء، قم.

أرجح المطالب للحنفي:

الأمر تسري الحنفي، مطبعة لاهور.

إرشاد الهارب من صحّة إيمان الأقارب للصنعاني:

هاشم بن يحيى الصنعاني - ت ١١٥٨ هـ - تحت الطبع.

الإرشاد للشيخ المفيد:

محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي - ت ٤١٣ هـ - دار المفيد، بيروت.

أسباب النزول للواحدي:

علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - ت ٤٦٨ هـ - دار الفكر، بيروت.

أسد الغابة لابن الأثير:

علي بن محمد الجزري - ت ٦٣٠ هـ - دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأسرار المرفوعة لملا عليّ القاريّ الهروي:

نور الدين عليّ بن محمد بن سلطان - ت ١٠١٤ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

الإصابة لابن حجر:

أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

إلزام الناصب للحائري:

عليّ بن زين العابدين اليزدي الحائري - منشورات الشريف الرضي، قم.

أمالي الصدوق:

محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ الصدوق - ت ٣٨١ هـ - مؤسّسة البعثة، قم.

أمالي الطوسي:

محمد بن الحسن الطوسي - ت ٤٦٠ هـ - مؤسّسة البعثة، قم.

أمالي المفيد:

محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري - ت ٤١٣ هـ - جامعة المدرسين، قم.

أنساب الأشراف للبلاذري:

أحمد بن يحيى بن جابر - ت ٢٧٩ هـ - دار الفكر، بيروت.

بحار الأنوار للعلامة المجلسي:

الشيخ محمد باقر المجلسي «رحمه الله» - ت ١١١١ هـ - دار إحياء التراث العربي، ط ٣.

بحر العلوم للسمرقندي:

محمد بن أحمد السمرقندي - ق الرابع الهجري - دار الفكر، بيروت.

البداية والنهاية لابن كثير:

إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - ت ٧٧٤ هـ - دار الفكر، بيروت.

بشارة المصطفى «صلى الله عليه وآله» للطبري:

محيي الدين محمد بن جرير الطبري - من أعلام القرن الخامس الهجري - مؤسسة بعثة، قم.

بصائر الدرجات للصفار:

محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي - ت ٢٩٠ هـ - مكتبة المرعشي النجفي، قم.

بلوغ المآرب للأزهري:

الشيخ سليمان الأزهري - ت ١٢٠٤ هـ - أكاديمي زهراء، قم.

تأويل الآيات الظاهرة للاسترآبادي:

علي الحسيني الاسترآبادي - من أعلام ق ١٠ هـ - مدرسة الإمام المهدي «عج».

تاج العروس للزبيدي:

محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي - ت ١٢٠٥ هـ - دار الفكر، بيروت.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:

أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي - ت ٤٦٣ هـ - دارالكتب العلميّة، بيروت.

تاريخ دمشق لابن عساکر:

عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي - ت ٥٧١ هـ - دارالفکر، بيروت.

التبيان في تفسير القرآن للطوسي:

محمد بن الحسن الطوسي - ت ٤٦٠ هـ - دار إحياء التراث العربي.

تحف العقول لابن شعبة الحرّاني:

الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني من أعلام القرن الرابع. جامعة المدرسين، قم.

تذكرة الخواص لابن الجوزي:

شمس الدين يوسف بن خزعلي بن عبد الله - ت ٦٥٤ هـ - مكتبة نينوى، طهران.

تفسير ابن أبي حاتم:

الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن أدریس الرازي - ت ٣٢٧ هـ - المكتبة العصرية، بيروت.

تفسير الإمام العسكري «عليه السلام»:

مدرسة الإمام المهدي «عجل الله فرجه» - قم.

تفسير البرهان للبحراني:

السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني - ت ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ -
- مؤسسة بعثة، قم.

تفسير البغوي:

الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي - ت ٥١٦ هـ - دار
الكتب العلمية، بيروت.

تفسير البيان للطبرسي:

الفضل بن الحسن الطبرسي - من أعلام القرن السادس الهجري -
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

تفسير البيضاوي:

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي.
مؤسسة الأعلمي، بيروت.

تفسير التبيان للطوسي:

محمد بن الحسن الطوسي - ت ٤٦٠ هـ - دار إحياء التراث
العربي.

تفسير الثعلبي مخطوط.

تفسير الثقلين للحويزي:

عبد علي بن جمعة الحويزي - ت ١١١٢ هـ - المطبعة العلمية، قم.

تفسير الطّبري:

محمّد بن جرير الطّبري - ت ٣١٠ هـ - دار الفكر، بيروت.

تفسير العيّاشي:

محمّد بن مسعود بن عيّاش السّلميّ السّمرقندي. الأعلمي، بيروت.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرّازي:

عبدالرحمن بن أدريس الرّازي - ت ٣٢٧ هـ - المكتبة العصرية، صيدا.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير:

إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - ت ٧٧٤ هـ - دار المعرفة، بيروت.

تفسير القرطبي:

محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ت ٦٧١ هـ - دار إحياء التّراث العربي.

تفسير القمّي:

عليّ بن إبراهيم القمّي - من أعلام ق ٣ هـ - مكتبة الهدى ، النّجف، والأعلمي، بيروت.

التفسير الكبير للرازي:

فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين بن الحسن الشافعي - ت ٦٠٤ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير الكشاف للزمخشري:

جاء الله محمود بن عمر الزمخشري - ت ٥٢٨ هـ - أدب الحوزة، قم.

تفسير المنار:

محمد رشيد رضا. دار الفكر، بيروت.

تفسير الميزان للطباطبائي:

السيد محمد حسين الطباطبائي - ت ١٩٨١ م - الأعلمي، بيروت.

تفسير جوامع الجامع للطبرسي:

الفضل بن الحسين الطبرسي - من أعلام ق ٦ هـ - مؤسسة الأعلمي، بيروت.

تفسير فرات الكوفي:

فرات بن إبراهيم الكوفي - من أعلام الغيبة الصغرى - طهران، إيران.

تفسير كنز الدقائق للمشهدي:

الميرزا محمد بن محمد رضا المشهدي - ت ١١٢٥ هـ - جامعة المدرسين، قم.

تفسير مجمع البيان للطبرسي:

الفضل بن الحسين الطبرسي - ت ٥٤٨ هـ - الأعلمي، بيروت.

تنزيه الشريعة لابن عراق:

عن موسوعة أطراف الحديث. دار الكتب العلمية، بيروت.

توحيد المفضل:

للمفضل بن عمر. من أعلام القرن الثاني هـ_ منشورات الداوري، قم.

تهذيب الأحكام للطوسي:

الشيخ محمد بن الحسن الطوسي - ت ٤٦٠ هـ - دار الأضواء، بيروت.

ثواب الأعمال للصدوق:

الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق - ت ٣٨١ هـ - مكتبة الصدوق، طهران.

جامع الأسرار للأملي:

سيد حيدر بن علي الأملي - ت ٧٨٧ هـ - إشارات الأعلمي وفرهنكي، إيران.

جامع كرامات الأولياء للنبهاني:

الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني - ت ١٣٥٠ هـ - دار صادر، بيروت.

جواهر العقدين للزرندي:

علي بن عبد الله السمهودي - ت ٩١١ هـ - مطبعة العاني، بغداد.

حقّ اليقين:

للسيد عبد الله شبر - ت ١٢٤٢ هـ - الأعلمي، بيروت.

حلية الأبرار للبحراني:

السيد هاشم بن سليمان البحراني - ت ١١٠٩ هـ - مؤسسة المعارف.

حلية الأولياء للأصفهاني:

أحمد بن عبد الله الأصفهاني - ت ٤٣٠هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

الخراج والخراج للراوندي:

قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي - ت ٥٧٣هـ - مدرسة الإمام المهدي «عجل الله فرجه» - قم.

خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للشريف الرضي:

محمد بن أبي أحمد الحسيني بن موسى الأبرش - ت ٤٠٦هـ - الشريف الرضي، قم.

الخصال للشيخ الصدوق:

محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي - ت ٣٨١هـ - مؤسسة النشر الإسلامي - جامعة المدرسين، قم.

الدر المنثور للسيوطي:

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ت ٩١١هـ - دار الفكر، بيروت.

الدر المنظم لابن طلحة الشافعي:

نقلًا عن ينابيع المودة.

الدر المنتثرة للسيوطي:

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ت ٩١١هـ - دار الفكر، بيروت.

دلائل الإمامة للطبري:

محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير - من أعلام القرن الخامس الهجري - مؤسسة البعثة، قم.

دلائل النبوة للبيهقي:

أحمد بن الحسين البيهقي - ت ٤٥٨ هـ - دار الفكر، بيروت.

ديوان سيد حيدر الحلي:

حيدر بن سليمان بن داود الحلي - ت ١٣٠٤ هـ - مؤسسة الأعلمي، بيروت.

رسائل الجاحظ للدكتور ملحم:

الرسائل الكلامية.

رشفة الصادي للحضرمي:

السيد شهاب الدين العلوي الحضرمي. دار الفكر، بيروت.

روضة المتقين للمجلسي:

محمد تقي المجلسي - ت ١٠٧٠ هـ - المطبعة العلمية، قم.

روضة الواعظين للفتال النيسابوري:

محمد بن الفتال النيسابوري - ت ٥٠٨ هـ - الشريف الرضي، قم.

الرياض النضرة للطبري:

أحمد المحب الطبري - ت ٦٩٤ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

زاد المسير لابن الجوزي:

عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد الجوزي - ت ٥٩٧هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

سفينة البحار للقمي:

الشيخ عباس القمي - ت ١٣٥٩هـ - دار الأسوة، إيران.

سنن ابن ماجة:

لأبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني - ت ٢٧٥ هـ - دار إحياء التراث العربي.

سنن أبي داود:

سليمان بن الأشعث - ت ٢٧٥ هـ - دار الفكر، بيروت.

سنن النسائي:

أحمد بن شعيب النسائي - ت ٣٠٣هـ - دار الفكر، بيروت.

سير أعلام النبلاء للذهبي:

شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ت ٧٤٨هـ - مؤسّسة الرسالة، بيروت.

شرح التجريد للعلامة الحلّي:

الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر الحلّي - ت ٧٢٦ هـ - الأعلمي، بيروت.

شرح تجريد الإعتقاد للقوشجي:

علاء الدين علي بن محمد القوشجي. ط، إيران.

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي:

عزالدين عبدالحميد بن هبة الله المدائني - ت ٦٥٦ هـ - مؤسسه الأعلمي، بيروت.

شواهد التنزيل للحسكاني:

عبيدالله بن عبد الله بن أحمد الحاكم النيسابوري. وزارة الإرشاد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

صحيح البخاري:

محمد بن إسماعيل البخاري - ت ٢٥٦ هـ - دار إحياء التراث العربي، بيروت.

صحيح الترمذي:

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - ت ٢٧٩ هـ - دار الفكر، بيروت.

صحيح مسلم:

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري - ت ٢١٦ هـ - دار الكتاب العربي، بيروت.

صحيفة الأبرار:

للميرزا محمد تقي الملقب بحجة الإسلام - ت ١٣١٢ هـ - دار الجيل، بيروت.

صححة الألباني:

محمد ناصر الدين المكتب الإسلامي، بيروت.

الصوارم القاطعة للعقلي:

حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي مؤسّسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله»، قم.

الصّواعق المحرقة لابن حجر:

أحمد بن حجر الهيتمي - ت ٩٧٤ هـ - مكتبة القاهرة.

علل الشرائع للصدوق:

محمد بن عليّ بن الحسين الصدوق - ت ٣٨١ هـ - إنتشارات الداوري، قم.

علم اليقين للفيض الكاشاني:

محمد بن الشاه مرتضى بن محمود الكاشاني - ت ١٠٩١ هـ - إنتشارات بيدار، قم.

عوالم العلوم للبحراني :

الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني مدرسة الإمام المهدي #، قم.

عيون المعجزات للشعراني:

الحسين بن عبدالوهاب الشعراني - معاصر للسيد المرتضى - منشورات الشريف الرضي، قم.

عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق:

الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي - ت ٣٨١ هـ - مؤسسه الأعلمي، بيروت.

غاية المرام للبحراني:

السيد هاشم بن سليمان البحراني - ت ١١٠٧ هـ - دار القاموس الحديث، بيروت.

الغدير للأمني:

الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم.

غرائب القرآن للنيسابوري:

نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - ت ٧٢٨ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

الغيبة للطوسي:

محمد بن الحسن الطوسي - ت ٤٦٠ هـ - مؤسسه البعثة، قم.

فاطمة «عليها السلام» بهجة قلب المصطفى «صلى الله عليه وآله»

للأصفهاني:

الشيخ أحمد الرحمانى الأصفهاني. دار الأعلمي، بيروت.

فتح الباري لابن حجر العسقلاني:

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢ هـ - دار الفكر، بيروت.

فرائد السّمطين للحمويني:

الشيخ إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني الخرساني - ت ٧٣٠ هـ - مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت.

فردوس الأخبار للديلمي:

شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي. دار الفكر، بيروت.

الفصول المهمة للمالكي:

علي بن محمد بن أحمد المالكي، المكي، الشهير بابن الصبّاغ - ت ٨٥٥ هـ - الأعلمي، طهران.

الكافي للشيخ الكليني:

محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرّازي «رحمه الله» - ت ٣٢٩ هـ - دار الكتاب الإسلامي، طهران.

كامل الزيارات لابن قولويه:

جعفر بن محمد بن قولويه القمي - ت ٣٦٨ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

كتاب الحسن والحسين:

لمحمد رشيد رضا. دار الفكر، بيروت.

كتاب سليم بن قيس الهلالي:

لسليم بن قيس الهلالي - ت ٧٦ هـ - نشر الهادي، قم.

الكشاف للزمخشري:

جاد الله محمود بن عمر الزمخشري - ت ٥٢٨ هـ - نشر أدب الحوزة، قم.

كشف الغمة لأربلي:

علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي . دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

كفاية الطالب للكنجي:

محمد بن يوسف الكنجي الشافعي - ت ٦٥٨ هـ - . دار إحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام».

كمال الدين للصدوق:

محمد بن علي بن بابويه القمي - ت ٣٨١ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

كنز العمال للمتقي الهندي:

علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي - ت ٩٧٥ هـ - الرسالة، بيروت.

لباب النقول للسيوطي:

عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - ت ٩١١ هـ - دار الكتاب القومي.

لسان العرب لابن منظور:

محمد بن مكرم بن علي الأنصاري - ت ٧١١ هـ - دار إحياء التراث العربي.

لطائف المنن للشعراني:

عبد الوهاب بن أحمد بن عليّ - ت ٤٧٣هـ - مطبعة مصر.

مئة منقبة لابن شاذان:

محمد بن أحمد المعروف بابن شاذان. إنتشارات أنصاريان، قم.

مجالس المؤمنین للتستري:

القاضي نور الله الحسيني التستري - ت ١٠١٩هـ - الأعلمي، بيروت.

مجمع البحرين للطريحي:

فخر الدين بن محمد عليّ بن أحمد - ت ١٠٨٥هـ - إنتشارات مرتضوي، إيران.

مجمع الزوائد للهيثمي:

الحافظ نورالدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي - ت ٨٠٧هـ - دار الفكر، بيروت.

المحاسن للبرقي:

أحمد بن محمد بن خالد - ت ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ - دار الكتب الإسلامية، قم.

مختصر بصائر الدرجات للحلي:

الشيخ الحسن بن سليمان الحليّ من علماء القرن التاسع. إنتشارات الرسول المصطفى «صلى الله عليه وآله»، قم.

مختصر تاريخ دمشق لابن منظور:

محمد بن مكرم بن عليّ الأنصاري - ت ٧١١ هـ - دار الفكر، بيروت.

مدينة المعاجز للبحراني:

السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني - ت ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ - مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

مرآة العقول للمجلسي:

محمد باقر المجلسي - ت ١١١١ هـ - دار الكتب الإسلامية، طهران.

مروج الذهب للمسعودي:

عليّ بن الحسين بن عليّ - ت ٣٤٦ - دار الفكر، بيروت.

مسالك الحنفا للسيوطي:

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ت ٩١١ هـ - ضمن الرسائل العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

مستدرك الحاكم للنيسابوري:

محمد بن عبد الله النيسابوري - ت ٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

مسند الحميدي:

دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢.

مسند أحمد بن حنبل:

إمام الحنابلة - ت ٢٤١ هـ - دار الفكر، بيروت.

مشارك أنوار اليقين للبرسي:

الحافظ رجب البرسي. إشارات فرهنك أهل البيت «عليهم السلام»، قم.

مصائب آل محمد «صلى الله عليه وآله» للشيخ الإشتهاردي:

الشيخ محمد محمد الإشتهاردي. مؤسسة دار الكتاب الجزائري، قم.

مصباح الأنوار للشيخ الطوسي - مخطوط - :

محمد بن الحسن الطوسي - ت ٤٦٠ هـ - مؤسسة البعثة، قم.

مصباح الهداية للسيد الخميني:

روح الله الخميني (رحمه الله) - ت ١٣٦٨ هـ - ش - مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (رحمه الله).

معالم التنزيل للبغوي:

الحسين بن مسعود الفراء البغوي - ت ٥١٦ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

معاني الأخبار للصدوق:

الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق - ت ٣٨١ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

المعجم الأوسط للطبراني:

سليمان بن أحمد الطبراني - ت ٣٦٠ هـ - دار إحياء التراث العربي، بيروت.

معجم رجال الحديث للسيد الخوئي:

أبو القاسم بن علي أكبر الموسوي الخوئي - ت ١٤١٣ هـ - مدينة العلم، قم.

معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

أحمد بن فارس بن زكريا - ت ٣٩٥ هـ - مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

مفاتيح الجنان للشيخ القمي:

الشيخ عباس القمي - ت ١٣٥٩ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

مقاتل الطالبين لأصفهاني:

علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني - ت ٣٥٦ هـ - منشورات الشريف الرضي، قم.

مقتل الإمام الحسين «عليه السلام» للخوارزمي:

الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي - ت ٥٦٨ هـ - دار أنوار الهدى، قم.

مناقب الخوارزمي:

الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي - ت ٥٦٨ هـ - مؤسسة

النشر الإسلامي، قم.

المناقب لابن المغازلي:

عليّ بن محمّد بن محمّد الواسطي الشافعي - ت ٤٨٣ هـ - المكتبة الإسلامية، طهران.

المناقب للمازندراني:

محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السروي المازندراني - ت ٥٨٨ هـ - دار الأضواء، بيروت.

منتهى الآمال للقمي:

الشيخ عباس القمي - ت ١٣٥٩ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

من لا يحضره الفقيه للصدوق:

الشيخ محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي - ت ٣٨١ هـ - دار الكتب الإسلامية.

منهاج السنة لابن تيمية:

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحرّاني - ت ٧٢٨ هـ - دار الفكر، بيروت.

موسوعة أطراف الحديث:

مجموعة من الأعلام. دار الكتب العلمية، بيروت.

ميزان الاعتدال للذهبي:

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ت ٧٤٨ هـ - دار الفكر، بيروت.

نظم الدرر للبقاعي:

برهان الدين إبراهيم البقاعي - ت ٨٨٥ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

النكت والعيون للماوردي:

علي بن محمد بن حبيب الماوردي - ت ٤٥٠ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

نور الأبصار للشبلنجي:

الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي - من أعلام القرن ١٣ هـ - منشورات الشريف الرضي.

النهاية لابن الأثير:

عز الدين علي بن محمد الجزري ابن الأثير - ت ٦٣٠ هـ - إحياء التراث العربي، بيروت.

الولاية للإحفاقي:

الميرزا عبدالرسول الحائري. مكتبة الإمام الصادق «عليه السلام» - الكويت.

ينابيع المودة للقندوزي:

الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي - ت ١٢٩٤ هـ - دار الأُسوة، بيروت.

فهرس الموضوعات

- الإهداء ٥
المقّمة ٧
البحث الأول
في معنى الصّوم ٢١
البحث الثاني
في معنى الكتاب ٣٥
البحث الثالث
في علم الإمام عليّ "عليه السلام" ٤٧
البحث الرابع
في علم آل محمّد "صلى الله عليه وآله" ٦٣
البحث الخامس
في بعض أسرار المولى عليه السلام ٧٧
البحث السادس
في معنى اللّوح المحفوظ ٩١
البحث السابع
في معنى الغيب ١٠٧
البحث الثامن

- في بيان بعض مقامات الإمام عليه السلام ١٢٣
البحث التاسع
- في فضل الإمام عليّ "عليه السلام" ١٣٧
البحث العاشر
- في مقام الإمام "عليه السلام" ١٤٩
البحث الحادي عشر
- في باب علم مدينة رسول الله "صلى الله عليه وآله" ١٦٥
البحث الثاني عشر
- في ولاية الإمام "عليه السلام" على الأنام ١٨١
البحث الثالث عشر
- في معنى الشاهد ١٩٧
البحث الرابع عشر
- في المراد من وجه الله تعالى ٢٠٧
البحث الخامس عشر
- بولادة الإمام الحسن المجتبي "عليه السلام" ٢٢١
البحث السادس عشر
- في حياة الإمام الحسن المجتبي "عليه السلام" ٢٣٩
البحث السابع عشر
- في علوم آل محمد صلوات الله عليهم ٢٥٥
البحث الثامن عشر
- في جرح المولى صلوات الله عليه ٢٦٧

- البحث التاسع عشر
في منازعة المولى صلوات الله عليه ٢٧٧
- البحث العشرون
في شهادة المولى "عليه السلام" ٢٨٧
- البحث الحادي والعشرون
في إرسال جميع الرسل بولاية المولى "عليه السلام" ٢٩٧
- البحث الثاني والعشرون
في معنى ليلة القدر ٣١١
- البحث الثالث والعشرون
في معنى الروح ٣٢٣
- البحث الرابع والعشرون
في معنى يد الله المبسوطة ٣٣٥
- البحث الخامس والعشرون
في معرفة كلامهم صلوات الله عليهم ٣٤٧
- البحث السادس والعشرون
في الآثار الدالة على كلام الإمام "عليه السلام" ٣٦٣
- البحث السابع والعشرون
في ولاية المولى صلوات الله عليه ٣٧٥
- البحث الثامن والعشرون
في ولاية المولى عليّ بن أبي طالب "عليه السلام" ٣٨٥
- البحث التاسع والعشرون

في ولاية الإمام عليّ صلوات الله عليه ٣٩٥

خاتمة الكتاب ٤٠٥

فهرس الآيات ٤٠٩

فهرس المصادر و المراجع ٤٢٣

فهرس الموضوعات ٤٤٧

إصدارات مؤسّسة بنت الرسول «صلى الله عليه وآله»

لإحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام»

- ١ - كرامات الأبرار لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٢ - لماذا اخترت مذهب أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ الأنطاكي.
- ٣ - ظلمات فاطمة الزهراء «عليها السلام» لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي (الطبعة الأولى).
- ٤ - الملاحم لابن المنادي.
- ٥ - القول المختصر في علامات المهدي المنتظر # لابن حجر الهيتمي.
- ٦ - شذرة عصمتيّة في سرّ من ليلة القدر الفاطميّة لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٧ - دروس في أسرار الصلّاة على محمّد وآل محمّد «عليهم السلام» لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٨ - وظائف الشيعة نزوّار ومجاوري فاطمة الشّفيعة «عليها السلام» لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٩ - علامات ظهور الإمام المهديّ «عليها السلام» (المختصّة بالمواقيت والأزمنة) لأمجد عبدالملك السّاعاتي إشراف سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ١٠ - قصة الشيخ الأوحّد إشراف سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.

- ١١ - التفويض للميرزا موسى الإسكوي الحائري.
- ١٢ - ظلمات فاطمة الزهراء «عليها السلام» لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي (الطبعة الثانية).
- ١٣ - الصّورم الفاطمة والحجج اللامعة في إثبات صحّة الزيارة الجامعة لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ١٤ - عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبدالوهاب.
- ١٥ - سرّ وقعة الطّف للسيد كاظم الرّشتي.
- ١٦ - أسرار الخطبة الغراء لمولاتنا فاطمة الزهراء، صلوات الله عليها، لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ١٧ - أنوار السالكين لبدر المبارك إشراف سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ١٨ - الحقّ هم آل الرّسول «صلى الله عليه وآله» لززم القطان إشراف سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ١٩ - سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي (الطبعة الأولى).
- ٢٠ - اسرار الحروف في الكتاب من الكتاب لسماحة آية الله الشيخ عبدالكريم العقيلي.
- ٢١ - الخطاب في الكتاب من الكتاب لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي (الطبعة الثانية).
- ٢٢ - ظلمات فاطمة الزهراء لسماحة آية الله الشيخ عبدالكريم العقيلي (الطبعة الثانية)
- ٢٣ - المنتخب من كتاب الفتن لنعيم بن حماد إعداد وتحقيق سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.

- ٢٤- قبسات نورانية في شرح الزيارة الجوادية لسماحة آية الله الشيخ عبدالكريم العقيلي.
- ٢٥- كريمة السادة النجباء ومدينتها الزهراء لسماحة آية الله الشيخ عبدالكريم العقيلي.
- و سيصدر قريبا عن المؤسسة ان شاء الله.
- ١- أبحاث فقهية على العروة الوثقى لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٢- زينب من المهد الى الخلد وأبحاث هامة في عصمتها لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٣- شرح دعاء البهاء لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٤- أبحاث عقائدية من كتاب الكافي الشريف لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي.
- ٥- رسالة في فضل اهل البيت عليه السلام لابن تيمية تحقيق سماحة آية الله الشيخ عبدالكرم العقيلي.

بين يدي الكتاب:

أخي القارئ، لسنا نريد أن نستبقك بالكشف عن السوامق من المعاني والقيم التي تحتويها صفحات هذا الكتاب، والذي يهدي إلى صراط الله الحميد الذي له ما في السموات وما في الأرض، ويُري وفاده سرّ الملكوت؛ ليكونوا من الموقنين، ويخرقوا حجب النور، وينكشف أن ليس هناك إلا نور علويّ أشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.
نعاهدك إن كنت مُنصفاً، ووردت ساحل ما في هذا الكتاب، وغصت في أعماقه متفقهاً متزماً بأحد أمرين لا ثالث لهما:

الأمر الأول: التسليم طوعاً.

الأمر الثاني: الاستسلام كرهاً.

ولحقيقة ما ذكرناه إخلع نعليك ومدّ يديك إلى صفحاته كلّها، وقل:

باسم الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون.

المؤلف